



جامعة بيروت العربية

كلية الآداب

قسم التاريخ - السنة الاولى

محاضرات

في

تاريخ الشرق الادنى القديم

دكتور

عبد اللطيف احمد على

استاذ التاريخ القديم بجامعة القاهرة  
وجامعة بيروت العربية

طبع في  
بمكتب كزيبه اخوان  
بيروت



## الفصل الأول

=====

" ظهور الانسان : أنواعه وسلالاته الرئيسية "

ظهور الانسان وأنواعه :

نشأ الانسان أثناء " الزمن الجيولوجي الرابع " ( ١ ) في أواخر " عصر  
الپليستوسين ( ٢ ) منذ نصف مليون سنة أو أكثر . وانتهت البحوث الانثروبولوجية ( ٣ )  
الى اكتشاف ثلاثة أنواع رئيسية ( species ) للانسان ظهرت - فيما يرجح - على  
التتابع . وأن لم يستبعد أنها تعاصرت لفترة أثناء ذلك العصر . وهذه الأنواع هي :

١ - الانسان القرد منتصب القامة : ( ٤ ) Pithecanthropus Erectus

وقد ظهر منذ ٥٠٠.٠٠٠ سنة أو أكثر . ويمثل في " انسان جاوه " ( Homo  
Javanensis ) ، و " انسان الصين " ( Sinanthropus ) ( ٥ ) الذي يعرف  
أحيانا باسم " انسان بكين " ( Homo Pekinensis ) .

٢ - انسان نياندرتال : Homo Neandertalensis

ظهر منذ ٣٠٠.٠٠٠ سنة أو أكثر . ولعل الانسان المسمى بانسان هيدلبرج  
( Homo Heidelbergensis ) هو صورة قديمة له ( ظهر منذ ٥٠٠.٠٠٠ سنة )

( ١ ) Quaternary Age

( ٢ ) كلمة پليستوسين مركبة من كلمتين يونانيتين ، الأولى ( Pleistos ) بمعنى الأكثر أو  
" جدا " والثانية ( kainos ) بمعنى جديد أو حديث . لكن حرف ( K ) اليوناني

صار في اللغات الحديثة ينطق ( C ) .

( ٣ ) أنثروبولوجيا هي " علم الانسان " والكلمة يونانية الاصل تتركب من جزأين الأول

anthropus ( بمعنى انسان ) والثاني logos ( بمعنى علم )

( ٤ ) الكلمة الأولى ( Pithecanthropus ) تتألف من لفظين يونانيين الأول ( Pithekos )

بمعنى " القرد والثاني - كما ذكرنا - وهو Anthropus - بمعنى الانسان .

( ٥ ) يستعمل العلماء كلمة Homo - وعى كلمة لاتينية - للدلالة على " الانسان وهى

ترادف تماما كلمة Anthropos اليونانية بنفس المعنى وقد ظهر هذا الانسان

في دور الجليد المسمى مندل Mindel ويقسم علماء الجغرافيا اوار الجليد الى

أربعة على التوالي وعى : جونز ومندل وريس وفيرم : Gunz - Mindel - Riss -

Würm



أو أكثر (١).

٣ - الانسان العاقل : Homo Sapiens

ظهر منذ ٢٠٠.٠٠٠ أو أكثر

وقد باد النوعان الأول والثاني ولم يبق الا النوع الثالث نوع "الانسان العاقل" الذي ظهرت ثلاثمه الاولى على وجه الارض منذ حوالي ٢٠.٠٠٠ سنة ولكنه لعدم يبدأ في الانتشار ويسود الارض الا منذ ١٠.٠٠٠ على وجه التقريب . ولعله لم يستأثر بالسيطرة على هذا الكوكب الا منذ ٥.٠٠٠ سنة . ولا يختلف هذا الانسان عن انسان الوقت الحاضر اي اختلاف جوهري (٢).

ولنتناول كل نوع على حدة بشئ<sup>٥</sup> من الابداز :

١ - الانسان القرد منتصب القامة :

سمى هذا النوع الأول كذلك لأن فيه صفات قردية كثيرة . ولكنه كان معتدل القامة أو شبه معتدل حين الوقوف وحين المشي . ويمثل هذا النوع في "انسان جاوه"<sup>اكتشف</sup> الذي دكتور ديبوا ( E. Dubais ) الهولندي بقايا عيكله المظمى ( جمجمة وعظمة فخذ وسنتين ) في بلدة ترينيل ( Trinil ) بوسط جزيرة جاوه في عام ١٨٩١ - ١٨٩٢ ، ( وما تزال محفوظة . بمتحف تيلر Teyler بمدينة هارلم Haarlem في هولندا ) .

وينتمى الى نفس النوع البشرى مع اختلاف في السلالة "انسان الصين" أو "انسان بكين" الذي اكتشفت أجزاء من عيكله بين سنتي ١٩٠٣ - ١٩٣٠ . وعن أرقس قليلا من سابقه . وجمجمة الانسان القرد منتصب القامة ( والممثل في "انسان جاوه"

(١) ظهر في دور جليد "فيرم" وهو الدور الرابع والأخير .

(٢) ان قصة بداية الانسان لا تزال موضع بحث وجدل . وقد أجريت في افريقيا (في جنوب افريقيا ووسطها حفريات في الفترة ما بين ١٩٢٥ - ١٩٦٤ تشهـير الى ان هذه المناطق كانت اعم مراكز التطور في عصر البليستوسين . وعن هذا الموضوع أنظر ص ٤٤ . حاشية ١ فيما يلي .



و " انسان الصين " ) أقرب الى جماجم القردة في شكلها العام فهي مفرطحــــــــــــــــة ( مفلطحة ) وتتميز ب بروز شديد في عظام الحاجبين . وجبهته متقهقرة بالتدرج الى الخلف ، وفكه قوى ، وعنقه غليظ ، وأسنانه كبيرة ، وأنفه عريض مفرطح . وليس له ذقن بالمعنى المعروف وكان اقرب الى القصر اذا قيس بالانسان الحالى .

وأهم من ذلك أن حجم منه يبلغ في المتوسط . . . ( سم مكعب بينما يبلغ حجم المخ عند الانسان الحديث في المتوسط ٣٥٠ ) سم مكعب وهذا يدل على مســــــــــــــــتوى عقلى منعطف . لكن قامته معتدلة وطرفاه ليست قردية بل هن سوية كاطراف الانسان الحافل . هو يجمع انا بين صفات/قردية . ولهذا اعتبره بعض العلماء الحلقة المفقودة التى كانوا ينشدونها بين القرد والانسان . لكنه " انسان صانع " ( Homo faber ) بمعنى انه عرف كيف يستخدم الصوان في صناعة بعض الآلات الحجرية اللازمة له . ولعله اعتدى الى معرفة النار ان وجدنا آثار هريق/بعض كهوف الصين ترجع الى عصره المسى بالمصر الحجرى القديم الاسفل ( أى الاقدم ) وارتبطت به حضارة أو حضارتان . ولا بد انه كان لديه وسيلة للتفاهم . فهل كان على معرفة بسيطة باللغة ؟ وكان سريع الحركة بارعا في تسلق الأشجار . وكان صيادا ماهرا يصيد الفزال . هو انسان وأن كان بداثيا . ولم يكن وجوده مقصورا على قارة معينة . ومن المرجح أن وسط آسيــــــــــــــــا هو وطن الانسان الاول ، وان كان هناك من يقول بأن افريقيا هى أول مكان ظهر فيه الانسان . وأيا كان الأمر فقد باد الانسان القرد وانقرض . فهو انسان قديم أو انسان حفري ( fossil man ) أو انسان بائد .

## ٢ - انسان نياندرتال :

واما النوع الثانى المسمى بانسان نياندرتال فقد ظهر منذ ٣٠٠.٠٠٠ أو أكثر . ولعل اقدم نموذج لهذا النوع هو انسان هيدلبرج الذى اكتشف له فك سفلى غليظ مدمور في رواسب نهريه مع عظام حيوانات بائدة كالخرتيت والماموث في بلدة مــــــــــــــــاور ( Mauer ) بالقرب من هيدلبرج . وما تزال معلوماتنا عنه ناقصة . لكن يبدو برغم قدمه انه ينتمى الى نوع انسان نياندرتال الذى هو أكثر اعمية من ناحية التطور والحضارى .

لقد سمى انسان نياندرتال كذلك نسبة الى وادى ( Tal ) نياندر ( Neander ) الذى يقع بالقرب من مدينة ديسلدورف حيث عثر بأحد الكهوف على بقاياها عام ١٨٥٧ .





ويوجد عيكله المظن الان في المتحف الاقليمي بمدينة بون . في الحق أن جمجمة مشابهة لجمجمة هذا الانسان كانت قد كشفت قبل ذلك في كهف بجبل طارق عام ١٨٤٨ لكن حقيقتها لم تكن قد تبينت بعد . وتوالت الكشوف بعد ذلك لبقايا هذا النوع البشري أو لسلالاته في جهات مختلفة من أوروبا وأفريقيا وآسيا . ولمظالم هذا الانسان صفات تكسبه مظهرًا وحشياً ، فرأسه مائلة قليلاً الى الامام ، ولم يكن كامل انتصاب القامة لتقوس بسيط في عمود الفقري وانحناءة أخرى في فخذيه ولذلك كان يبدو منكثلاً الى الامام حين الوقوف وحين المشي . كل ذلك يدل على أن انسان نياندرتال لم يكن خطوة جديدة في التطور نحو الانسان العاقل الذي كان قد بدأ في الظهور فعلاً ، بل انه كان تطوراً جانبياً نهائياً . وقد باد وانقرض بعد ذلك لسبب تجهله ( قسوة الجليد الذي دهمه أو عدم قدرته على تطوير لفته أو لاند حاربه أمام نوع انساني آخر اذكن منه واغوى وابطش سلاحاً ؟ ) لكن من الغريب أن مخ هذا الانسان كان كبير الحجم اذ يبلغ ٤٥٠ سم مكعب أى أكبر من متوسط حجم مخ الانسان العاقل الذي يبلغ ٣٥٠ سم<sup>٣</sup> . ونحن لانعرف الشئ الكثير عن مخ انسان نياندرتال وقيمه . لكن هذا الحجم الكبير نفسه لا يدل على أنه يتسق ومرحلة تطور مخ الانسان العاقل ، بل يدل على أنه تطور جانبي أو متواز تفرع من اصل مشترك مع نوع الانسان العاقل . ثم انقرض . في الحق أن بعض العلماء يرون أن انسان جاوه كان اصلاً مشتركاً تطور منه انسان نياندرتال من ناحية ، والانسان العاقل من ناحية أخرى .

وقد بلغ انسان نياندرتال اقصى انتشاراً له بين سنتي ٣٠٠٠٠٠ ، ١٠٠٠٠٠٠ م . على وجه التقريب . ونظراً لأنه كان أوسع الانواع البشرية القديمة ( الحفرية ) انتشاراً وأكثرها تفرعاً الى سلالات ، ونظراً لوفرة ما يقترن به من بقايا حيوانية ونباتية ، وآلات حجرية من نوع خاص ، فقد أصبح لدينا فكرة واضحة عن هذا الانسان وحضارته التي ازدهرت في العصر الحجري القديم الاوسط .

وجد ير بالذكر في هذا المقام أن اكتشاف انسان نياندرتال هو الذي اتاح الفرصة لبعض العلماء وفي مقدمتهم العالم الانجليزي تشارلز داروين ( Charles Darwin ) لاعلان نظريتهم في اصل الانواع البشرية . وكان ذلك في الاجتماع الذي انعقد فسي بجمعية لينايوس ( Linnaean Society ) في لندن عام ١٨٥٨ . وقد نشر داروين



كتابه الشهير بعنوان " أصل الأنواع Origin of Species " في العالم التالى  
١٨٥٩ ، ثم كتابه الآخر بعنوان " تطور الانسان " Evolution of Man " في عام  
١٨٧١ . وأحدث بهما دويلا في الاوساط العلمية . وتتلخص نظريته في أن الاحياء  
جميعا تنتمى الى اصل واحد نشأ في زمن موغل في القدم . ثم حدث تغير في الاصل  
استلزمته ظروف البيئة المتغيرة . فانتقل بالوراثة من السلف الى الخلف أى حدث تغير  
بالوراثة خلال أجيال عديدة . وبعبارة أخرى أن الفرع لا يلبث بعد مرور عدة أجيال  
أن يختلف عن أصله ، ويكوّن اصلا آخر لفرع اخرى تنفرع منه وهكذا وبالبعك . وفي أثناء  
ذلك تبدأ عملية " الاختيار الطبيعي " أى ان البيئة تختار الافراد الذين يتصفون  
بصفات معينة تلائم ظروفها المتغيرة . والمقصود بذلك هو التغير الناشئ من اختلاف  
العلاقة بين اليابس والماء كظفان البحر على مساحات كبيرة من اليابس أحيانا ، وانحساره  
أحيانا اخرى ، أو تغير درجات الحرارة أو تغير حالات الجفاف والمطر ، وما يستتبع  
ذلك من تغير الحياة النباتية . وحيث انه توجد تنوعات ( variations ) داخل  
افراد النوع الواحد ، فان البيئة تعمل على الابقاء على عوالة الافراد الذين هم أصلح  
من يكونون لها . وهذا ما سماه داروين ببقا الصالح ( Survival of the Fittest )  
لأن الافراد الذين لا يتميزون بصفات ملائمة لها ، لا يستطيعون أن يقاوموا ويظلوا أحياء ،  
ان ان صفاتهم غير ملائمة للبيئة الجديدة . وفي الوقت نفسه تعمل البيئة على تسمية  
الصفات الملائمة لها وتقويتها ، بينما تعمل على تنحية الصفات غير الملائمة واضعافها ،  
فتقوى الاولى بالاستعمال ، وتضعف الثانية بالاعمال . ولما كانت الصفات الملائمة ذات  
فائدة للكائن الحي لأنها تعطيه المقدرة على البقاء ، فانها تنتقل الى الخلف بالوراثة  
أى تصبح صفات مورثة . وهكذا تتأكد الصفات التي تختارها البيئة الطبيعية وتسورث ،  
ويتغير الكائن الحي من حال الى حال .

وقد بنى داروين نظريته في التطور على اساس فكرة " وحدة الاحياء " ، وانتظام  
الافراد المتشابهة الصفات في أنواع " Species " ثم وضع المتشابه من الأنواع فسي  
اجناس ( Genera ) ثم وضع الاجناس المتشابهة في عائلات ( Families ) والعائلات  
المتشابهة في فصائل ( Orders ) ، ثم وضع المتشابه من الفصائل في مجموعات  
أكبر تسمى بالقبائل ( Tribes ) ، ووضع القبائل في احدى تحت مملكتين " حيوانية  
أو نباتية ) ، وأخيرا انتظام تحت المملكتين في مملكة واحدة ( أى من أصل واحد ) . والفضل  
في التقسيم يرجع اولا الى عالم النبات الشهير ليناوس ( Linnaeus ) الذى عاش  
في القرن الثامن عشر .



### ٣ - الانسان الماقل :

النوع الثالث والاخير هو نوع الانسان الماقل أو الحديث الذى ظهر منذ ٢٠٠.٠٠٠ سنة كما يتضح من بقايا عياله العظيمة التى اكتشفت في اوروبا (سوانسكومب بمقاطعة Kent بانجلترا) وشرقى افريقيا ( كانام على بحيرة فكتوريا ) . وتوجد الآن بعض قرائن تشير الى انه ربما كان أقدم عمرا مما كان يظن من قبل . ويلوح انه قد ظهر في اوروبا وشرقى افريقيا بالذات منذ زمن بعيد ( منذ العصر الحجري القديم الاسفل ، والدورة الجليدية الثانية ؟ ) لكنه لم ينتشر ويصبح سيدا على الارض الا منذ ١٠٠.٠٠٠ سنة بل لعله لم يستأثر بالسيطرة على مسر عذا الكوكب الا منذ ٥٠.٠٠٠ ولا تصرف شيئا عن الفترة التى انقضت منذ بد ظهوره وبين عصر سيادته على الارض الا ان نوعا آخر وهو نوع انسان نياندرتال الذى كانت له الخلية في مستهل هذه الفترة لم يلبث أن انقرض وباد تاركا المجال لنوع ارقى هو نوع الانسان الماقل الذى لا يختلف أى اختلاف جوعرى عن نوع الانسان في الوقت الحاضر . وقد ورث هذا النوع الماقل ما تركه له النوع السابق من تراث حضارى واطاف اليه وارتقى به وابتدع الوانا من الحضارة نشأت في اوروبا وكذلك في افريقيا في وقت واحد وهذا محتمل أو نشأت - على الأرجح - في افريقيا ثم حملها هذا الانسان الى اوروبا بالهجرة على د فمات عن طريق فلسطين وآسيا الصغرى من ناحية ، وعن طريق شمال افريقيا ومضيق جبل طارق من ناحية اخرى . وكان واسع الانتشار منذ تقهقر الجليد نهائيا واستطاع ان يقيم مضيق بهرنج ( الذى كان يابسا منذ ٢٥٠٠٠ الى ٢٠٠٠٠ سنة ) الذى امريكا منذ ٧٠٠٠ سنة مضت على الأقل كما اثبتت ابحاث تحليل كربون ١٤ المشع ، وقد عثرنا على عدة جماجم وعيالك عظيمة للانسان الماقل في جهات متعددة من جميع القارات . وكلها تدل على أن هذا الانسان الماقل مثلا في سلالات عديدة قد ساد هذا الكوكب منذ العصر الحجري القديم الأعلى . ومن اشهر جماجمه في اوروبا :

( أ ) جمجمة ( Cro-Magnon ) وعو كهف باحدى قرى حوض نهر دوردونسى ( Dordogne ) بجنوب فرنسا حيث اكتشفت أول بقايا لهيكل عظمى من نوع الانسان الماقل من اوروبا . وما تزال هذه البقايا تشاهد في متحف التاريخ الطبيعى في باريس ( قوقازى - ابيض ) .



( ب ) جمجمة كومب كاييل ( Combe Capelle ) وهو كهف صخري في هوش  
نهر الدوردون ( قوقازى - ابيض ) .

( ج ) جمجمة شانسليد ( Chancelade ) نسبة الى مكان بهذا الاسم  
في هوش الدوردون أيضا ( مغولى - اصفر - اسكيمو ) .

( د ) جمجمة جريمالدى ( Grimaldi ) نسبة الى بلدة بالقرب من مونت  
كارلو على ساحل الرفييرا ( زنجى - اسود ) .

( هـ ) جمجمة بودسترانسكا ( Podstranska ) في مورافيا في تشكوسلوفاكيا

وأما خارج أوروبا فاشهر جماجمه من افريقيا من جمجمة فلوريسباد في جنوب  
افريقيا .

وان الفحص الدقيق لجماجم العصر الحجري القديم الاعلى لا يدل إلا على طراز  
واحد من الانسان العاقل يتصف بصفات لا تزال جميعها توجد في كثير من البشر الآن .  
ولا يختلف هذا الانسان - كما ذكرنا - عن انسان الوقت الحاضر .

ويجدر بالذكر ان الانسان الحالى هو في رأى أغلب الباحثين وحيد النشأة  
وليس متعدد النشأة بمعنى أن الرأى يتجه الى اعتبار انسان جاوه جدا للجنس البشرى  
كله تطوّر منه انسان نياندرتال ثم الانسان العاقل ( وهو اتجاه العلماء السوفييت )  
أو تطوّر منه كل من انسان نياندرتال البائد على حده والانسان العاقل الباقي على  
حده ( وهو اتجاه معظم علماء الغرب ) . وكل من هذين الرأيين معناه ان الانسان  
وحيد النشأة .

#### المجموعات البشرية الكبرى ( السلالات الرئيسية ) :

وفي أول الامر كان الانسان العاقل متحد الصفات ، ثم لما تفرّق في جهات  
العالم المختلفة حيث تسود في كل منها بيئة طبيعية خاصة ذات ظروف معيّنة - من  
تضاريس ومناخ أخذت كل جماعة تتشكل بحسب ظروف هذه البيئة . وقد ساعد على ذلك  
ان الانسان كان في بدو نشأته عجيبة ليّنة في يد الطبيعة تشكله وفقا لظروفها التضاريسية





والمناخية فلما تقادم العهد ثبتت له الصفات التي اكتسبها واصبحت جزءاً من تكوينه .  
الجسماني لا تتغير أو تتبدل مهما غير الانسان بيئته الطبيعية بعد ذلك . وبذلك  
انقسم نوع الانسان العاقل الى مجموعات بشرية كبرى ( ١ ) . ولكل مجموعة صفاتها  
الجسمانية المميزة لها . ولم يظل التقسيم بهذه البساطة لأن المجموعات  
البشرية الكبرى أو السلالات المتفرعة منها اخذت مهاجر من مكان الى مكان وتختلط  
بالزواج مع السلالات الاخرى ، فأخذ عامل الميراثية يحدث اثره في الصفات الجسمانية  
لكل سلالة واختلط بعضهما ببعض الآخر حتى ليعتذر ان نجد سلالة نقية في الوقت  
الحاضر . وفي رأى بعض علماء الانثروبولوجيا ان نوع الانسان العاقل بدأ يتفرع  
الى مجموعات بشرية كبرى منذ العصر الحجري القديم الأعلى . لكن الاقرب الى الصواب  
ان ذلك التفرع لم يحدث الا في اواخر العصر ، وان المجموعات البشرية الكبرى لستم  
يكتمل تطورها الا منذ حوالي ٢٠٠٠ سنة . وأياً كان الرأى فان هذه المجموعات  
قد انقسمت بدورها الى سلالات races ، وربما انقسمت السلالة الواحدة الى عدة  
سلالات فرعية . والسلالة هي جماعة بشرية ( ethnos ) يتصف افرادها بصفات  
جسمانية وراثية متجانسة تميزهم عن غيرهم من الجماعات . ومن المتفق عليه أن انقسام  
البشر الى مجموعات كبرى انما يرجع الى عدة عوامل أهمها عامل العزلة الجغرافية  
" كجبال التاي والهملايا والقوقاز ) فهي المسئول الأول عن هذا الانقسام .

وهذه المجموعات البشرية الكبرى هي :

Homo Caucasicus	١ - المجموعة القوقازية
Homo Mongolicus	٢ - المجموعة المغولية
Homo Aethiopicus	٣ - المجموعة الزنجية

( ١ ) أو سلالات رئيسية . ويسمى البعض مجموعات جنسية كبرى .



وهذه تتفق الى حد كبير مع تقسيم بعض العلماء للبشر الى ما يسمى :

- أ - المجموعة الفريسية
- ب - المجموعة الشرقية
- ج - المجموعة الجنوبية

وينضوى تحت هذه المجموعات البشرية الكبرى الثلاث حوالي ٩٩٪ من سكان العالم ، وأما ١٪ فيحوم الشك حول نسبتهم الى أى من هذه المجموعات ، ولذلك يوضحون أحيانا في مجموعة خاصة تسمى " مجموعة المذبذبين " ، ومن أمثلة ذلك :

أ ) الاستراليون الاصليون الذين يجمعون من الصفات ما يمكنهم من الانتساب الى إحدى المجموعات الثلاث ؛ ولكنهم يتميزون بصفات أخرى تخرجهم من كل هذه المجموعات .

ب ) البولينيديون Polynesians ( وهم سكان بولينيزيا وهم مجموعة من الجزر في المحيط الهادى تمتد من جزر هاواي شمالا الى نيوزيلندة جنوبا (١) وبييدو انهم نتيجة اختلاط بين سلالات متفرعة من المجموعات البشرية الكبرى .

وتنقسم المجموعة القوقازية أو الخيرية ( والتي تسمى خطأ بالبينيا أو الأوروبية في بعض الأحيان ) الى سلالات أهمها :

- أ - سلالة البحر الابيض المتوسط وعن اقدمها
- ب - السلالة الالبية
- ج - السلالة النردية .

د - السلالة الهندوسية . وهذه الاخيرة تمثل الطرف الشرقى الاقصى للمجموعة القوقازية . ويقال انها دخلت الهند من شمالها الغربى ، وهناك اختلطت بسكانها الاصليين الذين كانوا سلالة من الزوج أو الاستراليين الاصليين . وتشمل المجموعة القوقازية سكان اوروبا ( ففي فرنسا مثلا نجد السلالة النردية في الشمال ، والالبية في الوسط ، وسلالة البحر المتوسط في الجنوب ) ، وشمال افريقيا ، وجنوب غرب آسيا ،

---

( ١ ) بولينيزيا هي قسم من القارة المسماة بالاوقيانوسية ( Oceania ) وتشمل هذه القارة : استراليا وغينيا الجديدة وتازمانيا Tasmania ، وميكرونيزيا وميلانيزيا وبولينيزيا .



ومنطقة الشرق الاوسط حتى السند ، وجوز بحر قزوين ، وبحر آرال . وليس من قبيل الصدفة ان تتفق هذه المنطقة تقريبا ومنطقة نشأة حضارات البحر الابيض المتوسط ومدنياته الكبرى وانتشارها . فمحبوب هذه المنطقة كلها تتفق في أصول حضاراتها وثقافتها التي تركز على الديانات السماوية التوحيدية الكبرى التي نشأت في فلسطين وشبه جزيرة العرب ، وعلى فلسفة الاغريق . وهذه القيم الروحية لحضارات المنطقة ، كما تركز على تلك المدن التي نشأت أولا في منطقة الهلال الخصيب ( Fertile Crescent ) وحوض النيل الأدنى ، ثم شملت حوض البحر المتوسط الشرقي ، وبعدئذ حوضه الغربي ، وأخيرا انتقلت مراكز ثقافتها الى شواطئ المحيط الاطلسي فيما يسمى الآن بالمدنية الغربية .

وأما المجموعة المفضولة (أو الشرقية) فتشمل :

- أ - المفضول الاصيلين في شرق آسيا .
- ب - مفضول الملايو وجزر الهند الشرقية .
- ج - الهنود الحمر في أمريكا . وقد هاجر هؤلاء من سيبيريا الى أمريكا عن طريق مضيق بهرنج .

ويعتبر الاسكيمو شمعية من المفضول ونعم احدث من الهنود الحمر عهدا بالهجرة من آسيا .

وأما المجموعة الزنجية ( أو الجنوبية ) فتشمل شعبتين رئيسيتين هما :

- أ - زنج افريقيا وغينيا الجديدة وميلانيزيا ( Melanesia ) (في مجموعة من الجزر في جنوب المحيط الهادى الى الشمال الشرقي من استراليا ، وتقع غرب بولينيزيا وميكرونيزيا ) .
- ب - الاقزام .

نعود مرة أخرى لنقول انه لا يوجد شعب يستطيع أن يزعم انه تكوّن من سلالته واحدة . مثل هذه الشعب يجب بمقتضى التزاوج الداخلي ( endogamy ) وقوانين اللواثة ان يكون اقرب ما يكون الى التجانس التام في الصفات الجسمانية . واين هذا



التجانس في أى شعب من الشعوب ؟ فما بالنسبة للأم الكبيرة . ان لفظة سلالمة ( أو بنس ) ليست الا مصطلحا نظريا أو فرضا تاريخيا لا وجود له في الواقع ، والعقيقة أن أى شعب انما يتكون من اختلاط عدة سلالات وامتزاجها وتداخل صفات بعضها في صفات البعض الآخر . ولا وجود الآن للسلالات النقية الا فيما ندر وذلك بين أشد الشعوب بدائية وفي أكثر الجهات عزلة كجماعة الاندلمان من جزر الاندلمان Andaman في شرق خليج البنغال ، والفدا ( h ) Vedda في جزيرة سيلان ، والبوشمن Bushman في جنوب غرب افريقيا . ومثل هذه السلالات الاقرب الى النقاء يكون مسيرها الى الانقراض في الغالب . وقد انقرض بعضها بالفعل كالتزامنيين ، سكان تازمانيا Tasmania ، وبنس جزيرة في جنوب استراليا .

وقد سبق أن عرضنا رأى غالبية الباحثين القائل بأن الانسان وحيد النشأة . وبقي أن نشير الى رأى القلة الذين يقولون بأن الانسان متعدد النشأة أى أن له اصولا متعددة . وتتخلص نظريتهم في أن كل مجموعة بشرية كبرى حالية قد اختطت لنفسها طريقا مستقلا في التطور عبر الدهور ، وكل منها تشكلت بشكل مختلف يلائم احتياجات بيئات مختلفة ، وكل منها وصل الى مستواها الخاص في سلم التطور ، فالاستراليون الاصليون قد تطورا تطورا من انسان جاوه والمفول من انسان الصين والقوقازيون من انسان ميدلبرج . أما الزوج فهم - على ما يبدو - تطور غير ناضج ربما من انسان ميدلبرج ايضا . وهذه كلها أنواع فرعية من نوع الانسان منتصب القامة الذى تطور الى الانسان العاقل ليس مرة واحدة في كل منطقة ، بل اربع أو خمس مرات في اربع أو خمس مناطق مختلفة . ومعنى هذا أن هناك سلالات عليا وسلالات دنيا ، وان سلالات البشر ليست متساوية من الناحية البيولوجية ، وبالتالي ليست هناك مساواة في الذكاء . وهذا ينطوى على تأييد شبه علمى لانصار التفرقة المنصرية ( racial discrimination ) . لكن هذه النظرية لا يؤيدها الا قلة من العلماء ، ونسب نظرية خاطئة غير مقبولة .





## الفصل الثاني

=====

### علم ما قبل التاريخ

تعريف :

يبدأ عصر ما قبل التاريخ بظهور أول نوع للإنسان في عصر البليستوسين أي منذ نصف مليون سنة وظهر أول مخلفات أثرية له من أدوات وآلات صنعها من مواد لم تبل كالصخر ولا سيما الطران أو الصوان ( flint ) . ولذلك تسمى هذه الحقبة الطويلة من حياة الإنسان الصانع ( Homo faber ) بالزمن الحجري ( Stone Age ) وحوالي عام ٤٠٠٠ م عرف الإنسان النحاس ( copper ) وبدأ يستعمله إلى جانب الحجر ولذلك تسمى الفترة من ٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ بمصر النحاس أو عصر بداية المعدن أو بالمصر الحجري النحاس ( Chalkolithic ) (١) وهي فترة انتقال ، ثم توصل في نهايتها إلى مزج القصدير ( tin ) بالنحاس بنسبة معينة ( ١ : ١٠ ) ( أو ١ : ٢٠ % ) ليزداد المعدن الأخير صلابة ويتحول إلى ما نسميه بالبرونز ومن ثم بدأ حوالي ٣٠٠٠ ق م زمن البرونز ( Bronze Age ) . وأخيرا تمكن من استخلاص الحديد من الخام وعرف كيف يستخدمه فبدأ زمن الحديد ( Iron Age ) في القرن السادس عشر ق م . غير أن بداية الأزمنة الحضارية الكبرى ونهايتها وهي :

أ - الزمن الحجري                      ب - زمن البرونز                      ج - زمن الحديد

تختلف من منطقة إلى منطقة اختلافا كبيرا فهي ليست موحدة .

ثم توصل الإنسان إلى كشف هام الا وهو التعبير عما يدور في ذهنه من أفكار بواسطة رموز يخطها ونحو ما نسميه بالكتابة . وقد عرفت الكتابة في بلاد الشرق الأدنى كمصر والعراق قبيل عام ٣٠٠٠ ق م . ولم تعرف في كريت وبلاد الاغريق الا اثنا الالف الثاني ق م . ولن تعرفها ايطاليا الا حوالي القرن السادس ق م . وأما فرنسا

---

(١) أو الاينوليثي Eneolithic وهي كلمة مركبة من الصفة اللاتينية aeneus بمعنى نحاس أو برونزي ، والكلمة اليونانية lithos بمعنى حجر .



وبريطانيا فلم تصرفا الكتابة الا مع الفتح الرومانى في القرن الأول قبل الميلاد . بسـل  
لا تزال بعض الشعوب تميش في عصر ما قبل التاريخ حتى الوقت الحاضر كالشعوب  
الاسترالية الاصلية وبعض البوشمن في جنوب افريقيا .

وقد اصطلح العلماء على وضع حضارات الانسان السابقة لمعرفة الكتابة في  
مرحلة حضارية خاصة يطلقون عليها اسم "عصر ما قبل التاريخ" ( Prehistory ) سواء  
استخدم في هذه المرحلة الحجر أو النحاس أو البرونز أو الحديد ، وأما مرحلة ما بعد  
الكتابة فيطلقون عليها اسم "المصر التاريخى" ، ويتضح من هذا امران : الامر الأول  
ان نهاية عصر ما قبل التاريخ وبداية العصر التاريخى لا ترتبطان بتخيرات معين من معالم  
حضارة الانسان فيما عدا معرفة الكتابة ، والامر الثانى انه بينما يتناول علم التاريخ  
دراسة حضارات الانسان في مرحلة طولها خمسة آلاف سنة على أكثر تقدير ( من سنة  
٣٠٠٠ ق.م حتى الآن ) نجد ان علم ما قبل التاريخ يتناول حضارات الانسان في  
مرحلة طولها نصف مليون سنة أو أكثر .

على أن بعض الباحثين لا يرضون عن تعبير " ما قبل التاريخ " ويقولون أن دراسة  
حضارات الانسان في الزمن الحجري ما هى الا تاريخ أيضا ، وأن تاريخ الانسان  
وحدة " متصلة " لا فرق في ذلك بين المرحلة السابقة لمعرفة الكتابة وبين المرحلة  
اللاحقة لها ، وان الاختلاف بين المرحلتين مقصور على وسيلة جمع المادة التاريخية ؛  
ففي المرحلة الأولى يستمد المؤرخون معلوماتهم عن طريق استقراء ( أى استخلاص  
المعلومات من ) آثار الانسان وحدها ، وأما في المرحلة الثانية فيستمدون معلوماتهم  
عن طريق استقراء آثار الانسان بالإضافة الى قراءة وثائقه المدونة على ألواح من الطين  
( clay tablets ) أو المنقوشة على الحجر أو المكتوبة على أوراق البردى أو سمف  
النخل أو الجلد أو الرق . وهذا فرق طفيف لا ينفى ان تاريخ الانسان وحدة لا يتجزأ  
وان الكتابة لا تمدد وأن تكون أحد المظاهر التى جددت في تاريخ الانسان فلا ينبغى  
أن تتخذ هى نفسها بداية لهذا التاريخ ، ثم أليست الآثار من مختلف الادوات والآلات  
والاوانى الفخارية أو اطلال المنازل والمعابد والمقابر والتماثيل والصور والرسوم وما إليها -  
حتى ولو كانت خالية من الكتابة - ليست وحدها بقادرة أو كافية لأن تعطينا فكرة عامة  
عن حياة الانسان الاقطنادية والاجتماعية والدينية والفنية ؟ إن الآثار عن التاريخ  
بالنسبة لما يسمى بمصر " ما قبل التاريخ " .



لهذا كله اراد العلماء الالمان تلافى هذا الميب في تسمية المرحلة الأولى من حضارة الانسان باسم عصر ما قبل التاريخ ( Prehistory ) كما يفعل الانجليز والفرنسيون وغيرهم ، واطلقوا هم عليه تمبيراً آخر هو " فجر التاريخ " ( Urgeschichte ) .

### نشأة علم ما قبل التاريخ :

لفت النظر الى آثار ما قبل التاريخ وجود قطع من حجر الظّرّان أو الصوّان ( flint ) مشكّلة بطرق خاصة يستحيل أن تكون من عمل الطبيعة لأن اثر المقسل والارادة واضح في أشكالها . فأخذ حواة الاثار في جمع هذه القطع، وعكف العلماء على التفكير في العصر الذي يهتمل أن تكون قد صنمت فيه . وكانت هذه القطع عبارة عن ادوات وآلات مختلفة مصنوعة من الصوّان . وقد اتضح ان الانسان كان يصنع ادواته وآلاته من الاحجار قبل ان يصرف استخدام المعادن .

وقد تم مولد " علم ما قبل التاريخ " في فرنسا في منتصف القرن التاسع عشر، واعترف الناس جميعاً . وبوشيه دي برت Boucher de Perthes (١٨٤٠ - ١٨٦٠) وادوار لارتيه E. Laet (١٨٦١ - ١٨٧١) لعلم ما قبل التاريخ . وقد أصبح ميداننا خصياً يستهوى عدداً كبيراً من الباحثين . وصاحب ذلك اعتراف الهيئات العلمية بوجود الانسان منذ عصر البليستوسين أي منذ نصف مليون ( سنة أو أكثر . وظل علم ما قبل التاريخ " مولده يمشي في حضارة الفرنسيين حتى بلغ مرحلة الشباب . ومن أجل هذا نجد اسماً حضارات ذلك العصر التي اصطلح على استخدامها كل العلماء يسمى اسماً فرنسية بحثة . وكان العالم الفرنسي جابريل دي مورتيليه ( Gabriel de Mortillet ) هو أول من صنف المراحل الحضارية للعصر الحجري القديم ( أسفل وأوسط وأعلى ) ، وما يزال هذا التصنيف متبهماً مع بعض التمديلات . والى عالم فرنسي آخر هو جوزيف ديشيليت ( Joseph Dechelette ) يرجع الفضل في اخراج أول دراسة علمية منظمة لازمنة الحجر والبرونز والحديد . وبعد هذا ادخلت دراسة " علم ما قبل التاريخ " في الجامعات ، وعقدت له المؤتمرات الدولية ، وظهرت له دوريات ( مجلات علمية ) .

ولم تبدأ المنايا بعلم ما قبل التاريخ في مصر الا في اواخر القرن الماضي ( التاسع عشر ) . ويرجع الفضل في ذلك الى علماء انجليز وفرنسيين وألمان ونمساويين



ومصريين ، وفي مقدمتهم فلندرز بيتري ( Flinders Petrie ) الانجليزي ، وجاك  
دي مورجان ( Jacques de Morgan ) الفرنسي ، وقد قاما بالكشف عن حضارة  
عصر ما قبل الاسرات والمسماة بحضارة نقادة ( محافظة قنا ) في ١٨٩٥ ، ١٨٩٧ .  
وسنعود الى موضوع عصر " ما قبل التاريخ " في مصر مرة أخرى .

### منهج البحث في علم ما قبل التاريخ :

يجمع الباحث في هذا العصر معلوماته من مصدرين :

- ١ - بقايا عيال الانسان فمنها يستطيع تحديد سلالاته ويعرف عمل عو أصل  
في هذه الجهة أو وافد اليها من مكان آخر .
- ٢ - صناعات هذا الانسان ( ادواته وآلاته ) ومخلفات طعامه وبقايا مساكنه  
ومواقده الخ . . . . .

ويعد أن يجمع الباحث معلوماته من عذتين المصدرين يعتمد على أربعة أسس  
في ابراز الصورة النهائية للحضارة من حيث عصرها ودرجة رقيها وصلتها بغيرها من  
الحضارات المحلية أو الاجنبية . أما هذه الاسس الاربعة فهي :

- ١ - موضع الاثر في الطبقات ( strata ) .
- ٢ - شكل الاثر وطريقة صناعته ووظيفته .
- ٣ - علاقة هذا الاثر بالاشياء الاخرى التي توجد معه .
- ٤ - درجة احتفاظ الاثر بجدهته .

" أما الاساس الأول وعموم موضع الاثر في الطبقات فينبغي على القانون الجيولوجي  
المعروف باسم قانون الارساب ( superposition ) فانما تكونت طبقات بفعل الارساب  
أو التراكم ولم تتعرض لاضطرابات تالية فان الطبقات السفلى تكون اقدم من التي تعلوها .  
فانما وجدت مخلفات اثرية في الطبقات يمكن ترتيبها ترتيبا طباقيا من اسفل الى اعلى .  
واتخاذ هذا الترتيب الطباقى مقياسا زمنيا ، فان الاسفل يكون هو الأقدم ويكون الأعلى  
هو الأحدث . ولذلك ينبغى للاثرى في عصر ما قبل التاريخ أن يزيل الطبقات الاثرية  
طبقة طبقة بمقياس منتظم يتخذة لنفسه فيتبع في حفائه على سليل مقياسا وليكن ٣٠ سم





فتزال هذه السنتمترات العليا وتسجل محتوياتها الاثرية ، ثم تزال الى ٣ سم التالية وتسجل محتوياتها كذلك ، حتى يصل الحفّار الى التربة الاصلية التي سكنها الانسان لأول مرة . وبذلك يحصل على ترتيب طباق لمخلفات الانسان . ثم يقارن محتويات الطبقات بعضها ببعض الآخر . هذا مع ملاحظة ان ترتيب الطبقات في المنطقة الواحدة قد لا يدلنا وحده على تتابع الحضارات بل قد يستلزم ذلك دراسة حفائر عدة مناطق وعقد مقارنة بين ترتيب الطبقات في كل منها .

وبعدئذ يلجأ عالم ما قبل التاريخ الى الاساس الثاني من منهجه وهو دراسة شكل الاثار المكتشفة وطريقة صناعتها ووظيفتها . ويصنفها الى عائلات حسب الشكل العام وطريقة الصناعة وحسب الغرض الذي يعتقد انها صنعت من أجله . فاذا كان يتناول بالتصنيف الالات الحجرية مثلا ، يضع الالات المصنوعة من النواة ( أى من نواة الصوان ) في ناحية والمصنوعة من الشظايا في ناحية أخرى ، ثم يضع الالات المثلثة الشكل في مجموعة والالات المستطيلة في مجموعة ثانية ، والالات المصقولة في ناحية وغير المصقولة في ناحية أخرى ، وبعدئذ يضع الفؤوس في مجموعة والمثاقب في مجموعة ثابئة والمناحيت في مجموعة ثالثة . . . . . وعكاه، وبذلك يحصل في النهاية على عدد من المجموعات أو العائلات متشابهة في شكلها وطريقة صناعتها ووظيفتها . ويجد بطول المران أن الأمر أصبح سهلا آليا وبمجرد أن يلتقط الاداة أو الآلة الحجرية يستطيع ان يضمها في عائلتها على الفور وقد تبين بالتجربة أن ادوات الانسان القديم كانت معدودة .

أما الاساس الثالث وهو دراسة علاقة الاثر بالاشياء المرافقة له فالقصد منـه مراجعة النتائج التي توصل اليها عالم الاثار بمقتضى الاساسين الاولين للتأكد من صحة النتائج . فهو لا يمضى لعالم ما قبل التاريخ نتائج جديدة وانما يجعله يطمئن الى صحة النتائج التي توصل اليها . ويصبح هذا الاساس أو العاطل عظيم الفائدة في حالة الشك ، ثم يعوديم الفائدة في حالة الاثار التي توجد على السطح لأن معظم اثار هذا العصر قابلة للنقل من مكان الى آخر اما بفعل الطبيعة أو بفعل الانسان ، ولهذا قد نجد اشياء قديمة جدا بجوار اشياء حديثة جدا . واما في الاثار غير السطحية كالتى توجد في الكهوف والرواسب النهرية والطبقات الاثرية التي لم تمسح بها يد الانسان ،



فاننا نستطيع أن نطمئن الى قيمة الاشياء المرافقة في تحديد عمر الاثر ونوع المنماخ في عهده وغير ذلك . ولعل من اوضح الامثلة على ذلك انه وجدت في كهوف أوروبا مياكل انسان نياندرتال ومصفا آلات موسيقية ، وقد تكررت هذه الظاهرة في عدة كهوف مما أكد ارتباط هذه المياكل البشرية بهذا النوع المسمى من الآلات . فإنا وبعدنا بعد ذلك عظاما بشرية لم نستطع تحديد شكلها لأنها مهشمة ووجدنا معها آلات من النوع السابق فاننا من شكل هذه الآلات نستطيع أن نحدد نوع الانسان المرافق لها ونحن مطمئنون تماما الى صحة النتائج التي توصلنا اليها . وتزداد قيمة هذا الاساس في دراسة العصر الحجري الحديث والمصنوع التالفة عندما بدأ التبادل الثقافي بين الجماعات المتباعدة . ونضرب مثلا على ذلك بحبنا عثرنا في حفائر ميليوبوليس على الجبانة ولم نعث على محل السكنى . فكيف نحدد عصر هذه الجبانة ؟ وكيف نحدد المرتبة الحضارية لاصحابها ؟ لقد عثرنا بين الاواني الفخارية المدفونة مع المياكل البشرية في جبانة ميليوبوليس على اناجين من النوع السائد في حفائر الممادي والذي لا يوجد في أى مكان آخر . فاستطعنا ان نقرر بكل اطمئنان أن سكان ميليوبوليس الذين كشفنا عن مياكلهم كانوا معاصرين لسكان الممادي وانهم عاشوا في مرتبة حضارية قريبة من مرتبة اهل الممادي الذين عرفنا حضارتهم من مدينة "حياء" ومدينة الموتى على حد سواء . وذلك عموما يعرف احيانا باسم دراسة الطرز ومقارنتها ( Typology ) أى مقارنة الاثار التي يعثر عليها في مناطق مختلفة بعد دراستها دراسة فاحصة شاملة بحيث يصبح في الامكان استنتاج تاريخ تلك الاثار ودلالة بعضها بالآخر . ويمكن القول اجمالا بأن تشابه اثار جهة من الجهات لا اثار منطقة اخرى يوحي بان الحضارات المنتجة لها كانت متعاصرة . ويدعى أن طريقة دراسة الطرز ومقارنتها يمكن اجراءها بالنسبة لآثار ما قبل التاريخ واثار العصر التاريخي أيضا . ولنفرض مثلا اننا عثرنا في احدى طبقات طروادة على اوان مشابهة او منظرية تماما لأوان مصرية من عصر اخناتون . هذا يوحي بأن هذه الاواني كانت مصدره في الغالب من مصر الى طروادة . ولما كان تاريخ عهد اخناتون معروفا فان اثار هذه الطبقة من طروادة لابد وانها ترجع الى نفس الزمن .

ومن الجائز - على اساس ما نلاحظه من تطور في آثار احدى المناطق - أن نحدد أيها كانت الاسبق وبناء على هذه القاعدة أيضا يمكن ترتيب الاثار التي يعثر عليها



في منطقة من المناطق حسب التطور الذي يحدث في طراز وسناعات نوع معين من الآثار. وقد استعمل هذه الطريقة في مصر الأثرى الانجليزي فلندرز بيتري ( F. Petrie ) حيث اتخذ من الفخار الذي عثر عليه بين آثار منطقة نقادة أساسا لتاريخ حضارة مصر النحاسي السابقة للتاريخ المصري ، وعن حضارة عصر ما قبل الاسرات ( ٤٠٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م . والمسماة باسم نقادة الأولى ( العصر ) ونقادة الثانية ( جرزة ) .

والأساس الرابع والاخير في منهج علم ما قبل التاريخ وهو درجة الاحتفاظ بالآثار بعد تدهورها . فنجد أن آثار هذا العصر نظرا لقدومها قد تعرضت لعوامل التصرية من رياح ومياه جاربه . وتدل درجة تآكل الآلة أو الاداة على مدى تعرضها لهذِهِ العوامل ولكنها لا تدل على مدى قدم الآلة بصفة قاطعة . ومن أجل هذا ينبغي ألا يتخذ الآثار بمظهرها . فكثيرا ما يحدث في آثار ما قبل التاريخ ان الآلات التي تبدا و جديدة في مظهرها تكون من القديمة فعلا وان الآلات التي تبدا وبالية في مظهرها تكون من الحديثة فعلا . والسبب في هذا أن الآلات الأولى رغم قدمها لم تتعرض لعوامل التصرية فتبدو جديدة ، وان الآلات الثانية رغم حداثةها تعرضت لعوامل التصرية فتبدو قديمة . ويتخذ الأثرى من تآكل الآلات بفعل المياه الجارية دليلا على أن هذه الآلات لا تتبع المكان الذي وجدت فيه إنما هي مجروفة مع المياه من مكان آخر . وبناءً على درجة تآكل هذه الآلات يستطيع الأثرى أن يقدر موضع المكان الأصلي لها وعمل هو قريب أو بعيد عن المكان الذي وجدت فيه .

#### دراسة عصر ما قبل التاريخ ووسائل تأريخ آثاره :

قبل الكلام عن العلوم التي يستعان بها في دراسة علم ما قبل التاريخ ينبغي ان نقدم له بنيزة سريعة عن الجغرافيا المسماة بالجغرافيا التاريخية . ان الجغرافيا التاريخية ( Historical Geography ) تشمل فرعين من علم الجغرافيا طبيعى وبشرى مطبقين في الماضى . وليس للجغرافيا التاريخية صلة بعلم التاريخ الا بالقدر الذى تتصل به الجغرافيا الحديثة بهذا العلم . وكلمة " تاريخية " في اسم " الجغرافيا التاريخية " . مستعملة بمعنى " قديمة " حتى ليتمكن القول بأن الجغرافيا التاريخية عن جغرافية الماضى . وبينما يدرس علم الجغرافيا ظاهرات سطح الارض الطبيعية



والبشرية القائمة في الوقت الحالى نجد علم الجغرافيا التاريخية يدرس ظاهرات الارض الطبيعية والبشرية التى اندثرت ثم الصور القديمة للظاهرات القائمة في الوقت الحاضر . ومعنى هذا ان المجال الزمنى لعلم الجغرافيا التاريخية واسع جدا . ان ظاهرات سطح الارض الطبيعية من سطح ومناخ ونبات في تغير مستمر . وبينما يدخل وصف الصورة لهذه الظاهرات في نطاق الجغرافيا الحديثة ، نجد أن تتبع ما يطرأ عليها من تطور أو تغيير يدخل في نطاق الجغرافيا التاريخية . والظاهرات البشرية على أيضا في تغير مستمر ، بل ان التفسير هو القانون العام الذى يحكمها . وتدخل هذه الظاهرات الاخيرة في نطاق الجغرافيا البشرية ( Human Geography ) . لکن تسمه اعشار الجغرافيا البشرية عبارة عن جغرافيا تاريخية .

وعلم ما قبل التاريخ هو الذى يقدم للباحث في الجغرافيا التاريخية المعلومات عن البيئة في عصر البليستوسين ، وعصر نشأة الانسان . وتسمى الفترة الأخيرة من هذا العصر باسم عصر الهولوسين ( Holocene ) أى الذى "كله حديث" . وفي هذه الحقبة - كما نعلم - لم يعرف الانسان الكتابة ، ولذلك فان الادلة التى نعتمد عليها في دراسة هذا العصر تختلف عن الادلة التى يعتمد عليها المؤرخون ، ان نعتمد على البقايا العنصرية المتحجرة والآثار الطبيعية والبشرية المطمورة في رواسب عصر البليستوسين والممثلة في الحصى الدقيق أو الرمل والطين أو الطين والركامات الجليدية .

ولنستعرض، الان العلوم المساعدة في دراسة وتأريخ عصر ما قبل التاريخ :

#### ( ١ - الجيولوجيا ( Geology ) )

علم الارض، وبخاصة دراسة طبقات الارض، يقصد تأريخها وبالتالي تقدير عمر البقايا والآثار التى توجد بها . وحتى وقت قريب كان عصر ما قبل التاريخ يعتبر احد فروع الجيولوجيا التاريخية وبخاصة جيولوجية الزمن الرابع أو عصر البليستوسين . ومن الممكن أيضا عن طريق علم المناخ القديم ( Palae - climatology ) الذى يستعين بملم الجيولوجيا ، وعلم المناخ الحديث وغيرهما من العلوم الطبيعية ( كالنبات والحيوان والتشريح ) بل والعلوم الفيزيائية ( كتخفيف الاشعاع الشمسى والبقع الشمسية ، وتخفيف ميل محور الارض ) من الممكن ان نرسم صورة للظروف المناخية في فترة محددة من تاريخ





الأرض، وهى ظروف مناخية ليس لها وجود في الوقت الحاضر. ولذلك لا يمكن فسي  
دراستها استخدام الأدوات التى تستخدم في دراسة مناخ الوقت الحاضر، وإنما  
يستعان فيها بأدلة علمية أخرى كالأدلة البيولوجية وتشمل الحفريات القديمة ( أى البقايا  
النباتية والحيوانية المتحجرة ) والأدلة الصخرية كعمليات التحات والتعرية وتكوينات  
التربة والارساب المختلفة .

## ٢ - علم تتابع الطبقات ( Stratigraphy )

وهو فرع خاص من علم الجيولوجيا ويقوم على قانون الارساب ( superposition )  
الذى يقول بأن الأعلى هو الأحدث ما لم يحدث في الطبقات تغيير في الموضع .

## ٣ - علم الحفريات القديمة ( Paleontology )

وهو دراسة البقايا المصوية ( النباتية والحيوانية ) القديمة ( أى المتحجرة  
fossils ) وقد امكن اتخاذ الحفريات القديمة اساسا لتأريخ طبقات الأرض - وبذلك  
قام عليها علم تتابع الطبقات . ويساعد علم الحفريات القديمة على تفهم المسرح الجغرافى  
الذى نشأ عليه الانسان في عصر البليستوسين .

## ٤ - علم الانسان ( Anthropology )

وهو العلم الذى يدرس تطور الانسان من القردة العليا والاجناس البشرية  
البائدة التى عاشت في عصر ما قبل التاريخ ذلك بالاضافة الى أنه يساعد الباحث  
على مقارنة اساليب الحياة عند بعض الجماعات التى تعيش في الوقت الحاضر بالجماعات  
التي عاشت في الزمن الحجري لكن يخرج بصورة واضحة عن حياة الجماعات الأولى  
الحضارية والفكرية . وبعبارة أخرى أن دراسة المجتمعات البدائية المعاصرة ( في استراليا  
وجنوب افريقيا وأمريكا الشمالية وغينيا الجديدة ) تلقى اضاءة على انسان ما قبل  
التاريخ واسلوب حياته .

## ٥ - علم تأريخ أو تقويم الأرض ( Geochronology )

اصطلح معظم العلماء - كما سبق أن بيّنا - على أن عصر ما قبل التاريخ هو



المصر السابق لمعرفة الانسان الكتابة وظهور الوثائق المدونة . وعلى ذلك فـان  
تقديره يختلف عن طرق تقدير الفترات التاريخية . وكان لابد من الرجوع الى  
الظواهر الطبيعية للوصول الى هذا التقدير . ومن ثم فقد نشأ حديثا فرع خاص من  
الملم يبحث في وسائل تأريخ الأرض اسمه " جيوكرونولوجيا " ، وعمو يستمد أصوله من  
علوم الجيولوجيا والنبات والحيوان والطبيعة بقصد تأريخ ظاهرات سطح الارض وعمل  
مقياس زمني بالسنوات لتأريخ هذه الظاهرات التي وجدت قبل أن يعرف الانسان  
التقويم . فعلماء الجيولوجيا - كما ذكرنا - يورخون لطبقات الارض ، وعلماء النبات  
( Botany ) يورخون لنشأة النبات وتطوره وعلماء الحيوان ( Zoology )  
كذلك يورخون لنشأة الحيوان وتطوره . وعلماء الطبيعة ( Physiography )  
يتتبعون تطور الظواهر الطبيعية وعلماء الجيومورفولوجيا  
( geomorphology ) يدرسون قشرة الأرض وما يطرأ على بنيتها من تغيير . وأخيرا  
يأتى دور علماء الانسان ( Anthropology ) الذين يحاولون ربط نشأة الانسان  
وتطوره بكثير من الظاهرات التي تدخل في اختصاص علماء الجيولوجيا والنبات  
والحيوان والطبيعة .

لذلك وجد من المفيد أن يقوم فرع خاص من الملم يعنى بعملية التأريخ  
هذه ، ويربط بين النتائج التي وصل اليها هؤلاء العلماء كل في تخصصه ، وبقيم  
مقياسا زمنيا لظاهرات سطح الارض مما أشبه ما يكون بالتقويم في تاريخ الانسان  
المعديت . على أن أهم ميدان لتطبيق علم الجيوكرونولوجيا يقع في آثار ما قبل التاريخ  
وبقايا الحيوان القديم . فأما عن آثار ما قبل التاريخ فان تطور الانسان سواء من  
الناحية الجسمانية أو الحضارية لا يمكن أن يفهم على حقيقته الا في ضوء المقياس  
الزمني . واما عن بقايا الحيوان القديم فانها تتصل اتصالا وثيقا بنشأة الانسان  
وتطوره ان تفسر هذه البقايا التطور البيولوجي للانسان . ومن هنا يأتى اعتماد علم  
الجيوكرونولوجيا على المادة التي يقدمها له علم ما قبل التاريخ وعلم الحفريات  
( النباتية والحيوانية ) . ويستخدم هذا العلم بعض وسائل وطرق في تقدير عمر  
فترات ما قبل التاريخ أو بالأحرى تقدير الزمن الذي استغرقتة حضارة عن حضارات  
ذلك المصر مع ملاحظة أن هذا الملم يختلف عن علم تتابع الطبقات في انه يحاول  
أن يقدر الزمن الذي مر منذ حدوث الحدث في المصر السابق للكتابة ويخصيه .



بالسنين ، أى الوصول الى تاريخ مطلق - بالتقريب - وليس الى مجرد تاريخ نسبي .  
واليفك بمصر اساس التأريخ التى يعتمد عليها علم الجيوكرونولوجيا :

#### أ - طريقة تحليل حلقات الاشجار : Tree- Ring Analysis

وتعرف هذه الطريقة ايضا باسم التقويم النباتى ( Dendrochronology ) وهى تعتمد على حساب عدد الحلقات التى تتكون منها جذوع الاشجار ولا سيما الاشجار المعمرة الضخمة . ومن المعروف ان الشجرة تضيف حلقة جديدة الى لحائها كل سنة . والحلقة السنوية تتكون حول الجذع من نسيج يقع بين الخشب القديم والحديث . ومن عدد الحلقات يمكن تقدير عمر الشجرة . على أن نمو هذه الحلقات يختلف في الشجرة الواحدة من عام لآخر تبعا لعاملين ، الأول أن سمك حلقات النمو يختلف باختلاف عمر الشجرة . فهو يضيق مع تقدم عمر الشجرة في السن ، والثانى ان النمو الطبيعي للشجرة ليس منتظما بسبب اختلاف الظروف المناخية من فصل الى فصل ومن عام لآخر ، فالفصل المطير يضيف حلقة سميكة بينما الجفاف يضيف حلقة رقيقة . وقد أمكن تطبيق نفس الطريقة على الخشب المقطوع من أشجار المنطقة الواحدة حيث استعمل في بناء المساكن في عصر ما قبل التاريخ وفي العصر التاريخي . واستخدمت هذه الطريقة بنجاح في تقدير عمر قرى الهنود الحمر في عصر ما قبل التاريخ في امريكا الشمالية ( اريزونا وكاليفورنيا ) وذلك في حدود ثلاثة آلاف سنة ، وعلى فترة تدخل في العصر التاريخي في بعض الاقطار لكنها تقع في صميم عصر ما قبل التاريخ في اقطار أخرى . ومن ثم كانت هذه الطريقة عنايمة القيمة في التأريخ في الاقطار الاخيرة بسبب عدم وجود وثائق مدونة .

#### ب - طريقة تحليل رقائق الطين الجليدى : Varve- Clay Analysis

يمكن بهذه الطريقة التأريخ لفترة الخمسة عشر الف عام الماضية ، وعلى فترة تبدأ من العصر الحجري المتوسط ( الميزوليثي ) فتشمل العصر الحجري الحديث ( النيوليثي ) والعصر التاريخي كله . وكلمة " فارف " كلمة سويدية تطلق على طبقات الارساب التى تحملها مياه الجليد الذائب الى البحيرات فتأخذ شكل رقائق متعاقبة عاما بعد آخر . وتحليل رقائق الطين الجليدى من اقدم طريقة اتبعها الجيولوجيون لتأريخ ظاهرات دورة الجليد الاخيرة وما بعد ما . وعلى اساسها نشأ علم الجيوكرونولوجيا . وتتلخص فكرتها في أن الثلجات ( glaciers ) ترسب ما تحمله من طين وحصى



دقيق عندما تذوب . وقد استفرقت الثلجات وقتا طويلا ونحن تنحسر عن شمال أوروبا .  
بعد أن بدأت درجة الحرارة في الارتفاع . والجليد - كما نعرف - جسم ضخيم يحمل  
في ثناياه كميات من الطين والحصى الدقيق . وعندما يذوب تترسب هذه الشوائب  
أو الذرات على شكل رقائق من الطين الجليدي . على أن سرعة ذوبان الجليد تختلف  
من عام إلى آخر بحسب معدل الحرارة ، كما تختلف في الصيف عنها في الشتاء . ففي  
الصيف ترسب طبقة سميكة من الطين الجليدي ، وفي الشتاء طبقة رقيقة . والمالسم  
دي جير ( De Geer ) السويدي هو الذي ابتدع طريقة احصاء عدد طبقات الرواسب  
السنوية التي تلقىها مياه الجليد الذائب في بحيرات السويد بعد أن لاحظ انتظام  
الارساب في هذه البحيرات إلى درجة إمكان التصرف على ارساب كل سنة على حدة .  
وقد لجأ إلى أخذ قطاع كامل من رقائق الطين الجليدي ابتداءً من الصخر الاصلحي  
الذي رسبت فوقه حتى السطح ، ثم حسب بدقة عدد هذه الرقائق . وبهذا تمكن من  
تأريخ الفترة التي تلت الدور الجليدي الاخير أو ما بعد الجليد منذ ١٨٠٠٠ سنة  
مضت . لكن تطبيق هذه الطريقة مقصور على الجهات التي كان يغطيها الجليد ،  
ومع هذا فمن الممكن تطبيقها في جهات أخرى من العالم حيث يكون الارساب منتظما  
مثل وادي النيل . ويمكن تأريخ الخمسة عشر الفعام الاخيرة في مصر بقياس سمك طين  
النيل من مستوى السهل الفيض الحالي إلى القاع الرملي لهذا السهل .

#### ج - طريقة قياس النشاط الراديوي ( Radioactivity )

كان كشف عنصر الراد يوم ( radium ) نقطة تحول عامة فيما يتصل بتاريخ  
الارض بالطرق الطبيعية . فقد عرف ان عنصر الراد يوم الموجود في بعض صخور القشرة  
يصور حرارتها المفقودة بالبرودة التدريجية .

رتجن  
- ففي عام ١٨٨٥ لاحظ العالم ( Röntgen ) ان الكهرباء العالية الضغط  
في انبوبة مفرغة تنتج تحت ظروف خاصة نوعا من الاشعة من فصيلة الاشعة الضوئية ولكنها  
تستطيع أن تتفذ خلال الاجسام المعتمة . وقد اطلق على هذا النوع من الاشعة  
اسم " اشعة اكس " ( X - Rays ) أو اشعة رنتجن . وأسبغ لها شأن كبير في الصناعة  
وتحليل المعادن وعلاج الامراض .





- وقد لوحظ فيما بعد أن معدن الاورانيوم ( uranium ) له تأثير مشابه لتأثير اشعة اكس .

- وفي عام ١٨٩٨ استطاعت مدام كورى ( Curie ) ان تستخرج من معدن الاورانيوم عنصرا مدينا له خاصية ارسال الاشعة في صورة مركزة . وقد اطلق على هذا العنصر اسم راد يوم ، واطلق على عملية صدور الاشعة اسم " النشاط الراد يومى " ( radio- activity ) .

- وفي عام ١٩٠٢ تمكن اللورد رزفورد ( Rutherford ) من أن يثبت أن الاشعاع الراد يومى يتكون من ثلاثة أنواع من الاشعة رمز اليها بالحروف أ ، ب ، ج . وتبين له أن الاشعة ( ج ) من وحد ما التى لا تتأثر بالمغناطيس ، وبذلك تعتبر مقابلة لاشعة اكس . وعن الاشعة ( أ ) ينتج الهليوم بحمولة كهربية موجبة . وأما الاشع ( ب ) فهى اقل الانواع الثلاثة قدرة على اختراق الاجسام ، فهى - على الرغم من انها تنطلق بسرعة كبيرة بشحنتها الكهربائية الموجبة - الا انها باصطدامها بذرات المواد المحيطة بها سرعان ما تتبادل مع الكترونها السالبة . وينتج عن هذا ذرة عادية من الغاز يطلق عليها اسم " هليوم " ( helium ) . ومن هنا نشأ الكشف الصحيح للذرة ، وعرف ان ذرات العنصر الكيمايى الواحد يمكن تكوينها بتخليب عنصر على آخر .

وأما الاشعة ( ب ) فهى تتكون - كما ذكرنا - من اليكترونات أى جزئيات دقيقة سالبة تدور داخل الذرة ( atom ) حول نواة ( nucleus ) موجبة ثقيلة نسبيا مثلما تدور الكواكب حول الشمس . وعن اكثر من الاشعة ( أ ) قدرة على اختراق الاشياء كما أن مدى حركتها اكبر .

وقد عرف أن ذرة الراد يوم أو ذرة اى عنصر راد يومى آخر - فيما عدا ذرة الهليوم - لا تحتفظ بصورتها بل تتحول الى شئ آخر . فحينما يتحلل الراد يوم يلفظ غازا راد يوميا ، وهذا الغاز نفسه يلفظ ذرة الهليوم التى تتحول بدورها ، الى مادة صلبة تسمى " راد يومأ " وتستمر عملية لفظ الجزئيات عنده ، وفي كل مرة تخرج مادة ذات نشاط راد يومى جديدة الى ان ينتهى الاموالى مادة خامدة ، وهذه المادة هى " الرصاص " .



كذلك تبين ان الراد يوم نفسه ينتج من الاورانيوم . وبذلك امكن القول بوجود مراحل متدرجة من الاورانيوم الى الراد يوم الى الرصاص ( وسميت هذه المشتقات "بعائلة الاورانيوم" ) .

وبناء على هذا كله امكن اتخاذ مراحل التحول الراد يومى مقياسا زمنيا لقياس عمر الارض بصفة عامة ثم عمر الصخور (النارية) (١) وأى جسم آخر مشع لمنصر الراد يوم.

عكذا نجد ان ظاهرة الاشعاع الراد يومى للمعادن قد أمدت العلماء بطرق لقياس المصور الجيولوجية المختلفة منذ القدم حتى العصر التاريخى . وقد حلت هذه الطرق الفيزيوكيميائية محل الطرق التقليدية لقياس الزمن الجيولوجى مثل معدل الارساب ، ومعدل النحت ، وملوحة البحر ، ومراحل تطور الحياة . . . الخ ويحتمل مقياس "الرصاص" أعم الطرق الفيزيوكيميائية .

هذه الطرق السالفة الذكر قد تمنى الباحث في الجغرافيا التاريخية أكثر مما تمنى دارس عصر ما قبل التاريخ ، وان كانت تفيد الاخير وتساعد في بحثه .

ولنتكلم الآن بصورة اكثر تحديدا عن وسائل تأريخ الادلة الاثرية أى تقويمها الزمنى حيث ان التقويم الزمنى عامل اساسى في تأريخ الحضارات المحلية وتتيح اطلوؤها وكذلك في اثبات أو نفي وجود صلات بينها وبين المراكز الحضارية الاخرى ولا سيما بين اقطار الشرق الادنى القديم في عصور ما قبل الاسرات وأثناء العصر التاريخى .

وللتقويم الزمنى طرق بعضها مباشر ، وبعضها الآخر غير مباشر :

أ ( الطرق التقويمية المباشرة :

١ - طريقة التقويم الفلكى

٢ - طريقة الكربون المشع

(١) الصخور اما نارية او رسوبية . والرسوبية لا تحتوى على معادن مشعة للراد يوم ، ولا يمكن تأريخ الطبقات الرسوبية الا بما قد يتداخل فيها من صخور نارية .



- ٣ - طريقة التأريخ بحلقات الأشجار
- ٤ - طريقة تحليل رقائق الجليد

ب - الطرق التقويمية غير المباشرة (النسبية) :

- ١ - طريقة الطبقات
- ٢ - طريقة التأريخ التتابعي
- ٣ - طريقة الدراسة المقارنة

واليك نبذة عن كل طريقة من هذه الطرق بادعين بالطرق المباشرة :

١ - طريقة التقويم الفلكي :

تمتد هذه الطريقة على ملاحظة الكواكب وحساب الزمن الذي تستخرقه فسي  
دورانها .

فقد ثبت فلكيا ان الارض تكمل دورتها حول الشمس في فترة سنة تمثرف " الشمسية"  
وتقدر مدتها ب ٣٦٥ يوما ، ٥ ساعات ، ٤٨ دقيقة ، ٤٦ ثانية أى مايقرب من  $\frac{365}{4}$   
يوما . وبجانب هذه السنة الشمسية ( solar year ) توجد ايضا السنة القمرية .  
( Lunar year ) .

وقد بذل الانسان في مصر وبلاد الرافدين مجهودا كبيرا في سبيل التوصل الى  
نظام توقيتى سليم يساعده على تنظيم حياته الاقتصادية والسياسية . وقد توصل المصريون  
- على ما يبدو - الى ابتكار التقويم الزمنى السنوى قبل بداية العصر التاريخى .  
ويمتد بعض الباحثين ان المصريين قد ربطوا بين ظاهرة مجى " الفيضان في صيف كل  
عام بانتظام ويزوغ نجم الشعرى اليمانية المسمى عند عم " سيدت" ( SPDT ) (١) في  
الشرق قبل طلوع الشمس . ويتكرر ملاحظاتهم تمكنوا من حساب السنة المدنية على اساس  
٣٦٥ يوما . ولما كان الزمن الفلكى للسنة الشمسية يقدر ب  $\frac{365}{4}$  يوم فقد كان هناك  
فارق ربع يوم بين التقدير الحقيقى والتقدير المصرى القديم . وهذا الفارق يصير يوماً

---

(١) ويسمى في اللغات الاوروبية Sirius أو Sothis ، وعى أولى مجموعة النجوم  
المصروفة " بالكلب الاكبر".



كاملا كل اربع سنوات ، وشهرا كل ١٢٠ سنة ، الى ان يوافق طلوع هذا النجم بداية السنة ، وذلك يحدث مرة كل ١٤٦٠ سنة ، وقد استطاع المؤرخ الرومانى كئسورينوس Censorinus ( الذى عاش في القرن الثالث الميلادى ) ان يحدد توافق بداية السنة المدنية مع ظهور هذا النجم بسنة ١٣٩ م .

وبعملية حسابية أمكن التوصل الى ان هذا التوافق قد حدث سنة ١٣١٧ ق.م . وسنة ١٧٧٣ ق.م . وبناء على ذلك امكن حساب تواريخ بعض ملوك مصر الفرعونية الذين سجلوا ذلهور نجم الشعراء اليمانية مثل تحتس الثالث ، ومنتحتس الاول وسوسرت الثالث ، فقد سجل/ ذلهور هذا النجم في الشهر ١١ واليوم ٢٨ دون ذكر سنة معينة من حكمه . وسجله الثانى في السنة ٩ والشهر ١١ واليوم ٩ من حكمه . وسجله الثالث في السنة ٧ والشهر ٧ واليوم ٢٥ من حكمه . وقد ساعد ذلك على التوصل الى السنوات التقريبية التالية في عصور هؤلاء الملوك : سنة ١٤٦٩ ق.م . بالنسبة لتحتس الثالث ، ثم سنة ١٥٤٥ ق.م . بالنسبة لمنتحتس الاول ، وأخيرا سنة ١٨٧٧ ق.م . بالنسبة لسوسرت الثالث .

غير أن بعض الباحثين من أمثال نويجباور ( O. Neugebauer ) وباركر ( R.A. Parker ) يتجهون اتجاها آخر في تفسير توصل المصريين القدماء الى ابتكار التقويم الزمنى السنوى . ففي رأيهم ان المصريين لم يتوصلوا الى ذلك بالربط بين مابين الفيزيان كل علم في وقت محدد وذلهور نجم الشعراء اليمانية ، وبالتالي تقدير السنة المدنية على اساس ٣٦٥ يوما ، وانما توصلوا الى ذلك عن طريق آخر . ويمتقد هؤلاء الباحثون أن المصريين كانوا يتبعون التقويم القمري ( Lunar calendar ) وأن هذا التقويم ، وليس التقويم الشمسى ، كان هو الاساس الاول في توصل المصريين الى تقويمهم الزمنى . وبرجحون احتمال أن يكون المصريون قد أخذوا متوسط السنة القمرية في عدة سنوات وتوصلوا بذلك الى تقدير طول السنة المدنية ب ٣٦٥ يوما .

وأيا كانت وجهات النظر في تفسير أصل السنة المدنية المصرية ، فان هذه المعلومات تساعد المؤرخ بعدد راسستها ومقارنتها بالحقائق الفلكية الحديثة على التوصل الى تقدير الزمن الذى حكم فيه الملوك الفرعونية أثناء العصر التاريخى . ولا تخلو هذه الطريقة بداهة من بعض القصور لانها لا توصلنا احيانا الى تقاويم محددة وإنما الى تقاويم





محددة وإنما الى تقاويم تقريبية فقط . ومع ذلك فهي ذات فائدة كبيرة في محاولة التوصل الى التواريخ الحقيقية .

وبفضل الطرق التقويمية الزمنية يستطيع الباحث التوصل الى تقدير عمر الادلة الأثرية ، وتعدد عصورها ، وأزمنة الحضارات التي تنتمي اليها هذه الآثار .

Radiocarbon Dating

٢ - طريقة ( قياس كربون ) المشع

هذه الطريقة هي أحدث الطرق العلمية لتقدير أعمار بعض الأدلة الأثرية وبالتالي أزمنة الحضارات التي تنتمي اليها هذه الادلة . ونقول بعض الأدلة لأن هذه الطريقة لا يمكن اجراؤها إلا على المواد العضوية فقط . وتفوم على نظرية شبيهة بتلك التي اشرنا اليها عند الكلام عن أسس التأريخ في علم الجيوكرونولوجيا . وتتخلص في أن النباتات تكتسب من اصطدام الأشعة الكونية ( الصادرة من الشمس ) بالغللاف الجوي ( المحيط بتلك النباتات ) وما يحدث من تفاعل بينهما ، تكتسب ذرات " كربون - ١٤ " المشع ( أي وزنه الذري ١٤ ) الذي يوجد في كل مادة عضوية بنسبة ثابتة " مع كبرون ١٢ غير المشع " ( ١ ) ويمتص البشر بدورهم هذا الكبرون عند ما يتغذون بالنبات أو الحيوان وعلى ذلك فكل مادة عضوية وكل شيء حي لابد أن يمتص كبرون ١٤ المشع . وعند موت الكائن الحي ( من النبات أو الحيوان ) يتوقف دخول كبرون ١٤ الى جسمه . ويبعد كبرون ١٤ الموجود في جسمه يتفكك مصدرا اشعاعاته الى الخارج . ويستطيع العلماء

- 
- ( ١ ) تتألف الأشعة الكونية من ذرات . وكل ذرة من هذه الأشعة تتكون من نواة ( nucleus ) والكترونات ( electrons ) محيطة بها سالبة الشحنة وتتكون النواة من : أ ) شحنات كهربية موجبة تسمى بروتونات ( protons ) .  
ب ) شحنات متعادلة تسمى نيوترونات ( neutrons ) . وقد ثبت أن نيوترونات الكونية سرعان ما تتفاعل مع ثاني أكسيد الكبرون المادى الموجود بكثرة في الغلاف الجوي ، وينتج عن هذا التفاعل كبرون ١٤ ( أي وزنه الذري ١٤ ) مضافا اليه حميد روجين وزنه الذري ( ١ ) " ٠ / كبرون ١٤ " الناتج عن هذا التفاعل الصفة الاشعاعية ( radioactivity ) ويمتزج هذا الغاز بثاني أكسيد الكبرون المادى ( ١٢ ) الموجود في الجو . وتنقل الذرات الكبرونية المشعة بدورها الى النبات ==



قياس الكمية التي تفككت منه والكمية التي بقيت دون تفكك في الجسم المضيء . وذلك بأن ذرات كربون ١٤ عى نظائر مشعة . وللنظائر المشعة ما يسمى بفترة "نصف القيمة" أو "نصف الحياة" أى ان النظير المشع يطلق خلال فترة زمنية معينة اشعاعات تنقص معها قوته الاشعاعية الى النصف ، أى يصبح نصف المادة مشعاً والنصف الآخر غير مشع . وبعبارة أخرى يتحول كربون ١٤ المشع بنسبة ٥٠ ٪ كل فترة معينة الى كربون ١٢ العادى غير المشع .

وقد ثبت ان فترة النصف الحياة " بالنسبة لكربون ١٤ عى ٥٥٦٨ سنة ( بزيادة أو نقص ٣٠ سنة ) . فاذا كان لدينا أوقية كربون ١٤ داخل قطعة خشب فان هذه الاوقية تطلق اشعاعات ثابتة ، وبعد حوالى ٥٥٦٨ سنة تصبح نصف اوقية كربون ١٤ ، وبعد حوالى ٥٥٦٨ سنة أخرى تصبح ¼ اوقية ، وبعد حوالى ٥٥٨٦ سنة ثلاثة تصبح ١/٨ اوقية . . . . وهكذا واليك . وتعتبر هذه الطريقة التي ابتكرها دكتور ليبى ( W. F. Libby ) - وعمو من شيكاغو - عام ١٩٤٧ كشافاً ثورياً في تحديد عمر المواد العضوية . وقد أستطاع هذا الباحث ان يصمم جهازاً أو عداداً ، لقياس اشعاعات كربون ١٤ المتبقية في الاجسام العضوية كقطع الخشب والجلد والحبال وما اليها . وبذلك تمكن من تقدير الزمن الذى انقضى منذ أن توقف امتصاص هذه الاجسام العضوية لكربون ١٤ أى منذ موتها . وعلى ذلك فالنسبة بين كربون ١٤ المشع الى كربون ١٢ غير المشع تدل على مدى قدم أى مادة عضوية في الاثر المكتشف . وهذه الطريقة ، " طريقة قياس كربون ١٤ " تسمح بتقدير عمر المواد العضوية في حدود ال ٣٠٠٠ سنة الماضية ، مع احتمال وقوع خطأ مداه حوالى ٢٠٠ سنة . وقد ادخل دكتور ارنولد ( من شيكاغو ) بعض تحسينات على هذه الطريقة فأصبح في الامكان التأريخ في حدود ال ٤٠٠٠ سنة الماضية مع احتمال خطأ لا يتجاوز ٣٧ سنة .

---

الذى يعتمد في حياته على ثانى اوكسيد الكربون وبالتالي تنتقل الى الحيوان الذى يعيش على النبات . وعند ما تنتهى حياة النبات يبدأ "كربون ١٤" في التحول التدريجى ويمعدل ثابت الى "كربون وزنه الذرى ١٢" فاذا صفا الاشعاع .



٣ - طريقة التأريخ بحلقات الاشجار : ( Dendrochronology )

Tree - Ring Analysis

سبق الكلام عن هذه الطريقة . وعيها انها لا تصلح الا في بعض مناطق محدودة .

٤ - طريقة تحليل رقائق الجليد : ( Varve-Clay Analysis )

كذلك اشرنا الى هذه الطريقة من قبل ، وهي كالسابقة محدودة الفائدة ولا تصلح الا في بعض مناطق بعينها .

وأما عن طرق التقويم الزمني غير المباشرة أو النسبية فتشمل :

١ - طريقة دراسة الطبقات الاثرية : ( Archaeological Stratification )

تمتلئ المناطق الأثرية وعلى الأخص في الشرق الأدنى بنتوءات بارزة عن سطح الأرض، تصرف أحيانا بالتلال وأحيانا أخرى بالاكوام أو التّبات . ( ١ ) وقد توجد أحيانا مغطاة بقطع صغيرة أو كسر من الفخار ( الشقف ) . ( ٢ ) وقد لفتت هذه الأكوام نظر العلماء فاتجهوا الى التنقيب فيها عن الآثار قبل أي امكنة أخرى . ( ٣ ) وقد تكونت هذه كنتيجة طبيعية لسكنى جماعة بشرية في منطقة ما لمدة طويلة أو قصيرة ، وربما تعاقبت على سكاها عدة جماعات بشرية في أوقات مختلفة . وكان الأتسان قديما كشأنه حديثا في بعض قرى الشرق بينى بيته من الطوب النيء ( اللبن ) على اساس من العجر . ويمرور الزمن كان الطوب النيء يتفتت ويتحول الى تراب ، أو قد يضطر الى عدمه لسبب أو لآخر . فكان الأتسان القديم يقذف بالقمامة والنفايات

( ١ ) تل أو كوم أو تبة معروفة في الصربية . وتستخدم حتى في اللغات الأوروبية كما

دنى أي كمرادف للكلمة ( mound ) في الانجليزية على سبيل المثال . وفي آسيا الصغرى ( الأناضول ) يسمى الاتراك مثل هذه التلال أو الاكوام : ( Hüyük )

( ٢ ) ترجع كثرة الفخار Pottery الى كثرة استعمال الأوانى الفخارية في العالم القديم . وتسمى هذه القطع أو الكسر بالشقف . وتستخدم كلمة ostraca ( وهي كلمة يونانية قديمة ) للدلالة عليها . وعثرنا في مصر على الأخص على آلاف من هذه الكسر ، وكثير منها مدون عليه كتابة بالهيراغليفية أو الديموطيقية من عصر الفراعنة أو باليونانية من عصر البطالمة والرومان والبيزنطيين ، وقد امدتنا بمعلومات وفيرة عن الضرائب بوجه خاص .

( ٣ ) تسمى عملية التنقيب أو الحفر ( التنقيبات أو الحفائر ) في الانجليزية

excavations وفي الفرنسية fouilles وفي الالمانية Ausgrabungen وفي الايطالية scavi .



والأوتى الفخارية المكسورة أو المستغنى عنها قرب بيته . وكانت تتكدس كلها ———  
الترية في اكوام الى حد أن مستوى سطح الأزقة كان يرتفع احياناً عن مستوى الأرض فينسد  
باب البيت . وعندئذ كان صاحبه يضطر الى عدمه وينائه من جديد فوق موضع————  
الأصلى حتى يتيسر له دخوله . كان الانسان القديم اذن — في كثير من قــــــــــــرى  
مصر والشرق الأدنى بوجه عام — لا يكلف نفسه عشاء ازالة التراب أو الانقاض المتخلفة  
عن الهدم أو التهديم ، وإنما كان يسويها ويبنى بيته الجديد فوقها مباشرة .  
وقد يهجر المكان لسبب أو لآخر . ويأتى انسان غيره فيهدم البيت القديم ويبنى  
جديداً مكانه . ويتكرر ذلك خلال عدة أجيال يتكون تل أو كوم تحتوى طبقات————  
المتلفة ( strata ) ( ١ ) على انقاض البيوت وكسر الفخار والحلى والخرز وقطوع  
من الأسلحة وبقايا الطعام وغيرها ذلك من الادوات .

ويقوم العلماء بدراسة هذه الآثار المختلفة الموجودة في الطبقات المتتابعة  
وقياس سمك هذه الطبقات ( المحتوية كل منها على آثار متقاربة الشكل والصنع———— )  
أى قياس مدى بقاء الانسان فيها واستقراره بالمنطقة آخذين في الاعتبار مختلف  
العوامل البيئية والاقتصادية والسياسية التى يحتمل أن تكون قد اثرت على بقاء  
الجماعة البشرية فيها اورحيلهم عنها . وقد لوحظ أن اغلب الادوات المنزلية  
قد إما كانت مصنوعة من الفخار أى كان اغلبها عبارة عن أوان وابعية وقدور واقــــــــــــداح  
فخارية . ودراستها يمكن تأريخ الآثار الأخرى الموجودة معها . ويفحص نــــــــــــوع  
الفخار وطريقة صناعته ودرجة اتقانه واسلوب زخرفته يمكن التمييز بين طبقة اثرية  
وأخرى لأن كل عصر كان له طريقته في صناعة الأشياء وله اسلوبه الفنى وذوقه وثقافته .

هذه الدراسة " الطباقية " اذن تساعد المؤرخ على التصرف بصورة نسبية  
على مدى عمر هذه الحضارة أو تلك من محتوى طبقات هذه الاكوام أو التلال ، ومن  
ثم يستدل على الاستماتة بطرق التقييم الزمنى الأخرى ، الوصول الى تأريخ هذه الطبقات  
وبالتالى الحضارات التى تمثلها .

---

( ١ ) ينبغى التمييز بين طبقات الأرض الجيولوجية ( strata ) ( راجع ما تقدم  
ص ٢١ ) وطبقاتها الأثرية التى تتحد بنوع الآثار ( ويطراز أسلوب صنعها  
وزخرفتها ) التى توجد فيها ( راجع ص ٦٦ فيما تقدم ) وتسمى الأخيرة أيضاً  
في الانجليزية layers وكلمة ولفظ strata لاتينى ومفرد stratum .





وقد درج علماء الآثار على ترقيم الطبقات الاثرية من اسفل أى ابتداءً من الطبقة السفلى التى تملو مباشرة الأرض البكر ( التى تلى ظهور الماء ) . ففى تل باحدى قرى سوريا الشمالية اكتشفت عدة طبقات متوالية بلغ عددها ١٤ وتمثل عصوراً أى حضارات مختلفة باءة من طبقة يتبين منها تكوين القرى السورية الأولى صاعدة الى طبقة تيمى بداية استخدام الممان ، الى أخرى أعلى منها يتبين منها أوان فخارية تشبه فخار مصر فى عصر الهكسوس . وفوقها طبقة يتبين منها التأثير الحيثى وأخيراً ( قرب القمة ) توجد طبقة تظهر فيها آثار كنيسة مسيحية ( ١ ) . وعثر علماء الآثار فى تل حصارك Hissarlik (شمال غرب تركيا ) - حيث كانت تقع طروادة قرب مدخل الدردنيل - على تسع مدن أى على تسع طروادات أغلبها اقدم من طروادة العرب التى تتحدث عنها الياذة نوميروس ، ان يرجع تاريخها الى ما قبل ١٢٠٠ ق م ، وهو العام الذى حدثت عنده الحرب الطروادية على وجه التقريب ، بينما عثروا فوق طروادة نوميروس ( وهى المسماة الآن بطروادة رقم ٣٧ ) على طروادات تين فوقها احدث منها ( طروادة ٨ وطروادة ٩ ) .

## ٢ - طريقة التأريخ التتابعى : Sequence Dating

ابتدع هذه الطريقة الأثرى الانجليزى فلنדרز بيتري (Flinders Petrie) لتأريخ حضارات عصر ما قبل الاسرات فى مصر ( أى ما يسمى بحضارة "نقادة" الأوتستينيى أو "العمرة" ، وحضارة نقادة الثانية أو "جزيرة" اي من ٤٠٠٠ ب.م : ٣٢٠٠ ق م ) ، فقد كشف هذا العالم عن ... مقبرة فى بلدة نقادة ( وكذلك فى بلدتي هو والابعدية ) بالميد ( محافظة قنا ) . ولما كانت الأواني الفخارية هى اكثر القطع الأثرية شيوعاً فى المقابر بجانب كثرة تنوع أشكالها وزخارفها وصناعتها الفنية ، فقد وجد بيتري فى هذه الأواني افضل مقياس لتأريخه التتابعى . وأخذ فى تصنيفها الى مجموعات أو بالأحرى الى تسع "عائلات" ورمز الى كل عائلة بحرف هجائى يرمز الى وصفها فى اللغة الانجليزية . فوضع - على سبيل المثال - الحرف D رامزاً به عائلة الأواني المزخرفة برسوم Decorated ، ووضع الحرف R رامزاً به الى عائلة

---

( ١ ) يجد القارىء شكلاً توضيحياً لتوالى هذه الحضارية بأحدى قرى شمال سوريا فى كتاب : رشيد الناضورى "جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا" ( بيروت ١٩٦٨ ) ص ٩٦ - ٩٧ .



الأواني الخشنة ( Rough ) أى المصنوعة من طينة رديئة واحتراق ردىء، وأما الحرف w فيدل على عائلة الأواني ذات المقابض المموجة Wavy handles الخ... وتضم كل مجموعة عددا كبيرا من الأشكال . ووضع بيترى الحرف الذى يمثل العائـلة على كل اناء وبجانبه رقما لكل شكل لكي يعرف به داخل عائلته . وبذلك حصل على سجل واف بأواني عصر ما قبل الاسرات في مصر .

وشرح بيترى بمد ذلك في محاولة ترتيب الأواني زمنيا حسب الطراز ( Typology ) ( ١ ) ، فقسم أواني المقابر التسعمائة الى خمسين مجموعة تبدأ برقم ٣٠ وتنتهى برقم ٧٩ . وهذه الأرقام هى ما سماها بيترى بالتأريخ التتابعى . وأما الأرقام من ١ الى ٢٦ فقد تركها لما عساه ان يكتشف من مقابر اقدم من المقابر التسعمائة المشار إليها .

وقد ثبت فائدة هذا الاحتياط من جانب بيترى ، ان كشف برنتون ( G. Brunton ) وكيتون طومسون ( G. Gatton-Thompson ) بعد ذلك عن " حضارة البدارى " التى دلت مقابرها على أنها أقدم من أى مقبرة وجدها بيترى أى اسبق من الرقم ٣٠ ( ١ ) وقد جعل بيترى الرقم ٧٩ معاصرا لحكم الملك " مينا " أى لحوالى سنة ٣٢٠٠ ق م . وهذه هى الصلة الوحيدة بين تأريخ بيترى التتابعى وبين التأريخ العام . وأما الأرقام ٧٩ - ٦٦ فقد ادخلها بيترى ضمن العصر التاريخى أى جعل الاسرتين الأولى والثانية تبدأ بالمرحلة ٧٩ وتنتهى بالمرحلة ٦٦ .

وقد لاحظ بيترى بحق انه من الصعب ربط ارقامه - فيما عدا الرقم ٧٩ - بالسنوات ، فالزمن ليس واحدا بين كل رقم وآخر . ولا يخرج تأريخه التتابعى عن كونه مجرد ترتيب مسلسل ، بمعنى أن هذه الأواني تسبق تلك ، وهذه تأتى بعد تلك . ولا تعطى هذه الطريقة تاريخا ثابتا بل هى احدى الطرق التقويمية النسبية التى تساعد على ترتيب التطور الحضارى للأدلة الاثرية وعلى الأخص الأواني الفخارية . وبذلك يتمكن الباحث من وضع كل حضارة في موضعها الصحيح بناء على ترتيبها المرتب بدرجة تطور صناعتها الفنية وشكلها وحجمها ووظيفتها . الخ .

---

( ١ ) وعلى ذلك فقد وضمت "حضارة البدارى " ( حيث بدأ المصرى يستخدم النحاس وهى سابقة على عصر ما قبل الاسرات ) وضمت في التأريخ التتابعى بيــــــــــــن



ان النظرية التي يقوم عليها تأريخ بيترى التتابعى مقبولة في جملتها لأنها  
تبنى على مبدأ مسلم به وهو أن تقليد الشئ يكون أقل كمالا من الأصل ، ثم أن تقليد  
التقليد اكثر بعدا عن الاصل . وعمكذا كلما تدرجنا في الحداثة ابتعدنا عن الاصل .

وبد من ان هذه النظرية لا تغلو من الميوب . فقد اتضح أنها لا تنطبق  
على الآثار الاخرى . فضلا عن ذلك فان العمليات التي قام بها بيترى للوصول الى  
هذا التأريخ التتابعى موقدة وكثيرة الممدد . كما أن الفحص الموضوعى والفنى مسألة  
تقديرية تختلف نتيجته باختلاف اذواق علماء الآثار ووجهات نظرهم . واتضح كذلك أن  
جدول الحضارات كما رتبها بيترى لا ينطبق الا على صعيد مصر الجنوبي . ولعل اخطر  
نقد الى طريقة التأريخ التتابعى هو احتمال أن تكون بمعنى الاوانى في أى "عائلة"  
مجهولة الاصل أو مشتراه ولا تصرف المقبرة التي اخرجت منها . وهذا الشك يزعم  
التأريخ التتابعى بل يقوض أساس التأريخ كله .

ومع هذا فلا احد ينكر عبقرية "بيترى" في ابتداء هذه الطريقة التي ساعدت  
- برغم عيوبها - على ترتيب الحضارات المصرية السابقة للعصر التاريخى ( عصر الأسرات )  
وقسمتها الى مرحلتين رئيسيتين ، وان كان الشك قد ثار ( من جانب الأنسنة  
بامجارتل )<sup>(١)</sup> حول التواريخ النسبية الممطاة للآثار في داخل كل مرحلة . ولقد  
حدث بالفعل تمدد في الترقيم بناء على الدراسات المقارنة واكتشاف بعض الأدلة  
الاثرية الجديدة (٢) .

### ٣ - طريقة الدراسة المقارنة : Comparative Archaeology

تقوم هذه الطريقة على مقارنة الأدلة الاثرية المختلفة في المراكز الحضارية  
المختلفة . ويتطلب ذلك الماما واسما بالتراث الاثرى في كل مركز على حدة ، وفي مراكز  
متفرقة حتى يمكن مقارنتها على أساس سليم والوصول منها الى تقدير محاصرة أو اسبقية

(١) E. Baumgartel, The Cultures of Prehistoric Egypt. Oxford, 1947

(٢) ابراهيم رزقانه "الجغرافية التاريخية" ( القاهرة ١٩٦٦ ) ص ٣١٧ - ٣٥ ص ٤٣٨  
حيث يشرح نظرية "بيترى" شرحا مفصلا مشفوعا برسوم توضيحية كثيرة .



بعض الحضارات على الأخرى . وقد سبقت الإشارة الى وفرة الاوانس الفخارية فـسـي المناطق الاثرية القديمة . وبمقارنة فخار منطقة بفخار منطقة أخرى يمكن تحديد الزمن الذي ينتسب اليه الفخار أى يمكن تأريخا تقريبا اذا كان هناك تشابه بينهما أو كان هناك اثر للتقليد وما الى ذلك ، وبالتالي يمكن تأريخ الاثار الأخرى المكتشفة ممسة في نفس الطبقة ( الاثرية ) وان وجود آثار مصرية في كريت وآثار كريتية في مصر - على سبيل المثال - لينهض دليلا على قيام علاقات أو تبادل بين البلدين في فترة أو فترات معينة . ويساعد - مع الاستمانة بالتقويم المصرى المعروف - على أن ننسب أثارا أو أحداثا الى سنة أو فترة معينة على وجه التقريب .

هذه الطرق ، طرق التقويم الزمنى ، المختلفة يماون بعضها بعضا في التعرف على أزمنة الادلة الاثرية المختلفة . ولا يجب الاقتصار على طريقة واحدة منها بل من الضروري الاعتماد على أكثر من طريقة حتى يكون هناك مجال للتأكد والتثبت من تأريخ هذه الأدلة . وجدير بالملاحظة أن التقويم الزمنى هو الاساس الاول المنظم للتأريخ الانسانى . ذلك بأن التحقق من هذا التقويم يساعد على تأريخ الحضارات المحلية تأريخا صحيحا من ناحية ، وعلى اثبات أو نفي وجود صلات حضارية أو سياسية - أو اقتصادية بين هذه الحضارات وغيرها من ناحية أخرى .





الفصل الثالث  
=====

"الزمن الحجري Stone Age"  
عصوره وحضاراته

بدأ الانسان حضارته بصنع آلات من الحجارة لاستخدامها في شتى الأغراض .  
ولدينا آلات من الحجارة ترجع الى الزمن الجيولوجي الثالث ( البليوسين ) ، وتوضع  
في مرتبة حضارية خاصة يطلق عليها تمبير " فجر العصر الحجري " ( Eolithie ) . لكن  
الرأى الغالب ان هذه الأحجار الأيوليثية ليست من صنع الانسان وانما هي قطع  
من الصوان ( flint ) تكسرت بفعل العوامل الطبيعية ، ولذلك تعرف بالآلات الزائفة .  
وانا ما انتقلنا الى الزمن الجيولوجي الرابع ( البليستوسين ) نجد آلات حجرية  
ترجع الى هذا الزمن ولا يختلف الباحثون في نسبتها الى الانسان ان يظهر فسي  
صنعها أثر تفكيره وارادته وتمده تشكيلها بشكل خاص لخدمة غرض معين او اغراض  
معيّنة .

ويقسم العلماء الزمن الحجري بدوره الى عصور تبعا لماملين :

- ١ - نوع الأدوات والآلات ودرجة اتقان صنعها .
- ٢ - الطبقة الأرضية التي وجدت فيها الآلات .

وبحسب أخرى تبعا للحضارات التي ظهرت في ذلك الزمن على التوالي  
على يد انواع الانسان المختلفة سألقة الذكر فيقسمون الزمن الحجري الى العصور  
التالية :

- ١ - العصر الحجري القديم ( الباليوليثي ) ( ١ ) Paleolithic
- ٢ - العصر الحجري المتوسط ( الميزوليثي ) Mesolithic
- ٣ - العصر الحجري الحديث ( النيوليثي ) Neolithic

---

( ١ ) وتكتب أيضا Palaeolithic وتتركب من كلمتين يونانيتين هما Palaios  
( قديم ) و lithos ( حجر ) . وأما meos فمعناها متوسط ، و  
neos معناها جديد أو حديث .



ولكل عصر من هذه العصور خصائص حضارية مختلفة تبعا لا اختلاف الزمن والبيئة  
والانسان . وسنقتصر في هذا الفصل على دراسة الحجرى القديم والحجرى المتوسط.

### العصر الحجري القديم (الباليوليثي)

( ٤٥٠.٠٠٠ - ١٢.٠٠٠ )

يعود العلماء فيقسمون العصر الحجري القديم وحده الى العصور الفرعية

التالية :

Lower Paleolithic	الحجرى القديم الأسفل	ا -
Middle Paleolithic	الحجرى القديم الأوسط	ب -
Upper Paleolithic	الحجرى القديم الأعلى	ج -

ويشمل العصر الحجري القديم ست حضارات اطلقت عليها اسما فرنسية تبعا  
لاسما الامكنة التي وجدت فيها أهم نماذجها . ومن هذه الحضارات اثنتان نشأتا  
في العصر الحجري القديم الأسفل وهما الحضارة الايفيلية ( او الشلية ) والاشولية ،  
وواحدة في القديم الاوسط وهى المستيرية ، وثلاث ظهرت في القديم الأعلى وهى  
الاوريناسية ، والسوليترية ، والمجدلينية :

#### أ - العصر الحجري القديم الأسفل : ( ٥٤٠.٠٠٠ - ١٢.٠٠٠ ق ٠م )

حاول الانسان منذ ظهوره ان يفرض بيئته واستعان في ذلك بما وجده جاهزا  
من مواد طبيعية . واذ كان تطوره الجسماني بطيئا فقد كان تطوره الثقافي اسرع  
خطوا . لقد بدأت تظهر له حضارة او بالاعرى ثقافة ( Culture ) تتمثل في معرفة  
محدودة وهى معرفة صناعية بمواد و الآلات من المواد الطبيعية الخام ولا سيما  
الحجر وذلك لاستخدامها في اغراض معينة في مقدمتها توفير الغذاء - وهو أول مطلب  
للانسان - ثم الكساء والسكن وهما في مرتبة واحدة من حيث ضرورتهما والدفاع  
عن النفس ضد الحيوان أو ضد اخيه الانسان . لقد صنع الانسان اولى ادواته  
- على ما يبدو - من المواد النباتية كفروع الأشجار واوراقها . لكنه وجد انها  
هشة فاستخدم الاصداف لصلابتها كآلات قاطعة . لكنه سرعان ما ادرك انها لا تحقق  
كل اغراضه فهو مضطر الى استخدامها في شكلها الطبيعي ، ويصيب العطب حافاتهما



فتصبح مثلثة ، ثم هي ليست في متناول يده في كل مكان . وتلفت حوله مرة أخرى فوجد في الحجارة مادة تصلح لأغراض كثيرة وتقبل التشكيل الى اشكال عديدة ، هذا فضلا عن صلابتها ومتانتها . وكانت اقدم الآلات الحجرية عبارة عن تقليد لأشكال الاصداف . وسرعان ما أصبح الحجر مادة عالمية لصناعة الآلات وبلغ من تقدير الانسان لقيمة الحجر ان اتخذ منه في بعض الأماكن وثنا يقدره ، ولعله رأى بعض الحجارة تسقط من السماء فاعتبرها من مصدر الهى وعيها ( مكة ودلفى وفريجيا وداكوتا )؛ وفي الوقت الذي ازدهرت فيه صناعة الآلات الحجرية اقام الانسان بجانبها صناعة عظيمة وأخرى خشبية تخدم بعض الأغراض الدقيقة التي لا يصلح لها الحجر تمام الصلاحية . وتمتبر الفترة التي صنع فيها الأنسان آلاته من الحجر مع بعض المعظم والخشب مرحلة حضارية خاصة تسمى العصر الحجري القديم - ذلك لأن مصنوعات الأنسان من عظم ( وقرون وهاج ) وخشب ( جذوع الشجر ) تعرضت للبلل بينما بقيت مصنوعات الحجرية بدون تغيير يذكر . وآلاته الحجرية هي أكثر مخلفاته انتشارا . ومن ثم كانت هي اهم دليل على نوع حضارة الأنسان البدائي وعلى مراحل تطورها . وتتخذها اساسا لتقسيم ذلك العصر الى عصور فرعية . في الحق أن الآلات الحجرية هي أهم ما خلفه الانسان قبل عصر استخدام المعدن . ومن ثم تظل الحجارة عنوانا على حضارته ودليلا لا ينقض على مدى تقدمه . لقد ظلت الحجارة هي المادة الخام الرئيسية في صناعة الآلات قرابة نصف مليون سنة . وتظل الحجارة ( بشكلها وطريقة صنعها ) حتى وسيلتنا الأولى في تقسيم العصر الحجري القديم الى مراحل حضارية الى ان تظهر صناعة الفخار من الطفل في العصر الحجري الحديث ( النيوليثي ) فنستعين به بدلا من الحجارة في عمل التقسيمات الحضارية .

وقد وجد الأنسان ان اصلح الصخور لصناعة الآلات هو حجر الظَّـران أو الصوان ( flint ) فهو اكثرها قابلية للتشكل المنتظم في حد قاطع او طرف مدبب كما انه اكثرها انتشارا في الطبيعة . وترجع افضلية الصوان الى وحدة تركيبه . وقد جعلته هذه الخاصية اسهل في التشقق الى شظايا من أنواع الصخور غير وهيئدة التركيب . ويأتى بعد الصوان في الأفضلية الصخور الكوارتزية والبازلتية . لكن الصوان لم يكن الصخر الوحيد الذي استخدم لهذا الغرض لانه رغم كثرة انتشاره لا يوجد في كل جهات العالم التي عاش فيها الانسان القديم . ففي بعض جهات كشرق افريقيا ( كينيا ) والبحر الايجي ( جزيرة ميلوس ) ووسط اوربا استخدم



حجر الابسيديان ( obsidian ) ، وهو صخر بلورى أسود لامع وحيد التركيب كالصوان ، وينتج عن النشاط البركانى . وهو في الحقيقة نوع من الالافا . وكثيرا ما وجدت الآلات المصنوعة من هذين الحجرين - الصوان والابسيديان - بمسيدة عن اقرب موارد مادتهما الخام بمئات الأميال مما يدل على تقدير الأناسان القديم لخواصهما وادراكه لافضلتهما في صنع الآلات على سائر الأنواع الأخرى من الحجارة ، ويشير الى قيام التجارة فيهما على نطاق واسع يشير دةشة الباحث الحديث ،

ولم تكن المادة الحجرية مقصورة على الصوان والابسيديان . بل استخدم الأناسان الصخور الكوارتزية والبازلتية كالديوريت ( diorite ) والكالسيدونى ( chalcedony ) ، والجاديت ( jadeite ) والجرانيت في الجهات التي يتميز بها الحصول على الصوان .

لكن بطول التجربة وجد ان الصوان مادة اكثر ملاءمة من غيرها لصناعة الآلات بسبب دقة حبيباتها ووحدة تركيبها حتى لتقرب في ذلك من الممدن ، ولذلك يسهل تشقيقتها في اى اتجاه بسهولة بواسطة الضرب او الضغط لاسيما وانه منتشر في الطبيعة ، ويوجد اما في شكل عروق ( صحائف متصلة متماسكة ) في الطبقات الجيرية او الطباشيرية . اى في طبقات ارساب اولى أو في شكل عقد في طبقات ارساب ثانوى تم بواسطة احدى عوامل النحت والنقل والأرساب . ومن العسير تعريف ماهية الصوان تصريفا وافيا . لكن يمكن القول بأنه عبارة عن سيليك ( لبنية اللون ) هيدراعية تحتوى على نسبة متغيرة من الماء مختلطة بها دون ان تتحد معها .

ويتعرض الصوان للانكسار والتشظية سواء بقوة الطبيعة او بيد الأناسان . ذلك ان الصوان يتمدد بالحرارة وينكمش بالبرودة . ولكنه موصل ردىء للحرارة بممنسى ان السطح وحده هو الذى يتأثر بتغيير الحرارة والبرودة . وأما قلب ( نواة ) الكتلة الصوانية فلا يستجيب للانكماش والتمدد اللذين يتعرض لهما السطح . وينتج عن هذا تشقق السطح وانفصال شظايا منه . ويكثر هذا النوع من الشظايا في الطبيعة حتى لتبدو كأنها آلات من صنع الأناسان . غير انها تعتبر آلات زائفة . لقد أصبح في الامكان بعد تقدم دراسة صناعات ما قبل التاريخ التفرقة بين الانكسارات





الصدفية او الحزازية ( وبنى اعسم الانكسارات الطبيعية ) التسي  
تنشأ بفعل العوامل الطبيعية وبين الانكسارات التي تحدث بفعل الانسان ، والتمييز  
بين الشظايا الطبيعية والشظايا البشرية اى التي هى من صنع الانسان سواء بواسطة  
الضرب بمطرقة ( خشبية او حجرية ) أم بواسطة الضغط وهما النوعان الرئيسيان  
من التشظية ( أى فصل الشظايا عن نواة الكتلة الصوانية ) . كذلك قد تتعرض الآلة  
الصوانية للتآكل والتلف بسبب عوامل التصرية المختلفة كالرياح المحملة بالرمال او الانهار  
الجارية او الثلجات ، فهل يعتبر تآكل الآلة دليلا على قدمها ؟ الواقع — كما  
ذكرنا من قبل — ان الآلات الصوانية الجديدة المظهر قد تكون هى القديمة فصلا  
ولكنها احتفظت بجدها لانها وقمت في طبقة طينية فظلت بمنجى . من عوامل  
التصرية المختلفة ، بينما الآلات القديمة المظهر قد تكون هى الحديثة فعلا ولكنها  
وقمت في مجرى نهر فحملها التيار وجعلها تندرج في المجرى وتحتك بالحصى  
والرمال فأدى ذلك الى تآكل ونعومة حافاتها الحادة وانفصالها بوجه عام . وتؤخذ  
آثار التدهور في الآلات الصوانية دليلا على انها منقولة بموامل طبيعية من مكانها  
الأصلى الذى صنعت فيه ، أو قد تقع الآلات الصوانية في طريق نهر جليدى فيجرفها  
أمامه ويخدش سطحها وتتغير معالمه الأصلية ، أو قد تتعرض للرياح المحملة بالرمال  
الصحراوية فيتقشر سطحها وينعم بسبب تعرضه للطويل للرمال التى تذروها الرياح .  
وشمة تفسير طبيعى آخر يطرأ على الصوان وهو التلون . ان الصوان في حالته النقية  
لا لون له ولكنه يتلون تلونا باطنيا بسبب احتوائه على بعض المواد الخريبة فيكون  
اسود اللون اذا احتوى على مواد فحمية كما يكون لونه رماديا او عسليا تبعا للمواد  
الخريبة الأخرى . كذلك قد يتعرض الصوان للتلون السطحى ان وجد في أى ارساب  
جيولوجي . ويحتوى كل ارساب جيولوجي على تكوينات معدنية او كيمياوية . وكثير من  
هذه التكوينات قابل للذوبان في الماء . فانما وجدت قطعة من الصوان في ارساب  
من أى نوع ( عضوى او رملى أو حصى أو طفلى ) به بعض الرطوبة فان هذه القطعة  
الصوانية تتكون بالوان كالأحمر والاصفر والاحمر بسبب تعرضها لمحلل كيمياوى  
أو معدنى . لذلك ان سطح الصوان يصبح ساميا فيمتص الاملاح المعدنية من هذه  
التكوينات الملامسة له من رمل او حصى او طفل او نبات فيتلون بالوانها . ويضاف الى  
ذلك تصفيد آخر لوان الصوان الأسود الذى يتعرض للتلون يكتسب سطحه  
بطبقة بيضاء تكسب القطعة كلها لونا شبه أزرق . وللصوان قشرة جيرية تقيه التقلبات  
الجوية فانما زالت القشرة وتعرض الصوان للعوامل الجوية لأنه كان ظاهرا على



سطح الأرض او تعرض لمياه المطر المتسرب الى باطن التربة لأنه كان مدفونا فيها ، فان سطح الصوان في حالتين الحاليتين يتعرض لتغير كيمائى يودى الى تغير لونه ، ويظل باطن الصوان محتفظا بلونه الاصلى . ولقد ذكرت أن الصوان يتكون من سيليكات و ماء . وفي بعض الظروف يتبخر الماء من الطبقة السطحية لقطعة الصوان فتصبح هذه الطبقة مكونة من سيليكات فقط وبذلك يختلف لونها عن لون قلب قطعة الصوان التى ما زالت محتفظة بمائها . وهناك نوع من التلون لا يكتسب فيه الصوان لونها واحدا بل يكون ذا بقع متعددة الألوان ( ارقش ) . وبمساعدة التلون ومعرفة اللون الذى يعطيه كل معدن يمكن ارجاع قطعة الصوان المكتشفة على السطح الى الطبقة الجيولوجية التى اخذت منها كما يمكن تصنيف الآلات الصوانية الى الوانها المختلفة وارجاع كل لون الى منطقته الاصلية . وتتخذ درجة التلون عاملا مساعدا لتحديد عصر الآلات الصوانية بالاضافة الى العوامل الأخرى . لكنها وحدها عامل غير موثوق به لأن طبيعة التلون ودرجته تتوقفان على ظروف كثيرا ما تكون عرضية .

بهذه المقدمة نكون قد مهدنا للكلام عن الزمن الحجرى عصوره بأدعيمن العصر الحجرى القديم الذى ذكرنا انه ينقسم ايضا الى فترات أو عصور فرعية ثلاثة : أسفل واسط واعلى . ولنقصر الحديث ان من العصر الحجرى القديم الأسفل ( Lower Paleolithic ) :

كلمة اسفل هنا تعنى الأقدم حيث أن الآته المصنوعة غالبا من الصوان قد عثر عليها في الطبقات الأرضية السفلى ، وبهذه بدهة اقدم من الوسطى والمليسا . هذا العصر امتد — كما ذكرنا — من حوالى سنة ٥٤٠.٠٠٠ الى سنة ١٢٠.٠٠٠ . وقد ظهرت فيه حضارتان هما :

أ — الحضارة الابيفيلية : Abbevillean Culture ( ٥٤٠.٠٠٠ — ٤٥٠.٠٠٠ ) . سميت كذلك نسبة الى أبيفيل ( Abbeville ) وهو مكان بحوض نهر الماسان الى الشرق من باريس . وكانت الى وقت قريب تسمى بالحضارة الشيلية ( Chellean Culture ) نسبة الى شيل ( Chelles ) ، وهى بلدة قريبة من ابيفيل . ولذلك تسمى هذه الحضارة احيانا بالابيفيلية — الشيلية .



(١) ب - الحضارة الأشولية: Acheulian Culture (٤٥٠.٠٠٠ - ١٢٠.٠٠٠ ق م) سميت كذلك نسبة الى سانت اشول ( St. Acheul ) وهى إحدى ضواحي مدينة اميان بحوض نهر السوم (٢) في شمال فرنسا .

وجدير بالذكر انه قد تفرعت من هاتين الحضارتين حضارات او بالأحرى كان لهما وجهه تحمل اسماء أخرى تبعا لاختلاف المناطق او الانماط .

وترتبط هاتان الحضارتان بالنوع الأول من الإنسان القرد منتصب القامة ، وان كان من الأفضل عدم الربط بين التقاليد الحضارية وبين نوع ص معين من الإنسان . فقد توصل انسان ذلك العصر الى صنع آلات من الصوان لسد حاجته الاساسية الى الطعام ، والدفاع عن نفسه وكانت وسيلته للحصول على الطعام هى صيد الحيوانات وجمع الثمار ، واستخراج جذور النباتات الصالحة للأكل من الأرض . هذا فضلا عن ادوات أخرى من الحجر ايضا لازمة لتكسير عظام الحيوانات ، وقطع لحمها ، وسلخ جلودها ، أو لقطع فروع الشجر ، واسقاط ثماره . وكان الانسان لا يزال جامعا للطعام ( food-gatherer ) ومستهلكا له ، ولم يكن قد اصبح بعد منتجا للطعام ( food - producer ) . وتتميز أغلب الآت هذا العصر بانها كانت تصنع من قلب اى من نواة كتلة الصوان بمعنى ان الإنسان الأول كان يزيل ما يستطيع ازالته من شظايا ( flakes ) كتلة الصوان ويترك النواة ( core ) كما هى لتكون هى الألة المطلوبة ثم يكتفى بشطف ( chopping ) النواة من طرفها ليجعل لها حافة حادة قاطعة ، وان ظلمت الجوانب متمرجحة غير منتظمة . هذا العصر اذا يتميز بالآلات الصوانية المصنوعة من النواة وليس من الشظايا ، ولذلك تسمى الآت الحجرية بالآت النواة ( Core implements ) وصناعته باسم صناعة النواة ( Core technique ) . وأهم آلة حجرية في ذلك العصر وأكثرها انتشارا هى المسماة خطأ بالفاس اليدوية ( hand - axe ) لكنها فى الحقيقة لم تكن سوى كتلة من الصوان يراعى عند اختيارها ان تكون لها قاعدة مناسبة لقبضة يد الإنسان وملساء لا تؤذى كفه ، ثم بشطف

---

(١) من الفترة غير الجليدية أى الدفيئة بين جونتز ( Gunz ) ومندل ( Mindel ) الى الدورة الجليدية رس - فيرم ( Riss - Würm ) .  
(٢) ينبع السوم في الشمال ويتجه الى الشمال الغربي نحو القنال الأنجليزى .



بشطب طرفها ليكون لها حافة قاطعة تساعده على استخدامها في شتى الأغراض لأن  
التخصص في صناعة الآلات لم يبدأ إلا في العصر الحجري القديم الأعلى . وتسمى  
هذه الآلة الصوانية في الانجليزية ( hand - axe ) وفي الفرنسية  
( coup - de - poing ) (١) وفي الألمانية ( Faustkeil ) ولذلك يسمى طراز  
صناعتها احيانا بطراز " قبضة اليد " . وفي الحضارة البيفيلية - الشيلية كانت  
الآلات الحجرية بوجه عام مصنوعة بطريقة فجة وليس لها اشكال خاصة متميزة ، ومن  
بينها المكاشط ( scrapers ) والشواطير الثقيلة ( s pokeshove ) ، والمثاقب  
( broer ; point ) ، وهي مشدبة من وجه واحد . ومن أهمها - كما ذكرنا -  
الفأس اليدوية ، وهي مشدبة بطريقة فجة من الوجهين ومن ثم تسمى آلاتها احيانا  
" بذات الوجهين " ، وشكلها كالكمرى أى لها طرف مدبب وآخر مستدير ، والحافة  
غير منتظمة أى متعرجة او متموجة .

ولا تختلف الحضارة الاشولية عن البيفيلية الا من حيث الدرجة بمعنى  
ان صناعة آلاتها الحجرية تطورت فاصبحت ادق وامهر ، ومظهرها أجمل واكثر  
تناسقا ، وبصنيتها اصغر حجما . واشكالها اكثر تنوعا ، فالفأس اليدوية اصبحت تشبه  
اما الكمرى أى ذات قاعدة كروية وطرف مدبب أو تشبه بيضة النعام ( ovate ) أى  
اقرب الى الاستدارة في القاعدة والطرف الآخر او ذات شكل سطح ( cleaver ) ،  
وهو شكل كان نادرا في اوروبا ومنتشرا خارجها ، ولا يصلح الصوان في صناعته بل  
حجر آخر كالكوارتز (١) . وأما المكاشط فاصبح بعضها ذات حواف منتظمة الاستدارة  
واطراف مدببة مستدقة . واصبح شكل الشواطير بيضاويا او مربعا ذات حواف متعرجة .  
ومع هذا فان الرأي يتجه الآن الى اعتبار الحضارتين حضارة واحدة من عدة وجوه .

ويبدو ان الحضارة البيفيلية - الاشولية برغم اسمها قد ظهرت أول ما ظهرت  
في افريقيا وحول الهوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط وامتداده جنوب البحر  
الاسود . وكانت تتميز - كما ذكرنا - بالفأس الحجرية اليدوية . ثم انتقلت تقاليد  
هذه الحضارة بالهجرات الى اوروبا : شمال فرنسا وجنوب انجلترا . وقد عرفت  
هناك في فترة تالية باسم الحضارة الكلاكتونية Clactonian Culture ( نسبة

---

(١) أما الفأس اليدوية ذات الشكل الشبيه بالقلب ( cordate - cordiform ) فلم  
تظهر الا في العصر الحجري القديم الأوسط ( المستيري ) .





الى Clacton-on-Sea في منطقة اسكس Essex بانجلترا ) . وهى عنسارة  
آلاتها الحجرية مصنوعة من شظايا الصوان لا من النواة ، وقد جاء بها قوم مهاجرون  
من اوراسيا حلوا محل اصحاب الحضارة الأيفيلية في اورويا . ولا نعرف اذا كان اصحاب  
الحضارة الكلاكتونية قد أثروا في اصحاب الحضارة الاشولية هناك ام تأثروا بهم . وأما  
في جنوب شرقي آسيا وشرقها حيث كان يسود انسان جاوه وانسان الصين فقط  
نشأت حضارة مختلفة في صناعتها عن صناعة الفأس اليدوية وأقل تقدما منها وتمصرف  
الآتها الحجرية باسم آلات الشطف ( Choppers & chopping tools ) .

وجد ير بالذكر انه في المرحلة الأخيرة من العصر الحجري الأسفل ظهرت  
في اورويا طلائع حضارة متمترارهاصا لحضارة المصر التالى وهو الحجرى القديم  
الأوسط . وتمصرف باسم الحضارة الليفالوازية ( Levalloisiam Culture ) نسبة  
الى ( Levallois-Perret ) احدى ضواحي باريس . وتجمع هذه الحضارة بين  
مظاهر الحضارة والاشولية والحضارة الموسستيرية التالية . وقد عاشت مع الحضارة  
الاشولية المتأخرة جنبا الى جنب فترة من الزمن وتأثرت كل منهما بالأخرى . وانتشرت  
من غرب اورويا الى وسطها وشرقها . ومن اوراسيا انحدرت عن طريق فلسطين السى  
شمال شرق افريقيا ووسطها حتى تنجانيقا . كما انتشرت في مصر حتى الواحات  
الخارجية . وفي رأى بعض الباحثين ان اصحاب الحضارة الليفالوازية هم انفسهم  
اصحاب الحضارة الأشولية لكن الأرجح انهم كانوا مختلفين عنهم ، وان حضارتهم  
— هى والحضارة التايسانية ( Tayacian Culture ) المشابهة التى نشأت بجوارهم  
في وسط اورويا وشرقها وبلغت فلسطين — وهى ايضا حضارة شظايا ، ربما انحدرت  
من الكلاكتونية وساعدت على ظهور حضارة انسان نياندرتال المسماة بالموسستيرية  
في العصر الحجري القديم الأوسط . وتتميز الحضارة الليفالوازية بصناعة الآلات من  
شظايا الصوان لامن النواة . ومن بينها آلات حجرية قصيرة عريضة وأخرى طويلة  
رفيعة . لكن الفترة الأخيرة من هذه الحضارة تتميز باختلاف صناعتى الشظايا والنواة ،  
لأنها تحمل صفات مشتركة من كل من الصناعتين . وتتميز آلات الحضارة الليفالوازية  
المصنوعة من النوى بشكلها شبه البيضاوى وأن أحد الوجهين مقبى ( محدد )  
بدرجة أكثر من الوجه الآخر ومن ثم فانه هذا الشكل يعرف باسم " نوى السلحفاة "  
( Tortoise Core Technique ) .



ب - العصر الحجري القديم الأوسط ( Middle Paleolithic ) ( ١٢٠.٠٠٠ - ٧٠.٠٠٠ ق م ) ( ١ )

كانت الحضارة السائدة في هذه الفترة هي الحضارة الموستيرية ( Mousterian Culture ) نسبة الى Le Moustier وهو مكان في حوض نهر رودوني بجنوب فرنسا . وتتميز آلاتها الحجرية بأنها مصنوعة غالبا من شظايا الصوان وليس من النواة كالمكاشط الجانبية أي ذات الحافة القاطعة من جانب واحد، والسكاكين ذات الشكل المربع الاضلاع ، والمحتات ( المحكات ) ، والفؤوس اليدوية المألوفة من قبل . وأهم منها وأشيع هي الآلات المدببة او المدببات ( points ) التي كانت تستخدم كروءوس حراب أو أسنة رماح . وربما كانت هذه هي أقدم آلات ركبت لها يد . وتتميز الصناعة الموستيرية عامة بتشذيب ( تهذيب أو عرقة ) الحافات القاطعة في الآلات بمهارة ويقصر هذه الآلات او دقة صنمها ، وتعدد اشكالها . كما أن بعض الأدوات مصنوعة من العظم والخشب .

ولم يكن الإنسان ، الذي تقترب به غالبا هذه الآلات ، وهو من نوع نياندرتال ، يمشي في الصراة مرتحلا او متجولا بل كان يتكدس في الكهوف فأصبح جسمه اقرب حجما وعضلاته اقل قوة ، واستتبغ ذلك تفسيرا في حجم آلاته فصارت - كما ذكرنا - صغيرة ودقيقة . ومن ناحية أخرى ساعدت هذه الحياة الجماعية على تقدمه الاجتماعي والعقلي ، ومن المرجح انه كان قادرا على الكلام عارفا باللغة معرفة محدودة . ويستعرض الانتباه انه كان يدفن موتاه ، وهذه بداية لظهور الوعي الروحي . لعله - كما يستدل من بعض رسومه - بدأ يفكر في السحر ، وهو مقدمة لظهور الدين ، ومن الغريب انه رسم صوراً وصنع تماثيل فجأة لحيوانات ما قبل التاريخ لكنه عجز عن رسم صور لنفسه أو للإنسان . لعل ذلك يرجع الى خوفه وتهيبه من الروح التي تسكن جنبه . ولا تظهر رسوم الإنسان الا مع حضارة العصر الحجري القديم الأعلى .

وعندما دهمت انسان نياندرتال طلائع جليد الدورة الجليدية الأخيرة ( Würm ) شاجرت جماعات من هذا الإنسان من غرب أوروبا الى مناطق

( ١ ) ظهرت في النصف الثاني من الفترة غير الجليدية الأخيرة ( Interglacial ) وعمرت حتى أوائل الدورة الجليدية الأخيرة ( فيرم ) .



ادفاكافريقيا عن طريق جبل طارق ومالطه وصقلية، ونشأت بالتالى في شمال افريقيا حضارة موسثيرية عرفت محليا باسم الحضارة المطرية (Aterian Culture) - نسبة الى بحر العطر في جنوب تونس- وقد تطور سن الرمح الموسثيرى عند اصحاب الحضارة المطرية فأصبح سهما حقيقيا يتكون من شظية محترقة الحافات بصفة عامة، والقاعدة بصفة خاصة . وتعتبر هذه الآلة المدببة ذات القاعدة المشابهة للسان أول دليل موثوق به على معرفة القوس واستعماله . وقد انتشرت هذه الحضارة شرقا الى ليبيا والى المنطقة الصحراوية المتاخمة لوادى النيل مباشرة وظهرت في مصر بالاقصر والعباسية والجبل الأحمر .

ج - العصر الحجري القديم الأعلى : ( Upper Paleolithic ) (١)

( ٧٠.٠٠٠ - ١٢.٠٠٠ )

ظهرت في هذا العصر عدة حضارات اهمها ثلاث، وقد تسمى بخير الأسماء الآتية في مناطق غير اوروبا :

١ - الحضارة الأورنياسية : ( Aurignacian Culture )

٧٠.٠٠٠ - ٤٠.٠٠٠ ق م .

وقد سميت كذلك نسبة الى كهف اورنيك ( Aurignac ) في حوض نهـر الجارون الأعلى في جنوب غرب فرنسا .

٢ - الحضارة السوليترية : ( Solutrean Culture )

٤٥.٠٠٠ - ٣٥.٠٠٠ ق م .

سميت كذلك نسبة الى كهف ( Solutré ) قرب مآلون بوادى نهري الساءون- اللوار .

٣ - الحضارة المجدالينية : ( Magdalenian Culture )

٣٥.٠٠٠ - ١٢.٠٠٠ ق م .

سميت كذلك نسبة الى ( La Madelaine ) في حوض نهـر دوردونسى بجنوب غرب فرنسا .

---

(١) يرجع الى الأب هنرى بريك H. Breuil ( ١٩٠٥ - ١٩٦١ ) فضل كبير فى عمل التقسيمات الحضارة لهذا العصر .



صانع هذه الحضارات وغيرها في ذلك العصر هو "الإنسان العاقل" الذي بدأ ينتشر ويسود في الأرض منذ ١٠٠.٠٠٠ سنة واستأثر بالسيطرة عليها وحده بعد انقراض إنسان نياندرتال تماما منذ ٥٠.٠٠٠ سنة . وقد طرأ على صناعة الآلات في العصر الحجري الأعلى تقدم سريع فأصبحت أدق ، وأخف وزنا ، وأكثرها تنوعا . والصناعة الرئيسية من الصوان في هذا العصر هي صناعة النصال ( blades ) حتى ليتمكن أن تسمى حضارته " بحضارة النصال " مثلما سميت حضارة العصر الحجري القديم الأسفل " حضارة النواة " ، والقديم الأوسط " بحضارة الشظايا " . وأهم الآلات في هذا العصر هي المكشط والمحت ( المحك ) ، والمنحت ( graver ) والسكين الخشن الظاهر ومكثمها من النصال . واستخدمت للقطع أو للسليخ أو لصنع وتشكيل أدوات من قرون الرنة أو لحفر النقوش والصور ونحت التماثيل . وأهم من ذلك أنه ظهرت في هذا العصر بواكير فن الكهوف ( Cave- Art ) كالنقش والنحت والرسم بلون واحد وعمل تماثيل من العاج وصناعة حلى كالعقود من الصدف . ويعتبر غرب أوروبا من أول المناطق التي ظهر فيها الفن التصويري للإنسان . وأما عن النصال من الصوان فيبدو أنها بدأت أولا في منطقة جنوب غرب آسيا ( في الجهات الداخلية أو الخلفية للبحر الأبيض المتوسط ) ثم انتشرت من هناك نحو غرب أوروبا . وقد امتاز طابع حضارة العصر القديم الأعلى بالتمدد ، وسرعة الانتشار مما أدى إلى قيام نوع من التجانس الحضاري بين عدة أماكن متباعدة ، ويذكرنا بذلك التجانس أو التشابه الذي تميز به طابع الحضارة الألفية الأشولية في العصر الحجري القديم الأسفل .

#### ١ - الحضارة الأورينية : ٧٠.٠٠٠ - ٤٥.٠٠٠ ق م .

وفدت إلى غرب أوروبا مع هجرتين أحدهما من أفريقيا والأخرى من آسيا وأولى أسبق من الثانية في الزمن . ومن أشهر آلات هذه الحضارة في مراحلها الأولى الآلات المدببة ذات السن المنحني والشهيرة باسم ( Audi points ) والمكشط الصواني ذو الأنف ، والمدببات المظحية التي تتركب في يد أو عضا ، وهي ذات قاع مسد مستديرة مشقوقة .

وقد ثبت الآن أنه قد سبقتهما إلى الظهور في فرنسا حضارة تنسب إلى شاتل بيرون ( Chatelperron ) وهي التي طرد أصحابها إنسان نياندرتال من غرب أوروبا ، وتلت الحضارة الليفالوازية - الموسستيرية هناك . وهي أيضا وافدة من

( ١ ) أودي ( Audi ) كهف قرب شاتل بيرون في فرنسا .





( جنوب روسيا وسيبيريا ) حيث كانت تعاصرهما او تسبقهما في الشرق الأدنى " حضارة الطابون " بجبل الكرمل . وأهم آلتها الصوانية السكاكين العريضة المثلمة على امتداد إحدى عافاتها . وتكثر بها أيضا المكاشط ذات الطرف وهي مصنوعة من النواة في الغالب ، والآلات ذات الطرف المحرّفت الشبيه بالمزمار ، والمحتات ذات الزوايا . ويقال الآن أيضا ان الحضارة الأورينية اعقبتها حضارة متعيزة عنها تماما تعرف بالحضارة الجرافيتية ( Gravettian Culture ) ، ويمتد أنها هي حضارة شاتل بيرون في ثوب جديد لأن صناعة آلتها تحمل صفات متطورة من صناعة آلات شاتل بيرون ، فنجد ظهر آلتها مستقيما وليس منحنيا كما كان ، لكنه ينحني بميل فجائي الى موضع السن . وقد ترك أصحاب هذه الحضارة المذكورة رسوما على جدران الكهوف . كما اشتهر اصحاب الجرافيتية بتماثيلهم النسائية الصغيرة المسماة بتماثيل فينوس ( Venus statuettes ) وهي مصنوعة من ناب الماموث ( فيل بائد ) . ومن الجائز ان لهذه التماثيل علاقة بعبادة الأرض الأم ، ربة الاعصاب .

٢ - وأما عن الحضارة السوليتيرية ( ٤٥٠٠٠ - ٣٥٠٠٠ ق م ) فهي حضارة محلية بمعنى انه ليس هناك ما يدعوا الى الافتراض بانها وفدت مع حجرة من الشرق . والآلات هذه الحضارة مصنوعة أيضا من الشظايا ولكنها مصقولة في كل موضع منها حتى لتبدو وكأنها آلات رفيعة من النواة . والصناعة السوليتيرية هي من النوع الذي يحتاج الى دقة وصبر طويل ، وتتميز بالتخصص التام بين الآلات فهذه الآلات للقتال ، وتلك الآلات للقطع وأخرى للخدمات المنزلية . ومطبيعة الحال يمكن تمييز هذه عن تلك من اشكالها . ويصم فيها نوع جديد من التشظية وهو عن طريق الضغط ( Pressure flaking ) . ومثال ذلك النصال التي على شكل ورق الفار ( Laurel-leaf blades ) ، ولوان هذا لم يمنع استمرار التشظية بواسطة الطرق ( Strike flaking ) . ويلاحظ ان النصال مشظاة من الوجهين بمهارة ، وهي رفيعة وطولها ثلاثة اضعاف عرضها ، ومدببة من الطرفين ، وان كان احدهما أكثر تسننا من الآخر . وقد تميزت هذه الحضارة في الفترة المتأخرة بنصال صفيحة مدببة وبها عزّ جانبي واحد عند القاعدة ، وهي على شكل ورقة الصفصاف ( Willow-leaf blades ) . وبذلك يبلغ فن تشظية الصوان في العصر الحجري



القديم نروته . ويلاحظ استمرار فن الكهوف في فترة الحضارة السوليتيرية . وقد اضمحلت هذه الحضارة عند نهاية فترتها . وعادت الحضارة الاورنياسية الى الظهور من جديد لكن في شكل او ثوب آخر باسم الحضارة المجدلينية .

### ٣ - الحضارة المجدلينية : ٣٥٠٠٠ - ١٢٠٠٠

هي أطول حضارات العصر الحجري القديم الأعلى عمرا في غرب أوروبا ، ان مكنت حتى نهاية عصر البليستوسين . وكان لها ست مراحل وتمتيز آلاتها المصنوعة من الصوان استمرارا للآلات الاورنياسية ولا تحمل من الخصائص السوليتيرية شيئا . ويلاحظ اختفاء تشظية الصوان بطريق الضغط . وفي اوائل هذه الحضارة تظهر آلات شبيهة بالآلات الاورنياسية كالمكشط والمخراز ( awl ) والنصل الخشن والمنحت ( graver ) الذي ظل أهم آلات أصحاب هذه الحضارة الذين استخدموه لنحت أدوات من القرون والحظام . ويتميز المنحت بأنه على شكل منقار الببغاء . لكن يلاحظ أن الآلات الصوانية اصبحت دقيقة الحجم بحيث أن طولها لا يتعدى ١٢ سم وعرضها ٣ سم . وتمتيز هذه الآلات الصغيرة والتي كانت الواحدة منها أو الاثنان تثبت في يد من الخشب باكورة الصناعة المسماة " بالصناعة الميكروليثية " أو القزمية التي سوف تسود في العصر الحجري المتوسط .

ولما كانت الحضارة المجدلينية في أوروبا هي حضارة جماعات من صيادي السمك والرنة ، فقد قلت بالتدريج الآلات المصنوعة من الصوان ، وكثرت الآلات المصنوعة من قرون الرنة ، والحظم ، والمعاج ، وفي الحق ان مصنوعات هذه الحضارة من قرون الرنة وماشابهها هامة ومثيرة . ففي اواسط هذه الحضارة ظهرت حربة صيد الحيتان والأسماك الكبيرة ( harpoon ) ذات الصف الواحد من الأسنان ثم ذات الصفيين من الاسنان . وتطور سن الرمح ( javelin point ) تطورا كبيرا ، وتنوع شكله وظهرت عصا ( من قرن الرنة ) كانت تستعمل لشد القوس وتسمى بمصا الرياسة ( Bâton de Commandement ) حيث كان يظن انها عصا يحملها رئيس الجماعة . وبعض هذه العصي مزخرف في طرفه بمقبض على شكل حيوان أو طائر . وانتشرت الابر المصنوعة من الحظم والمعاج . وكانت أول ابرة لها عين قد ظهرت في أواسط الحضارة السوليتيرية . وقد اصبحت صناعة الابر متقنة في الفترة الأخيرة من الحضارة المجدلينية .



وأهم من ذلك تطور الفن إذ يعتبر الفن المجدليني بمثابة قمة ازدهار فن الكهوف (Cave-Art) في العصر الحجري القديم كله . ويظهر في شكل نقوش أو رسوم عادية ، وصور متعددة الألوان على جدران الكهوف وسقوفها وهي ما تمسرف بالافرسك frescoes ، فضلا عن منحوتات بارزة وتماثيل . ففي الحضارة الاوريناسية السابقة التي ظهر فيها الفن لأول مرة في عصر ما قبل التاريخ ، كانت الأشكال عبارة عن مجسمات أو بالأحرى نقوشا محفورة حفرا عميقا . وكانت الرسوم كروكيسمة أى تخطيطية ، والمناظر بروفييل أى جانبية ، وخالية تقريبا من أى تفصيلات . وكانت الحيوانات المرسومة على جدران الكهوف دائما في وضع ثابت لا حركة فيه . وكسان الفنان يرسم كل حيوان على حدة . ولم يستعمل سوى لون واحد برغم محاولاته الأولية في التظليل . وأما في الحضارة المجدلينية فقد اتسم الفن بالحركة والحيوية وصدق التعبير والمحافظة . فنجد الحيوانات مرسومة في اوضاع مختلفة متحركة كالمشى والجرى والصراك . وهي تصور في المادة بكل ارجلها الاربع ، بل احيانا بحوافرها مع بعض تفصيلات أخرى ، بل ان فنان الكهف المجدليني اصبح عند أواخر هذه الحضارة يرسم الحيوانات قطعانا لا فرادى . لقد بلغ فن التصوير ذروته باستخدام عدة الوان في الرسم وتظليله ، ومنع هذه الألوان التي كان من بينها الأصفر والأحمر والأسود ، واستعمل في تكوينها باكسيد الحديد والمنجنيز . واشهر مجموعة من الصور الجدرانة الملونة أو الافرسك ( frescoes ) هي التي اكتشفت في سقف كهف التاميرا ( Altamira ) في البرانس بأسبانيا عام ١٨٧٩ ، وأثارت دهشة العالم كله . ومن بين الرسوم صور تمثل حيوان البسيون ( وهو حيوان بائد شبيه بالجاموس أو الثور ) والخنزير البرى . ( ١ ) وتليها المجموعة التي اكتشفت في لاسكو ( Lascaux ) الدردوني بجنوب فرنسا عام ١٩٤٠ . وهي أقدم من الأولى زمنيا ( منذ ١٦٠٠٠ مضت ) .

وثمة ملاحظة عامة عن " فن الكهوف " . فقد لوحظ ان هذه الرسوم والصور والنقوش توجد على الجدران والسقوف في داخل الكهوف على اعماق بعيدة أو ارتفاعات شاهقة حتى ليصعب الوصول اليها في الوقت الحاضر . لا بد ان أن انسان الحضارة المجدلينية قد توصل الى وسيلة تمكنه من الصعود الى مثل هذا الارتفاع ( ١٧ مترا ) ، والى مصرفة اصطناع نور يضئ له اعماق الكهف المظلمة حتى يستطيع

---

( ١ ) كذلك عثر على رسوم الافرسك ( الجدرانية ) في كاستيللو Castillo ( سنتاندر ) بأسبانيا أيضا .



انجاز اعماله الفنية . ولقد قيل ان هذه الرسوم ما هي الا زخرفة لتزيين الكهف الذى يقيم فيه هذا الانسان . لكن يبدو أن الأمر كان أعمق من ذلك مغزى لأن هذه الرسوم - كما ذكرنا - توجد في الأجزاء الداخلية والعميقة من الكهف حيث لم يكن يقيم الإنسان إذ دلت مخلفاته على انه كان يقيم عند مدخل الكهف لا في داخله او في اعماقه حيث توجد الرسوم والصور . وعلى ذلك فلا مناص من التسليم بأن هذه الرسوم كانت - على الأرجح - لفرض سحرى أو دينى .

وأما عن تماثيل تلك الفترة فقد صنعها الفنان المجدليني من الطين ( clay ) الموجود بأرض الكهوف، وهي تمثل حيوانات مختلفة . وكان يشكلها بأطراف اصابعه أو بعيدان مدببة . واجعلها تماثيل لحيوان منقرض يسمى بيسون ( bison ) وهو شبيه بالجاموس الأمريكى ( buffalo ) وقد عثرنا عليها في منطقة ارييج ( Ariege ) في جنوب فرنسا . وأغلب التماثيل هي لحيوانات ثديية من بينها الإنسان والبيسون المذكور، والعصان القديم، والنزال الأحمر، وأقلها يمثل الأسد والضبع وكثير منها - على ما يظن - هو من قبيل الابهال الى قوى الطبيعة من اجل زيادة القطيع ووفرته . ويلاحظ ميل فنان الكهوف - بوصفه صيادا - الى تصوير البيسون والرنة بوجه خاص، والى تصوير الاناث من الحيوان والإنسان أكثر من تصويره للذكور . لكن يلاحظ أيضا ندرة التماثيل النسائية الصغيرة ( Venus statuettes ) التي ترمز للاخصاب وتمتاز بها الحضارة الاوريناسية السابقة . وقد حلت محلها في الكثرة تماثيل الحيوانات المصنوعة من العاج . وغالبا ما نجد بهذه التماثيل ثقوبا ما يدل على انها كانت تعلق في الرقبة اما كعلية او تيمية لمنع المرض والحسد والأرواح الشريرة . كما أن بعض آلات هذه الحضارة - كما ذكرنا - كانت تزين بمقايض على شكل حيوانات وطيور، ومثال ذلك عصي الرياضة وقاذفات السهام . وأخيرا فقد كان انسان هذا العصر بجمع الحصى من الشواطىء ويرسم عليه بالألوان اشكالا مختلفة كالدوائر والخطوط الحلزونية، والمتعرجة والمتوجة، والاشرطة، وعلامات شبيهة بالحروف الابجدية . ويبدو أن هذا الحصى المنقوش ( painted pebbles ) لم يكن سوى تسويدات للتمرين على الرسم بدليل أنه يوجد عليه رسوم متداخلة أو متقاطعة ( بعضها فوق بعض ) .

ويطلق على فترة الحضارة المجدلينية اسم "عصر الرنة" لأن هذا الحيوان يكثر في اوائلهما ويتوغل جنوبا حتى شواطىء البحر الأبيض المتوسط بينما يقل النزال الأحمر بسبب اشتداد البرد . وفي الحق ان انسان هذه الفترة ( نوع شانسلبيد ) (١)





كان يعيش حياة قريبة الشبه من حياة الاسكيمو في الوقت الحاضر . لكن في اوائل هذه الحضارة ينعكس الحال ويكثر الغزال الأحمر ما يدل على ظهور الدفء . كذلك انتشرت في أواخرها الغابات لظهور الدفء أيضا .

الموان الأصلى الذى نشأت فيه الحضارة المجدلينية هو جنوب غرب فرنسا وشمال اسبانيا . ومن هناك انتشرت الى عدة اقطار أخرى في اوروبا ليست ايطاليا من بينها . كما ظهرت حضارة مشابهة لهما في سيبيريا ( وادى نهر ينيسس ( Ienissiei ) . وكانت تقابلها في شمال افريقيا بحضارات ظهرت في أعقاب " الحضارة العظيمة " عند أواخر العصر الحجري القديم الأعلى ، وكلها حضارات نصال ، وأهمها :

أ - حضارة الدبة ( Dabba Culture ) :

انتشرت في برقة . ويمتد ان اصحابها وفدوا من الساحل الشرقى للبحر المتوسط .

ب - الحضارة الوهرانية ( Oranian Culture ) ( ١ )

انتشرت على السفوح الشمالية لسلسلة جبال أطلس وبخاصة في المغرب ويمتد أن منشأها يرجع الى هجرة اسبانية حدثت بين عامى ١٥٠٠٠ - ١٢٠٠٠ ق م .

ج - الحضارة القفصية ( Capsian Culture ) :

انتشرت على السفوح الجنوبية لجبال اطلس في مواجهة صحراء الجزائر وتونس . وترجع المرحلة الأولى منها الى حوالى عام ١٨٠٠٠ ق م . وتتميز هذه المرحلة بنصال مقوسة ( Audi points ) تشبه الى حد كبير نصال حضارة شاتلبيرون في غرب اوروبا . وأما المرحلة المتأخرة منها وهى القفصية العليا التى انتشرت شمالا وشرقا على امتداد ساحل البحر المتوسط فكان من بين آلاتها ادوات حجرية صغيرة او ميكروليثية واضحة وهى تنتمى الى العصر الحجري المتوسط الذى جاء في اوروبا عقب انتهاء الجليد .

( ١ ) وتسمى أيضا بالحضارة الأيبيرية - المراكشية أى الأسبانية - المغربية .



وتنبئ الإشارة هنا الى ذلك الفن الصخري الافريقي الذي ظهر في اواخر فترة الحضارة القفصية ويتمثل في صور ورسوم منحوتة في الصخور على امتداد الحافة الجنوبية لجبال اطلس . وفي عضبة الهجارة في الجنوب ، وفي انحاء متفرقة في جنوب طرابلس ، وعضبة تيمسى والجلف الكبير ، وفي بلاد النوبة . ولهذا الفن الصخري في اطراف الصحراء الافريقية صلة وثيقة بفن الكهوف في شمال شرق اسبانيا الذى كان ماصرا له ، وكذلك بفن الكهوف في بعض مناطق أخرى في غرب اوربا .

### حضارات الشرق الادنى في العصر الحجري القديم

ونختتم هذا العصر الحجري القديم ( الباليوليثن ) بكلمة موجزة عن المواطن التى نُشفت فيها آثاره أثناء مراحل الثلاث بالشرق الأدنى القديم (١) . ومن المواقع

( ١ ) ذكرنا من قبل ( ص ٣ - عما من ٢ ) ان الاكتشافات الجديدة في جنوب افريقيا - ووسطها التى جرت منذ ١٩٢٥ ربما تؤدى الى المدول عن الرأى أو النظرية القديمة بأن جنوب شرقى آسيا ( جاوه والصين ) كان مو الموطن الأول للانسان ( القرد منتصب القامة ) ، وتدعم الاحتمال بأن يكون جنوب افريقيا موطنه الأول . لكن هذه الاكتشافات لاتزال قيد الدراسة ، ونتائجها ليست يقينية أو متفقا عليها من الجميع . وحسبنا الإشارة الى أنه قد اكتشفت بقايا عياكل لأنسان يطلق عليه الآن اسم الاسترالى القرد منتصب القامة ( Homo Anstralopithecus ) لمشابهته لانسان استراليا القديم ، وهو في الحقيقة قريب من البشرات ( hominidae ) اكتشفت في مكابانسجات ( Makapansgat ) وغيرها من المواقع حيث سمي بالانسان الزنجى ( Zinjanthropus ) أو الاسترالى الزنجى منتصب القامة . وحجم جمجمته صغير ( ٥٣٠ سم مكعب ) . وأخيرا في خانق أولد وفاى ( Olduvai ) بتنجانيقا حيث اكتشفت بقايا عياكل عظيمة لانسان يسمونه الانسان الماعز فى استخدام يديه ( Homo habilis ) ، ويتراوح حجم جمجمته بين ٦٧٣ و ٦٨٠ سم مكعب ويرجع تاريخه - وفقا لمكتشفه الدكتور ليكى ( L.S.B. Leaky ) - الى مليون وسبعمائة وخمسين ألف عام مضى ( ٠٠٠ ر ٠٧٥ ) أى أقدم من انسان جاوه وانسان الصين .

وتشبه حضارة هذا الانسان سواء في الموقع الأول أو فى أولد وفاى حضارة العصر الملقوش الملون ( Pebble Culture ) التى المصنأ اليها من قبل . غير انه عثر في موقع ثالث وهو استركفونتين ( Sterkfontein ) على آلات وأدوات شبيهة بالآلات الحضارة الاشولية . ولكن الرأى يختلف فيما اذا كان هذا الانسان الزنجى منتصب القامة هو صانع ما وجدناه من آلات . ويرى كثير من العلماء أنه لسم يكن انسانا صناعا ( Homo faber ) بل انسانا - كما ذكرنا - ماعرا في استخدام يديه ( Homo habilis ) . وجرت اكتشافات في مناطق أخرى من افريقيا مثل كتانجا وكينيا ووادى نهر زامبيزى ، وفي فزان ومراكش في الشمال .



التي اكتشفت فيها آثار للإنسان في هذه المنطقة وترجع إلى " العصر الحجري القديم الأسفل " نذكر المبيدية جنوب بحيرة طبرية ، " وجسر بنات يعقوب " مما يدل على قدم الحضارة بحوض نهر الأردن . وكذلك في " الطابون " بجبل الكرمل حيث عثرت الأنة جارود ( D.E. A. Garrod ) في " وادي المغارة " على بقايا عيكل عظمى لإنسان يعتبر أقدم ما عثر عليه حتى الآن في الشرق الأدنى وكذلك أم قطفة بفلسطين ، وفي بيروت بسوريا ، وسن الفيل قرب بيروت . والأخيرة التي اكتشفها الاستاذ فليش ( R.P. Fleisch ) ذات طابع اشولي وليقالوازي وتايسانى . وأما في مصر فلا توجد مخلفات العصر الحجري القديم الأسفل على شاطئ نهر النيل وإنما توجد في مناطق منعزلة في الصحراء مثل الغاية المتحجرة شرق القاهرة وفي مناطق متفرقة على امتداد الطريق بين الأقصر والواحة الخارجة وبين الصحراء المدفونة ( ابيدوس ) والواحة نفسها ، وبين أسنا وكركور ، وكذلك في بعض الوديان المتصلة بالنيل شمالى اسوان ، وفي سائر السواحل المصرية . بل إن بعضها وجد في المنطقة الواقعة شمالى اهرامات الجيزة وبعضها آلات شيلية - أشولية ، وبعضها الآخر آلات موسيرية . وعلى شظايا من الصوان وجدت بجوار النوى التي فصلت منها ولو ان عددا من هذه الآلات مصنوع من الحجر الرملى أو من الذواتر ، وبعضها بدائي جدا ، وبعضها الآخر فؤوس مثلثة أو هرمية الشكل ( كالتى اكتشفت في مذاقة سن الفيل بجوار بيروت ) وعلى مسطحة وذات وجهين ( لاثلاثة ) ومتعرجة المسافات ودقيقة الصنع بوجه عام . ومن المناطق الأخرى سهل " المباسية " حيث اكتشفت آلات موسيرية الطابع أو موسيرية مختلطة . وثمة منطقة أخرى بالصحراء الشرقية للقاخرة وعلى منطقة " الجبل الأحمر " حيث اكتشفت آلات تختلط فيها الصناعة الشيلية والاشولية والموسيرية .

وتتمثل حضارة " العصر الحجري القديم الأوسط " وعلى الأخص الموسيرية في بعض الأماكن بالشرق الأدنى القديم : في الطابون بجبل الكرمل في فلسطين ونجد آثارها في ليبيا والمغرب . والآلات ذات صناعة ليقالوازي-موسيرية . وأما في مصر فقد اكتشفت آثارها - وأغلبها موسيرية الطابع - في الصحراء وبعضها موجود في نفس المواقع التي وجدت بها آثار المرحلة السابقة كالمباسية ، ومدرجات بركة قارون بالفيوم ، ومدرجات النيل في مصر العليا .



وأما حضارة العصر الحجري القديم الأعلى فقد اكتشفت أثارها بالمغرب وتونس وبنزقة . ومصر . وقد أشرنا من قبل الى الحضارة المسماة بالحضارة "المطرية أو المطرية" ( نسبة الى بحر المطر في تونس ) والتي انتشرت من المغرب الى مصر وشملت الصحراء جنوبا حتى النيجر . وكانت هذه الحضارة تقابل في خصائصها الجوهرية العامة الحضارة الليفالوازية - الموسستيرية . وقد تلتها عدة حضارات مختلفة نشأت فيها آلات دقيقة الصنع أو حتى قزمية (١) . ومن أهمها الحضارة القفصية ( نسبة الى بلدة قفصة بتونس ) ، والحضارة الواعمرانية الاسبانية - المراكشية (٢) بالمغرب ( تافورلت بمراكش ) ، وحضارة الدبة Dabba ( ببرقة ) (٣) والحضارة السبيلية بمصر ( نسبة الى قرية "سبيل" قرب كوم أمبو بالصعيد ) . وبالإضافة الى الحضارة السبيلية في مصر عن اختلاط بين عناصر الحضارة القفصية ( وعن فرع من حضارة المحتات خاصة بشمال افريقيا ومما دللته للحضارات الاورينية والسوليتيرية والمجدلينية ) وبين عناصر الحضارة السوليتيرية المصرية (٤) . وتعتبر الحضارة السبيلية حضارة شبه قزمية أو نصف قزمية لأن آلاتها لم تبلغ في صغر الحجم ما بلغته الحضارة القفصية في مرحلتها الأخيرة . وقد عثر في جهات مختلفة من وادي النيل على آلات يمكن نسبتها الى الحضارة السبيلية .

(١) عن هذه الحضارات راجع ص ٥٣ فيما تقدم .

(٢) تسمى أيضا الأيبيرية المغربية .

(٣) هناك مركز آخر لها في برقة عو طابرا ( عوافتيح ) بالجبل الأخضر .

(٤) لم تنته الحضارة والموسستيرية في مصر مع انتها نظيرتها في أوروبا بل استمرت موجودة حيث تسمى "الموسستيرية المصرية" . وقد انتشرت على حافة الهضبة الممتدة على طول وادي النيل ، أي أن مصر ظلت في مرتبة العصر الحجري القديم الأوسط بينما كانت أوروبا قد قطعت شوطا في العصر الحجري القديم الأعلى . على أن هناك فرقا بين الموسستيري الحقيقي والموسستيري المصري (أو ما قبل السبيلي) . لذلك أن الأخير يمتاز بصغر حجم الآلات سواء ما كان منها مصنوعا من النواة أو من الشظايا . ولذلك يمكن اعتبار ما يسمى "بالموسستيري المصري" حضارة مبكرة من حضارة العصر الحجري القديم الأعلى في مصر . ويتمثل هذا اللون الحضارة في الآثار التي اكتشفها الاستاذ فنيار ( E. Vignard ) عند نجع حمادى ، وأن كان مكتشفها يرى أنها اشبه بالآلات الحضارة الأورينية منها بالقفصية .





العصر الحجري المتوسط ( الميزوليثي )

( ١٢٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق.م )

يحتبر هذا العصر فترة انتقال بين العصر الحجري القديم ( الباليوليثي )  
والعصر الحجري الحديث ( النيوليث ) لأن حضارته تحمل خصائص عذب بين العصرين  
ويمتد بين سنتي ٢٠٠٠ و ٦٠٠٠ ق.م على وجه التقريب ، وان كانت بدايته قد  
تقدمت على سنة ٢٠٠٠ في بعض مناطق ، كما تأخرت نهايته عن سنة ٦٠٠٠ في  
مناطق أخرى . وتتميز حضارته واطوارها المختلفة بظهور الالات الحجرية ذات الشكل  
المهندسي المنتظم والحجم الصغير ، والمسماة بالالات الميكروليثية ( Microlithic )  
أى " الالات الحجرية القزمية " . وهذا الاتجاه اقتضا " تغير الظروف الجغرافية . فقد  
حدث أن تغيرت الحياة الحيوانية والنباتية تبعاً لتغير الأحوال المناخية عقب تقهقر  
الجليد نهائياً نحو الشمال ، فانتشرت الغابات فوق مساحات واسعة وصارت مراتع  
ملائمة لصيد الحيوانات المختلفة . ولعل من الاسباب الرئيسية التي دفعت اصحاب  
حضارة الميزوليث الى تطوير الالات والاتجاه بها نحو " الميكروليثية " عن وفرة الاخشاب  
التي صنعوا منها مقابض لهذه الالات . هذا الى أن حيوانات الغابات أصبحت  
اصغر حجماً من حيوانات الفترات السابقة . ولذلك لم يمد صيد ما يستدعى وجود آلات  
ضخمة ثقيلة . ولعل الحصول على كتل صوانية كبيرة حينئذ قد أصبح <sup>اصعب</sup> مما كان عليه من  
قبل . غير أن كل هذه الاسباب ليست بكافية لتعميل ظهور " الالات الميكروليثية " في  
شئى انحاء العالم ، ان أن هناك مناطق ظهرت فيها مثل هذه الالات مع أن الغابات  
لم تغطها عقب تقهقر الجليد نهائياً . وايا كانت الاسباب فان الصناعة الميكروليثية  
التي انتشرت في العصر الحجري المتوسط قد اكسبت حضارته نوعاً من الوحدة . ولا يعتبر  
هذا العصر بمثابة فترة متأخرة ( Epipalaeolithic ) من العصر الحجري القديم زنيا  
فقط بل حضارياً أيضاً ، وكأنها تمثل " المصور المظلمة " في عصر ما قبل التاريخ . وليس  
ادل على ذلك من أن " فن الكهوف " قد اختفى في ذلك العصر ولم ينشأ ما يحل محله .

وينقسم العصر الحجري المتوسط ( الميزوليثي ) الى عدد من الاعمال

أو الاطوار الحضارية واهرهما هي :



### أ - الحضارة الأزيلية : Azilian Culture

سميت كذلك نسبة إلى كهف ( Mas d'Azil ) على الضفة اليسرى من نهر أريز ( Arise ) في جنوب غرب فرنسا . وقد ظهرت هذه الحضارة في الفترة الأولى من العصر الحجري المتوسط . وكانت محدودة الانتشار إذ تكاد تكون مقصورة على شمال إسبانيا وجنوب فرنسا . وتدل آثارها على تدعيم صناعة الآلات وتدعيم الفنون . ومن أهم الآلات النواعية الأزيلية المبراة التي على شكل السكين الصغير . كما ظهر فيها نوع خاص من الحراش المفروطة السنووعة من قرون الغزال لصيد السمك . ولكل منها قاعدة مثقوبة . ومن آثارها أيضا " الحص المنقوش " الذي أشرنا إليه من قبل . وهو منقوش برسوم حمراء بسيطة ذات أشكال متعددة . وقد عثر على أكبر عدد من هذا الحص في المكان الذي سميت هذه الحضارة باسمه . ولم تتطور هذه الحضارة إلى أخرى أرقى منها .

### ب - الحضارة الطرد نوازية : Tardenoisian Culture

سميت كذلك نسبة إلى منطقة Fère - en - Tardenois في شمال فرنسا . وهي حضارة ميكروليثية كالحضارة القفصية المتأخرة أي أن آلتها دقيقة وذات أشكال هندسية تالمثلثات والأعملة وشبه المنحرفة . وكانت واسعة الانتشار فشملت مناطق كثيرة في غرب أوروبا ( ما عدا إيطاليا ) وجنوب روسيا . وقد عاصرت في مراحلها الأولى الحضارة الأزيلية ، وأما في مراحلها الأخيرة فكانت تعاصر حضارة العصر الحجري الحديث في أوروبا .

### ج - الحضارة الكمبينية : Campignian Culture

اسم هذه الحضارة منسوب إلى القرية ( Le Campigny ) بحوض السين الأدنى . وتمتاز بظهور الفأس اليدوية من جديد . ويملك ذلك بأمرين أحدهما بدء ظهور الزراعة التي تتطلب وجود آلات كبيرة ولأن الفأس اليدوية التي قلل من شأنها ظهور الشظايا في العصر الحجري القديم الأعلى قد استمدت أهميتها في ذلك العصر نظرا لأن الشظايا أصبحت صغيرة الحجم ميكروليثية لا تفي بحاجات الزراعة .



وتنقسم هذه الحضارة التي انتشرت انتشارا واسما في غرب أوروبا ووسطها الى مرحلتين : قديمة وحديثة . وكانت الصناعة في الحضارة الكمبينية الجديثة اكثر تقدما من القديمة . ان اصبحت الفخار واليدوية والشواطير والمكاشط مصقولة متقنة ، وظهر نوع جديد من الفخار والحجرية المصنوعة من الجرانيت أو الديوريت ، هذا الى جانب المناحت والمخارز المصنوعة من قرون الوعل ، ولأول مرة نلتقى بنماذج من أدوات جديدة كالمشط المصنوع من الصمغ أو الخشب . كما بدأت معرفة الفخار وصنعت منه أوان فجة بسيطة تتميز بقاعدة مدببة أو مستديرة ولا تظهر عليها أى رسوم غير طابع الاصابع على الحافة .

وتسمى الحضارة الكمبينية القديمة أحيانا ( كما ظهرت في الدنمرك وجنوب السويد ) بحضارة مخلفات المطبخ ( Kitchen Middens Culture ) . (١) وتتميز بوجود كميات هائلة من الاصداف والقواقع التي القيت بمد أكل ما بداخلها فتكدست في شكل اكوم عالية من القمامة يصل ارتفاعها الى عدة امتار ، وطولها الى حوالي ٥ مترا وكان اصحاب هذه الحضارة - على ما يبدو - يعيشون في جماعات متركرة في مناطق قريبة من شواطئ بحر البلطيق وايرلندا واسكتلندا وبريتاني وشبه جزيرة ايبيريا طول العام محتشد بين على ما يجمعونه من قواقع ويصيده من أسماك ، وعلى قنص بعض الحيوانات بدليل وجود قرون الوعل مدفونة بين فضلات المطبخ ، بل انهم كانوا يدنون موتاعهم في بعض أكوام القواقع .

ولا تبقى بمد ذلك سوى اشارة عابرة الى حضارتين محليتين متفرعتين من حضارات العصر الميزوليثي واحدهما على " حضارة ماجليومز " Maglemosian Culture نسبة الى Maglemose (أى المستنقع الكبير ) في شبه جزيرة جتلند بالدنمرك . وقد ظهرت قبل الحضارة الطرد نوازية وعلى مشابهة لها . وتتميز بحرايب مركبة ذات أسنان عظمية وشبت على جوانبها قطع صوانية دقيقة . وابتكرت اثناءها فخار من قرون الخزال لقطع الأشجار وحرايب وشباك وسنانير وقوارب . وكان أهل هذه الحضارة التي لم تنتشر الا في الدنمرك واسكتلندا وشمال ألمانيا وانجلترا يعيشون وسط الغابات الباردة الطقس وعلى شواطئ البحار وضفاف الأنهار . وأما الحضارة الفرعية الثانية فهي حضارة كوندال ( Kunda Culture ) التي تنسب الى مكان بهذا الاسم يقع على خليج ريجا في شمال شرق أوروبا . وكانت معاصرة للحضارة الازيلية . وتتميز بأن جميع آلاتها مصنوعة من



المعظم ومن بينها الحرية ذات السن الواحدة ، والحرية ذات الأسنان وهي أما منتظمة على امتداد صف واحد أو على صفين . ومن بينها أيضا حرية ذات اسنان متقاربة جدا حتى لتشبه المنشار . وكان صانعو هذه الحضارة كأصحاب حضارة ماجليموز يزينسون اذ واتهم المصطفي والخشبية برسوم عند سية بسيطة ورثوها - على ما يرجح - عن الفن المعجلين المتأخر . وقد اقتصر ظهور هذه الحضارة كسابقتها على شمال اوروبا .

ونختتم " المصر الميزوليثي " ببعض ملاحظات من بينها أن هذا العصر الحجري المتوسط يمكن وضعه مع الحجري القديم في قسم واحد واعتبارها معا حقبة متميزة عن العصر الحجري الحديث . ذلك بأن العصر الحجري المتوسط لم يكن - في الحقيقة - من الناحية الاقتصادية الا استمرارا للعصر الحجري القديم . فهما يوفيان مما مرتبة عضارية متميزة في الزمن الجيولوجي الرابع . ويمكن مقارنة أسلوب الحياة التي كان يعيشها أهل المصور الحجرية القديمة و المتوسطة بأسلوب حياة الجماعات الزنجية البدائية الحديثة كالبوشمن ( Bushman ) والهوتنتوت ( Hottentot ) في افريقيا ، والاستراليين الاصليين ، والاسكيمو في المناطق القطبية . لكن هذه المقارنة مفيدة فقط من الناحية الحضارية المادية لا من ناحية الحضارة الروحية .

وفي المصريين الحجري القديم والحجري المتوسط اكتشفت النار ( ربما عن طريق الصدفة أو على يد انسان نياندرتال ) ومن ثم مكنت الانسان من السيطرة على بيئته وحماية نفسه من الحيوانات المفترسة ، ووقايتها من البرد ، واقتحام مناطق باردة وانارة دجى الليل وظلمة الكهف ، وانضاج الطعام وتنويمه . كذلك ظهرت صناعات الالات الحجرية المأمة والمتخصصة . وهذه الصناعة التي اقتضت مزيدا من حركات اليد ونموا في القدرة العقلية وصاحبها زيادة في حجم الجزء الخاص بالكلام في المخ ، أدت الى نشأة اللغة التي مرت بثلاث مراحل : الالفاظ العامة لاصوات الفم ، ثم الاصوات الرمزية أو الالفاظ التي تعبر عن جملة كاملة ( وعموما يمثل بداية التفكير المباشر ) وأخيرا تأتي - مع تمدد الخبرة وارتقاء التفكير - مرحلة بناء الجمل والسير مع التقدم والحضارى الى تصعيد هذا البناء . ويبدو أن الخطوة الأولى نحو الكلام جاءت مع نهاية العصر الحجري القديم الاعلى حين استطاع الانسان في حضارة الصيد تسمية بمعنى الأشياء وبالتالي مناقشة بعض المعانى وافكار ، ورسم الخطط وحل المشكلات البسيطة ، ونقل خبراته المتجمعة الى أبنائه . لكن أحدا لا ينكر أن ما طرأ على الحياة الاجتماعية في





العصر الحجري الحديث ( التالى ) كان له تأثير قوى على نمو اللغة ، ان اصحاب اصحاب المهن المختلفة الجديدة كلمات جديدة . غذا فضلا عن اكتشاف الاعداد ونمو ضرورى لى مجتمع زراعى مستقر لديه فائض من المحصول أو السلع أو الطعام .

### حضارات الشرق الادنى في العصر الحجري المتوسط

وتتمثل حضارة العصر الحجري المتوسط ( الميزوليثى ) بالشرق الأدنى فى الاثار التى اكتشفت فى شانيدار ( Shanidar ) بشمال العراق . ويرجع تاريخ هذا الاثار الى حوالى الألف الحادى عشر ق.م . أو الى أواخره . وتماصر هذه المحلة القديمة محلة "رزين" التى اكتشفتها الأنسة جارود ( Garrod ) ومقارة " بليت " على الساحل الجنوبي الشرقى لبحر قزوين .

وأجدر من ذلك بالتنويه تلك الاثار التى اكتشفت فى وادى الناطوف شمال غربى بيت المقدس ، وتنسب الى العصر الميزوليثى ( حوالى الألف الثامن ق.م . ) . اذ عثرت الأنسة جارود على آلات ميكروليثية عند سية الشكل وأدوات كثيرة مصنوعة من الخشب والعظم . وأهم من ذلك وجود آلات كالمنجل واحجار الطواحين ، مما ينهض دليلا على معرفة اهل الناطوف بحصاد الحبوب . لقد سبق اعل " الحضارة النطوفية " جيرانهم - على ما يبدو - فى أمرين هامين أو ابتكارين وهما حصاد القمح والشعير واستئناس الحيوان . وكلاهما يشير الى بداية حياة الاستقرار . ولعلمهم سبقوا جيرانهم ايضا فى صناعة ادوات حجرية أخرى كالتماثيل الصغيرة الادمية والحيوانية التى تكشف عن قدرتهم الفنية ، غذا فضلا عن ادوات الزينة ، وان كانت قلة من الباشيين ترى فى صناعتهم الحراب الطويلة لصيد الاسماك الكبيرة من الصوان ، وغير ذلك من الالات ما قد يجعلهم ينتمون الى العصر الحجري القديم الأعلى . لكن لاشك فى أن اصحاب الحضارة النطوفية قد عرفوا كيف يتعهدون نباتاتهم البرية بالصناعة ، وعرفوا الحصاد واستئناس الحيوان ، وشيئا من الاستقرار ، ونشروا حضارتهم الى مسافات بعيدة فى الشمال وفى الجنوب ، ومهدوا للخطوة التالية فى الشرق الأدنى حيث لم يحصد فقط القمح بل أصبح يزرع . ولا بد أن هذه الخطوة قد حدثت فى أواخر الحضارة النطوفية أو بعد ما بقليل . وسنرى كيف تطورت هذه الحضارة فى مكان آخر بوايدى الاردن بفلسطين ( فى اريحا ) حيث توافرت ظروف طبيعية افضل كوجود نبع وافر من المياه .



## الفصل الرابع =====

المصر الحجري الحديث ( النيوليثي )  
( ٦٠٠٠ - ٤٠٠٠ ق م )

### المظاهر الحضارية الصامة :

لا يبدأ " العصر الحجري الحديث " في وقت واحد في كل مكان . لكن في  
وسمنا أن نقول انه بدأ مبكرا في بعض مناطق الشرق الادنى أي قبيل عام ٦٠٠٠ ق م ،  
بينما لم يبدأ في منطقة البحر الايجي الا بعد ذلك بفترة طويلة أي حوالي عـــــــام  
٤٠٠٠ ق م . وقد كان تغير المناخ عاملا له تأثيره في انها " العصر الحجري الوسيط  
وابتداء " العصر الحجري الحديث " . ذلك بأن الدفء ساد اجزاء كثيرة من اوروسيا .  
كذلك سادت في مناطق اخرى الى الجنوب ظروف صحراوية فاضطر الانسان الى  
الهجرة منها الى وديان انهار كالرفدين والنيل وتجمع حولها في قرى . واستتبع ذلك  
نشأ عرف جديدة أهمها الزراعة وما صاحبها من التوصل الى معرفة صناعة الخبز  
( باضافة الخميرة ) وصناعة بعض المشروبات كالعرق أو الجعة أو النبيذ ، وكذلك استكمال  
استئناس الحيوان . هذا فضلا عن ظهور بعض صناعات اخرى مرتبطة بالزراعة ارتباطا  
مباشرا أو غير مباشر على نحو ما سيأتى تفصيله .

لقد كان لنشأة الزراعة اثر كبير في الاقتصاد الانساني . وحسبنا لتأكيد أهمية  
هذا الحدث التاريخي ان نذكر أن البشرية لم تضاف خلال تاريخها الطويل سوى القليل  
الى النباتات والحيوانات التي عرفها انسان العصر الحجري الحديث . ولا يدري/على وجه اليقين  
كيف نشأت الزراعة ولا أين : انشأت في واحات آسيا أم في واحات الشرق الادنى أم في  
شمال افريقيا أم في الحيشة أم في عدة اماكن في وقت واحد ؟ لكن يجوز لنا ان نفترض  
- بل ربما نرجح - ارتباط نشأة الزراعة بالمرأة . فبينما كان زوجها يقضى معظم نهاره  
في الصيد والقنص كانت هي تقوم بجمع الثمار واقتلاع الجذور الصالحة للاكل والتقاط  
بعض الحبوب البرية . ولعلها لاحظت ان البذور التي سقطت منها عفوا على الارض امام  
الكوخ قد اصبحت بعد فترة نباتا ناميا ، فكررت التجربة وتوصلت بذلك الى اكتشاف  
الزراعة وايجاد عمل يشغلها اثناء انشغال زوجها بالبحث عن صيد يقتنيه لاسترته .  
وانا كانت القدرة على الكلام واللغة هي الانتصار أو الاكتشاف أو " الثورة الاولى " في



تاريخ الانسان البدائي ، واذنا كانت معرفة النار واستخدامها عن الاكتشاف الهام  
الثاني في حياته ، فان الزراعة عن الاكتشاف الهام الثالث (١) . ذلك بأن الانتاج  
الزراعى المنظم الهادف قد أدى الى " الثورة الاقتصادية الأولى " في حياة البشرية .

العصر الحجري الحديث ان عصر الثورة الانتاجية الاولى في تاريخ  
البشرية ، وهى المرحلة الهامة التى فصلت بين الصيد كحرفة طوال الوقت وبين بداية  
حياة الاقتصاد الزراعى ثم اقتصاد المعادن ، ففى هذا العصر ظهرت الزراعة وتم  
استئناس الحيوان واصبح الانسان لأول مرة منتجاً للطعام ( food producer ) بعد  
أن كان جامعا للطعام بل اصبح مدخرا للفائض منه وليس مجرد مستهلك له . كانت  
معرفة الزراعة أول ثورة كبرى في حياة الانسان ان نقلته من حياة الارتحال وراء حيوان  
يصلده أو بحثا عن ثمار يلتقطها الى حياة الاستقرار في قرى صغيرة بجانب قطعة  
من الارض يبذر فيها حبوب نبات من النباتات ويظل يتمهد عما حتى تثمر أو على الأقل  
الى حياة بدوية منظمة يرض فيها حيوانات معينة قد روضها واستأنسها . وعكسنا  
نشأت القرى الثابتة التى كانت احدى الظواهر المميزة لبداية العصر الحجري  
الحديث .

فاذا استعرضنا السمات أو المميزات الرئيسية للعصر النيوليثى نجد أنها  
تتلخص فى الآتية :

- ١ - الزراعة .
- ٢ - استئناس الحيوان .
- ٣ - صناعة الفخار .
- ٤ - صناعة الفزل والنسج ( من الكتان والصوف والقطن ) وصناعة السلال  
والحصر .
- ٥ - صناعة الآلات الحجرية المصقولة المشحونة التى تتطلبها الزراعة كالمنجل  
والرحى .

---

( ١ ) يرى بعض الباحثين من أمثال كلارك ان اكتشاف الزراعة حدث في الشرق الادنى  
القديم في الألف الثامن أى قبل بداية العصر الحجري الحديث . لكنه يرى أنها  
نشأت أولا خارج وديان الأنهار الكبيرة .  
وعن هذه النقطة والرد عليها راجع :  
عبد الفتاح وهيبه " مصر والعالم القديم " ( بيروت ١٩٧١ ) ص ١٢٥ - ١٢٦ .



أما عن الزراعة فقد كانت - كما ذكرنا - الثورة الانتاجية الاولى في حياة البشرية وأدى انتاج الطعام بدوره الى ثورة اقتصادية حقيقية في حياة الانسان . فقد جعلته الزراعة يتخلى تدريجيا عن حرفة الصيد وان ظل يمارسها في بعض الاماكن على نطاق محدود . كذلك لم تمنعه الزراعة بداعة من ممارسة مهنة صيد الاسماك اذا اقتضت الحال . وثمة ملاحظة أخيرة هي أن الزراعة لم توفر للانسان الاستقرار فقط بل ضمنت له وفرة في الغذاء كان من شأنها ازدياد اعداده ، وبالتالي احساسه بالقوة ، واتساع آماله . لكن هذا التكاثر السكاني كانت تحد منه كثرة الحروب التي كانت تثور بسبب الرغبة في اقتناء الاراضى الخصبة ، والكوارث الطبيعية كالجفاف والقحط والسيول الجارفة والمواسف المدمرة والافات القاتلة . وكانت الزراعة سببا في تجمع الناس في مناطق استقرار بالقرب من الارض المنزرعة . فبنيت القرى الثابتة ، ومخازن للخلال وحظائر للحيوانات . ونشأت عن هذا التجمع حاجة الى تنظيم الجماعة الزراعية ، وتقسيم العمل ، ووجود التخصص وان لم يكن كل الوقت لأن التخصص في العمل كل الوقت لم يقد الا في عصر البرونز حيث انفصل الزراع - مثلا - عن اصحاب الحرف الأخرى الذين لم يحدوا ويزرعون الأرض بأنفسهم لامتكانهم الحصول على حاجتهم من المحاصيل الزراعية عن طريق المقايضة بمنتجاتهم الصناعية . لكن العصر النيوليثي شهد ارمصاصات التخصص الاقتصادي ان اصبح فريق يقوم بزراعة ما يكفي كل الجماعة من غلات ، وفريق يشتغل بحرف أخرى ، فنشأت طائفة لصنع الاواني الفخارية ، والآلات الحجرية ، وطائفة ثانية لبناء المساكن من قوالسب الطوب اللبنى المجفف في الشمس ( لا في الافران ) ، وثالثة لرعى الحيوانات ومراستها ، وقد استلزمت الزراعة وجود ثلاث آلات على الأقل : المحراث والمنجل والرهن . وكانت عنده تصنع من الصوان والخشب معا أو من الصوان أو الكوارتز وحده .

كان من أهم الحبوب التي زرعها انسان العصر الحجري الحديث : القمح والشبيرة والارز والدخن في العالم القديم ، والذرة في العالم الجديد ( الامريكيتين ) وقد اخذت زراعة هذه المحاصيل تنتشر منذ اوائل الالف الرابع قبل الميلاد من الشرق الادنى القديم وجنوب غربى آسيا غربا الى منطقة البحر الايجى فجنوب اوربا . ومن المنطقة عينها اخذت زراعة هذه المحاصيل تنتشر شرقا الى الهند والصين وجنوب شرقى آسيا . وبينما سادت زراعة القمح والشعير في اغلب جهات جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا واوربا ، سادت زراعة الارز في اغلب جهات جنوب شرقى آسيا . وكان أوسع





أنواع القمح انتشارا في العالم القديم عموما ( Emmer ) ( ١ ) الذي انتشرت زراعته من جنوب غرب آسيا غربا ( عن طريق مصر ) الى شمال افريقيا ومنه الى وسط أوروبا وشمالها ( حتى اسكتلندا ) ، وانتشرت شرقا الى جنوب شرق آسيا . واما قمح الخبز ( wheat ) الذي ينفصل عن قشرته بسهولة فقد نشأ عن عملية تهجين بين نوعين من القمح ( قمح الدكر والقمح الرومي الصغير spelt ) ، ولم تنتشر زراعته الا في وقت متأخر ولو أنه لم يكن مجهولا لاصحاب " حضارة العمري " في مصر ، وفي الدانوب وسويسرا وحتى النمرك .

وانتشرت زراعة الشعير من مركزين آسيويين أحدهما في الشرق الأدنى والآخر في الشرق الأقصى . وقد عثر على أقدم أنواع الشعير ( وكذلك القمح ) ، في " جرمو " بشمال ارض الرافدين ، وهذا يشير الى صلة باصله البري في مكان قريب ( كايـــــران أو الاناضول أو فلسطين ) . وبفضل الزراعة المستمرة خلال الزمن اختلف هذا النوع عن أصله البري . ويظهر غذا الاختلاف بصفة خاصة في شعير الفيوم . وأما النوع الآخر فقد انتقل من الشرق الأقصى الى الغرب حيث انتشر في أوروبا على نطاق واسع فسي الحصر الحجري الحديث وكذلك عرفته " حضارتا البداري والفيوم " بمصر اثنا ذلك العصر . وعرف أهل ذلك العصر نوعين من الدخن ( millet ) ( وهو شبيه بالذرة الرفيعة ) ( ٢ ) : الدخن الأصلي " و " الدخن الايطالي " . وانتشر النوع الأول في الصين والهند وأواسط آسيا ، ومنها انتقل الى أوروبا حيث لا يزال منتشرا حتى الآن . وأما الثاني فقد انتشر في اقاليم حوض البحر الابيض المتوسط المعتدلة المناخ حيث حل محله الآن القمح والشعير ( ٣ ) . وبدعمي أن هذه المحاصيل كان انتاجها يختلف من مكان الى آخر . لكنها كانت محاصيل أساسية بالنسبة للقدامى . ولا تزال تمثل أهم مصدر غذائي نباتي عرفه الانسان حتى الآن .

---

( ١ ) وهو نوع من القمح الصلب الرومي الصغير ( Einkorn ) .

( ٢ ) لا ينبت في مصر وإنما ينبت الآن في السودان أن والسعودية والمراق .

( ٣ ) واما الشيلم والشوفان فقد كانا من المحاصيل قليلة الأهمية حتى الألف الأخير قبل الميلاد .



ولا ينبغي أن نخفل الجذور والبقول والفواكه . فقد بدأت في العصر الحجري الحديث زراعة الفجل والكرات والبصل ، وعلى من نباتات الحديقة التي عرفت في مصر على وجه اليقين في عصر بناه الاهرامات، وقبل بداية عصرنا التاريخي ( ٣٠٠٠ ق.م ) على ما يرجح . وعرفت الجزر بعض مناطق في أوروبا كسويسرا وألمانيا . وشهد المصري النيوليثي كذلك زراعة بقول غنية بالبروتينات كالمندس والفاصوليا والبازلاء ، بينما عرف اهل الصين واليابان الفول المسمى بفول السويا الذي لا ندرى شيئا عن بداية زراعته .

ويكتنف الضموض بداية زراعة الفواكه ، لكن أقدم دليل على زراعة أشجار الزيتون يأتي من جنوب شرق اسبانيا . غير أن الموطن الاصل لهذه الشجرة التي قامت بدور هام في حياة الاغريق في عصرهم التاريخي ، لا يزال غير معروف على وجه الدقة ، لكنه ربما كان آسيا . ومن المرجح ان زراعته لم تنشأ في منطقة الشرق الاقصى القديم الا مع بداية العصور التاريخية . وكانت مصر تستصدر زيت الزيتون من فلسطين وسوريا . ومن المحتمل ان الزيتون لم يكتسب أهمية أعمية سواء في ارض الرافدين أو في وادي النيل لأن السمسم كان مصدر الزيت منذ بداية العصر التاريخي .

ومن الكتان ، وهو نبات ليفي ، عرفت مصر انواعا كثيرة في العصر النيوليثي زمن حضارتى الفيوم والبدارى . وعرفت زراعته في الاناضول قبل ٣٠٠٠ ق.م . وعرف سكان منطقة الدانوب انواعا هرية من الكتان زرعوا بعضها بل قاموا بنشر زراعتها بين سكان بحيرات سويسرا ثم انتقلت الى الشمال حتى اسكندناوة قبيل نهاية العصر الحجري الحديث ( ١ ) .

وأما عن استئناس الحيوان فقد بدأ قبل العصر الحجري الحديث حيث عرف انسان العصر الميزوليثي كيف يسخر بعض انواع الحيوان لخدمة اغراضه . لكن الاستئناس التام للحيوان لم يحدث الا في العصر النيوليثي . ويقصد بالاستئناس التام أن يمش الحيوان ويتكاثر تحت سيطرة الانسان . وقد أمده بعض فصائل الحيوان ذات الظلف بمورد غذائي مثلا في اللبن . ويبدو أن الماعز من أول حيوان أمده بهذا الغذاء .

---

( ١ ) عبد الفتاح وعبيدة ، " مصر والمالم القديم " ، ( بيروت ١٩٧١ ) ، ص ١٤٠ .



وقد بدأ الانسان باستئناس الاناث من الحيوان وضميفه ، ثم استأنس منه على اساس انتقائي . ويحتمد انه بدأ باستئناس الكلب من بين أكلة اللحوم ، ثم استأنس حيوانات الرعى كالماعز والاعنام والرنه ثم تلك التي تتواءم مع حياة الاستقرار كالمشيه والغنازير ، واخيرا دواب النقل كالحمار والحصان والجمال . وقد اقتضى ذلك كله بناء حضارة .

وأما صناعة الفخار ( pottery ) فنشأت عن الحاجة الى تخزين الفائض من المحصول ، والحاجة الى حفظ السوائل ، وطهو الطعام وحفظه . هذا فضلا عن الحاجة الى القدور وما اليها في تقديم القرابين ووضع رماد الموتى . لقد ادرك انسان هذا العصر ان لا مناص من ادخال العئونة للفصل الذي تجذب فيه الارضى . وقد عرف الطين أو الطفل ( clay ) المحروق في العصر الحجري المتوسط . لكن صناعة الأوانى الفخارية وتشكيلها والتحكم في الوانها لم يعرف أى منهما الا في العصر الحجري الحديث . وفي أول الأمر كان حرق الطين أو الصلصال يتم خارج الأفران أى في العراء بحفرة مليئة بالوقود ، وبمسدذ صنعت الأفران لحرقة . ويلاحظ أن الصلصال يصير لزجا اذا خلط بالماء . لذلك كان يضاف اليه في اغلب الاحيان مسحوق من الكوارتز أو الرمل أو الصوان أو الاصداف ليزداد تماسكا فلا يتشقق حين يتمدد للحرارة . ويعرف الفخار بأربعة مراحل قبل أن يتم صنعه من الطين : ١ - عملية التشكيل ٢ - التجفيف ٣ - التسخين لكي يتبخر منه الماء ٤ - الخبز أو المسرق في حفرة أو في فرن أو موقد ( furnace ; kiln ) وكانت الاوانى تشكل في هذا العصر باليد لأن الدواب أو عجلة الفخارى ( potter's wheel ) لم تصرف الا في عصر البرونز . وكان التشكيل اما " بالطريقة الدائرية " أو " طريقة الحلقات " .

ونشأت صناعة الفزل والنسيج لصنع الملابس وشباك الصيد . وقد استخدم الفزل بكثرة في بداية العصر النيوليثى . وتوصل الانسان اليه عن طريق استخدام عصا كان يلف حولها الخيط . وتطور استخدام المصاء بعد ذلك فكان يربط بها الوبر ثم يلف على شكل مخروطى . وجاءت المرحلة الثانية حين اكتشف الانسان انه من الممكن أن يسير في حركة دائرية ، وان يزيد دوره الفزل اذا ما ربطت بفلكة ( spindle ; whorl ) وكان المخزل يصنع من الطين أو الحجارة على شكل مخروطى أو بيضاوى .



وأما عن النسيج فقد بدأ عن طريق الخيوط ( خيوط الكتان أو أى نباتات ليفية أخرى ) بين شجرة مثلاً وشد عما الى وسط النسيج . ثم ظهرت الانواع البدائية . ولعل من اقدم الانوال ما وجد في " حضارة البدارى " بمصر التي ترجع الى العصر الحجري الحديث . وكان هذا النوع يتكون من عمودين يوصفان أفقياً على الأرض وتربط بينهما خيوط السداة على حين كانت خيوط اللحمية تضفر باليد . وقد تطور النول بمرور ذلك بحيث امكن تقسيم الخيوط الرأسية الى قسمين أحدهما الى أعلى والآخر الى أسفل لتمر بينهما بالتناوب خيوط اللحمية . وكان الكتان هو أكثر المواد الخام التي استعملت في مصر وآسيا وأوروبا . واستخدم الصوف والقطن في مناطق أخرى .

وأما السلال والحصر فقد صنعت أول ما صنعت في " أريحا " بالاردن "وجرمو" بشمال العراق والفيوم والبدواي بمصر ، أما من البوص أو من عش القمح ، وفي جهات أخرى كانت تصنع من الحشائش أو حتى من الكتان ، واستخدمت في صناعتها طريقتان : طريقة العقد ( ١ ) وطريقة اللف ( ٢ ) .

وأما عن الآلات الحجرية المصقولة المشحونة فان انسان العصر الحجري القديم - على نحو ما رأينا - كان يصنع آلاته بواسطة التشظية ( flaking ) ثم التهذيب ( chipping ) ، وهما لا تصلحان الا في انواع خاصة من الحجر كالصوان فلم يستطع مثلاً تشكيل آلات من الجرانيت بطريقة التشظية . هذا الى ان حافة الآلات الصوانية سهلة التهشم وقد تتلف بسرعة . لكن انسان العصر الحجري الحديث توصل الى صنع بواسطة صقل انواع من الحجارة اكثر صلابة من الصوان كالدويريت والجرانيت وقد افادته هذه الآلات الحجرية في قطع الاخشاب التي كثرت وقتئذ بسبب دفء المناخ . وبدون انه استمر في صناعة الآلات من الصوان بطريقة التشظية بالمناطق التي كان يتوافر فيها ذلك الحجري كالقوس وللزراعة ومدى الحصد والبلط والقواديم والمكاشط التي كانت رءوسها تثقب بمثقاب حاد لتركيب أيدي خشبية . وكان من اسلحة القتال والصيد رءوس السهام المسننة ، والمقاليع والصولجانات لقتل الاحبار أو قتل الاعداء

( ١ ) Twine technique

( ٢ ) Coiled technique

وعن هذا الموضوع انظر : محمد السيد غلاب ويسرى الجومرى " الجغرافيا التاريخية - عصر ما قبل التاريخ وفجره " ( القاهرة ١٩٦٨ ) ص ٣٨٧ - ٣٨٩ .  
( ٣ ) أى التهذيب او الحرقة أو ما يسمى " بالتشظية الثانوية " .





ومطاردة الحيوانات ، ثم فأس القتال . هذا فضلا عن ادوات الزينة من العقود والأساور والاقراط الدقيقة الصنع والاصباغ لطلاء الوجه والجسم . ويبدو أن الفؤوس الصوانية كانت من اهم السلع التجارية وذلك بسبب الدور الحيوى الذى لعبته في تشكيل الاقتصاد الزراعى في مصر النيوليثى .

#### الاحجار

في الحق ان في هذا العصر اصبح قطع / بمعنى استخراج الصوان وغيره من المحاجر ( quarries ) صناعة هامة ، وتخصصت في ذلك فئة معينة من العمال . ولم تتوقف هذه الصناعة حتى بعد اكتشاف المعادن . ولعل صناعة الآلات كانت تجرى احيانا في مناطق المحاجر تخفيفا للجهد واقتصادا للوقت وتوفيرا لمصليية نقل كتل ثقيلة من الحجارة الى محال الصناعة التى قد تكون بعيدة . وقد اضطرت المناطق الفقيرة في الاحجار ان تستبدل بمنتجاتها المصنوعة من مواد غير حجرية احجارا خاما كالصوان والابسيديان والشست الاخضر واليشم واللافا . ومن ثم فقد نشأ نوع من المقايضة أو التبادل التجارى . غير أن التجارة لم تبدأ الا في أواخر هذا العصر ( الحجرى الحديث ) ولم يتسع نطاقها الا اثناء عصر البرونز لأن المعادن كانت أعظم حافز على التجارة التى قامت بدورها عام في التطور الحضارى . وثمة سلمة اخرى كانت ذات اهمية وقيمة فسي العصر الحجرى الحديث الا وهى الكهرمان . والكهرمان عبارة عن راتنج ( صمغ صنوبرى ) متحجر . وهو على انواع والوان شتى . ومنتشر على الأخص في شمال أوروبا ووفيرا جدا في منطقة بحر البلطيق ، وغرب شبه جزيرة جتلند ( بالدنمرك ) . وقد غلب استخدامه اثناء العصر الحجرى الحديث في صناعة الخرز الاسطوانى والازرار المثقوبة والخواتم والاقراص والتماثيل الآدمية الصغيرة .

وقد صاحب ذلك كله البحث عن وسائل للنقل . وكان النقل يتم برا بواسطة دواب الحمل كالحمير وبحرا بالقوارب ان كانت اسهل الطرق هى الأنهار والبحيرات وسواحل البحار . وربما استخدمت الارماث ( الأطواف ) المصنوعة من حزم البوص فى بادىء الأمر . وقد تطورت هذه فى مصر - على سبيل المثال - على يد أصحاب " حضارة البدارى " فصارت أشبه ما تكون بالقوارب . وقد تمكن أهل " حضارة الصمرة " - فى مصر أيضا - من صنع قوارب كبيرة من نبات البردى ( papyrus ) ذات ٦ مجذافا



ولدينا أدلة وفيرة على قيام الملاحة النهرية في النيل اثناء العصر الحجري الحديث، ولعله كان أول نهر في العالم حمل التجارة . وقد عثر على اقدم نموذج لمركب شراعى في اهدى مقابر تل " الصبيد " ( اريدو ) في جنوب ارض الرافدين ( العراق ) . وكان اصحاب تل الصبيد هم أول من ركبوا نهر الفرات واستطاعوا أن يسيروا فيه المراكب الشراعية عند نهاية العصر الحجري الحديث . وقد عرفت الملاحة الساحلية في البحر الابيض المتوسط منذ بداية هذا العصر حيث جرى اتصال حضارى بين سكان السواحل وسكان جزر هذا البحر . وظهرت في اوروبا وقتذاك قوارب منحوتة من جذع الشجر ( dugout ) ، واستخدمت في نقل مادة أو سلعة عمامة في الصناعة الحجرية الا وهى الالوبسيد يان ( obsidian ) ، وعمو ذلك الصخر البلورى أو الزجاج البركانى الطبيعى شديد الصلابة الذى اشتهرت به بعض جزر البحر الايچى ولا سيما ميلوس والمعنا اليه من قبل . والى جانب الزحافات ( sledges ) فقد وجدنا على الصخور في شمال غرب النرويج صوراً منقوشة تمثل قوارب من الجلد المثبت فوق عيالك خشبية . ولا يزال صيانو شمال غرب ايرلندا يستخدمون حتى الآن قوارب قريية الشبه جدا من تلك القوارب .

وقد سلفت الاشارة الى نوع واحد من المساكن في العصر الحجري الحديث الا وهى القرى الثابتة . كانت هذه المجموعات الصغيرة من السكان تشكل وحدات اجتماعية متماونة في السراء والضراء ، يتكاتف افرادها في تحقيق الرخاء ودرء الخطر المشترك . وكما كانت الاسرة وحدة اقتصادية تكفى نفسها كذلك كانت القرية وحدة مكتفية بذاتها اقتصاديا على نطاق أوسع . وكان يختار للقرية مكان حصين يسهل الدفاع عنه ضد المصتدي سواه اكان انسانا أم حيوانا مفترسا . وكانت المساكن عبارة عن اكواخ متجاورة يتراوح عدد ها في كل قرية بين ٢٥ و ٣٥ كوخا تقوم على مساحة لا تتجاوز سبعة افدنة . وكانت اساسات هذه الاكواخ تبنى من الطين لتثبيت القوائم التى يرتكز عليها السقف .

واستخدمت الاعشاب وفروع الاشجار لملء الفراغ بين هذه القوائم . وفي ككل كوخ كان يوجد مخزن للمواد الغذائية محفور في الارض ، وموقد أيضا . وقد يقسم الكوخ الواحد الى غرفتين أو أكثر . وكان شكله مستطيلا أو مربعا أو شبه بيضاوى . ويوجد في داخله احيانا حجر كبير ربما كان يستخدم كمائدة .



وأما النوع الثاني من المساكن في العصر النيوليثي فقد ظهر في الحضارة المسماة بحضارة " قرى البحيرات " في أوروبا ( Lake Villages ) . أو " قرى الأوتاد " ( Pile Villages ) ان نشأت مع زيادة استخدام الطرق المائية عادة بناء المساكن أحيانا على شواطئ البحيرات المليئة بالمستنقعات والتي تفرعها المياه خلال فصل الاطار . ومن ثم فانهم كانوا يقيمون أكواخهم فوق مصاطب من السواح خشبية ترتكز على أوتاد مفروسة في القاع الرخو تحت الماء و أحيانا أخرى وسط مجارى الانهار .

وقد تبين ان هذه المواقع اسهل من غيرها في حمايتها من عجميات المفيرين والحيوانات المفترسة . ولعلها كانت انسب من غيرها كمجار لتصريف الفضلات وكسحبها . وكان يوجد طريق ضيق يصل بين هذه المساكن الكائنة وسط الماء وبين الشواطئ ، وكان من السهل ازالته وقت الخطر حتى لا يتمكن العدو من الاقتراب من المساكن . وقد انتشر هذا النوع من القرى انتشارا واسعا في بحيرات نيوشاتل ولوسرن وكونستانس بسويسرا ، وفي شمال ايطاليا ( حضارة البلافيته ) ( ١ ) ، ومنطقة جيهال الالب ، وجنوب المانيا ، وغرب النمسا . وتتمثل آثار سكان " قرى البحيرات " في آنية فخارية وآلات حجرية وأخرى عظمية كالمقابض لتركيب الفؤوس والمصنوعة من قرون الوعل . ومن آثارها أيضا بعض العيوب والمنسوجات وشباك الصيد . ولا بد انهم عرفوا صنع القوارب واستخدموها .

وأما النوع الثالث من مساكن العصر النيوليثي فهي الكهوف ولا سيما فسي بعض المناطق التي كانت طليمة الصخر فيها تلائم وجود الكهوف كمناطق الحجر الجيري .

وأما عن المقابر فبعضها كان لا يعمد وأن يكون حفرا عادية ( لهوردا ) ، والبعض الآخر كان يبنى على شكل ركام أو كوم غير منتظم ( tumulus ) فوق سطح الارض . كذلك استخدمت للدفن الكهوف الطبيعية والمصطنعة . وكانت توجد أمام كل كهف حفرة أو اخدود يودي الى مدخله الذي كان يسد بلوحة حجرية . واستخدمت طريقتان احدهما دفن جثث الموتى كما عني ( inhumation ) والأخرى حرق عسده

---

( ١ ) كلمة بلافيته palafitte ايطالية معناها صف من الأوتاد . وقد نشأت عنده الحضارة في شمال ايطاليا في عصر البرونز . واستمرت هذه الحضارة المسماة " بحضارة قرى البحيرات " في حوض نهر البو حوالي ثمانية قرون ( ١٨٠٠ - ٥٠٠ ق م )



الجثث ( cremation ) . وفي الطريقة الاولى كان جسد الميت يفرد بطوله الكامل أو يثنى لتقريب اليدين والركبتين من الذقن وتقريب الكعبين من الردين في وضع شبيه بوضع الجنين في بطن الأم . وكانت تدفن مع الميت بعض الأنية والفلسوس المصنوعة من الصوان أو الجاديت ( البشم ) . وبعضها له مقابض من قرون الوعل ومثقوبة ، ومكاشط ومدى ورووس سهام مسننة ، وادوات وحلى عظمية وخرز من الكهرمان أو الفيروز . ولعل ذلك يعنى أنه نشأت عند اهل المصر النيوليثى فكرة عن البعث وحياة أخرى بعد الموت . وفي الحق ان معلوماتنا عن حياتهم الروحية لا تزال طفيفة . كل ما نعرفه ان كل منطقة كانت لها ديانتها وشعائرها بمعنى أنه لم تنتشر في ذلك المصر ديانة واحدة . ومن ثم فقد تباينت مفاهيم عموم القوم لقوى الخير والشر ، والحياة والموت ، وان كانت كل مجتمعات ذلك المصر تتفق في دفن موتاهم بطريقة أو بأخرى وتكريمهم . بل ان آثار " اريحا " - في غور الاردن - ونى من اقدم ان لم تكن اقدم مدن العالم - على نحو ما يصفها الاثريون ، تشير الى عبادة الموتى من الاجداد . واما كثرة التماثيل النسائية الصغيرة سواء في أريحا أو في غيرها من مراكز المصر الحجرى الحديث فهى تشير الى عبادة الارض بوصفها ربة الأمومة . ولاشك في انه قد عبادت معها آلهة أخرى اعتقد القوم انها من سبب الخصب والنماء ، أى عيد و آلهة الخصب والتناسل .

وما لنا بصد الدين والحياة الروحية فلا بد من التلميح عن مقابر من نوع آخر تميز بها المصر النيوليثى . لقد تميز هذا المصر - وعلى الأخص في أوروبا - بمقابر آثار ضخمة تسمى بالآثار المجلية ( Megalithic monuments ) ( ١ ) ، ويسمى الملما . هذه الآثار في المادة بالدولمن ( dolmen ) ، وهو طراز واحد فيها ، ويرتبط كالأثار المجلية بالدين والفن . وتتألف كلمة ( dolmen ) من مقطعين الأول ( doll ) بمعنى تجويف أو فجوة والآخر ( men ) بمعنى حجر ( وذلك في اللغة الانجليزية القديمة ) . ويتكون الدولمن - في أبسط صورته - من ثلاثة احجار ضخمة مستوية توضع رأسية بحيث تشكل ما يشبه الفراغ المربع ثم تغطى بحجارة افقية ( ومن هنا تبدو هذه الأخيرة " doll " في شكل مائدة ) . وقد يسد المدخل اعيانا بحجارة أصغر حجما . وكلما اتسع حجم الحجرة استخدمت احجار أكثر . وكان

---

( ١ ) كلمة مجلية ( megalithic ) يونانية الاشتقاق مركبة من كلمة lithos بمعنى حجر megas بمعنى ضخم . ومعناها " الحجر الضخم " .





يشق طريق ضيق يؤدى إليها . وكذلك استخدمت عدة احجار مائدية لتغطية الزخرفة المتزايدة في الحجم . وبمرور الزمن كانت تضاف غرف جانبية أصغر . وعندما أصبحت الزخرفة الوساطى من السعة بحيث لم يعد من الممكن تغطيتها بحجرة مائدية واحدة أو بصف من الاحجار استخدمت أساليب معمارية جديدة وبنيت الجدران من الطابوب بدلا من صف واحد من الاحجار القائمة ، بينما أضفى الفطاء أو السقف يتكسبون من أحجار متداخلة . وكان السقف يرتفع بالتدريج في الوسط فيتكون ما يشبه المقعد ( القبو ) الناتج . وكانت مبانى " الدولمن " على اختلاف طرزها مبنية من الأصل بطبقات من التراب وأخرى من الحصص .

ومن الآثار المجاليثية أيضا ما يسمى بالمنهير menhir وهو لفظ يتألف من الآخر من مقامين الأول ( men ) بمعنى حجر - على نحو ما رأينا - والثانى ( hir ) بمعنى طويل ( في الانجليزية القديمة ) ، ومن حجرة ضخمة أو يلمة منتصبة . وقد تكون آثار المنهير دائرية أو في صفوف متوازية . وقد اكتشفت في أوروبا وآسيا وأفريقيا . واكتشفت في بعض مناطق قليلة آثار منهيرية ، في شكل التماثيل الآدمية ولا سيما الانثوية أو اشكال ذرآدمية . وتوجد بكثرة في جنوب فرنسا ( ١ ) ويفسرنا البعض بأنها تمثل آلهة أوآلهات ، بينما يفسرنا البعض الآخر بأنها تماثيل للموتى . وتوجد أحيانا على " الآثار المجاليثية " رموز أو علامات محفورة أو منقوشة سواء بقصد الزخرفة أو لغير هذا القصد . فنجد عليها اشكال تمثل الفأس ذات المقبض أو بدون المقبض ، والدرع الشرفى ، والمصا أو الصولجان ، والحية وقرص الشمس المقترن غالبا بصورة القارب أو المركب . وتسمى هذه المحفورات أو النقوش على الصخور ما قبل التاريخ باسم petroglyphs ومعنى كلمة يونانية بنفس المعنى . وثمة رموز أخرى لا يزال معناها غامضا كالأشكال الهندسية والعقنصة ( ومعنى اشربة في شكل رقم ٧ كالتي توضع على ذراع الجندي ) ، والخطوط العلزونية ، والمتقلبة والموجة . ويحتاج الامر الى مزيد من الدراسة/يد<sup>على</sup> علماء المحفورات على الحجر ( glyptologists ) لحمل هذه الحلاسـم والرموز الفاضية . وجد ير بالذكر ان فن المعمار الميجاليثى ظل قائما الى ما بعد بداية عصر الممان .

---

( ١ ) تسمى بالفرنسية statue-menhirs وفي الانجليزية effigy-menhirs



وثمة ملاحظة أخيرة عن العصر الحجري الحديث أو النيوليثي . فقد تمددت فيه الآلات الحجرية والأواني الفخارية وغيرهما من الأدوات وأصبح لكل منطقة الاتيهـا وأوانيها الخاصة . لهذا لا يمكن للمؤرخ ان يتناول هذا المصريا لد راسة على النحو المتبع في دراسة العصر الحجري القديم ( الباليوليثي ) ، بل لا يد من دراسة كل منطقة على حدة وقد تبهنا الى ذلك عند الكلام عن الدين والحياة الروحية . ذلك بأن الاقليمية كانت الصفة المميزة لحضارات العصر الحجري الحديث ، على الرغم من تلك المحالـم والمظاهر المشتركة التي اشرنا الى وجودها بين مختلف اقاليمه .

#### حضارات الشرق الادنى في العصر الحجري الحديث

في هذا العصر النيوليثي نشأت في الشرق الادنى عدة محلات حضارية وهلمى الأخص في منطقة " الهلال الخصيب " ( Fertile Crescent ) التي تتألف من الدجلة والفرات في الشرق والنيل في الجنوب الغربي ونهر الاردن والماصى بينهما ، وتحف بارافه الشمالية الصحراء السورية ، وباطراف الجنوبية صحراء سيناء حتى الخليج العربي . وبهذه المنطقة ينبغي أن يلحق أيضا الجزء الغربي من ايران في الشرق والاناضول ( وربما أيضا طراقيا ) في الغرب ، وعن منطقة فسيحة متنوعة جغرافيا تنسوعا شديدا ، وغنية بالموارد النباتية والحيوانية ، وبدعى انه ظهرت فيها أنماط حضارية مختلفة . لكن في وسعنا على الرغم من ذلك ان نتبين نوعا من الوحدة الحضارية بين أجزاء هذه المنطقة في العصر الحجري الحديث ، على الأقل في المراحل الاولى . ويبدو أن ذلك قد نشأ عن ترابط أو علاقات قأمت بين بعض اجزائها والبعض الآخر . وفي الحق أن بعض الباحثين يقترحون ادماجها تحت اسم حضارى واحد . لكن اختلاف البيئة من جهة ، قد حتم تمييز احداعها عن الأخرى . ومن ثم فالوافق دراسة كل جهة على حدة ، وتستضح أوجه الشبه والوجه الاختلاف دون ما حاجة الى تأكيد أو ابرازها . وكان الألف السادس ق م في الشرق الادنى هو العصر الذهبي للحضارات النيوليثية ، واليك مواطن هذه الحضارات بالشرق الأدنى وأهم مراكزها اثنا العصر النيوليثي :



١ - العراق : وتمثله عدة محلات في مقدمتها جرمو وتل حسونة اللتان تمثلان مرحلتين متماقتين . وتوصف جرمو ( Jarmo ) التي تقع في شرق كركوك بأنها أقدم قرية في الشرق الأدنى ، إذ يرجع تاريخها الى حوالي عام ٦٠٠٠ ق.م . ان لم يكن قبيل ذلك . ( ١ ) وقد عرف أهل " جرمو " بناء البيوت من الطين المكبوس ، بل انهم دعوا الجدران باساسات من الحجر . واجتازوا بسرعة مرحلة الجهل بالفخار الى مرحلة معرفته وصناعة أوان منه . وثمة قرائن على انهم بنوا المحابذ وصنعوا تماثيل نسائية صغيرة ترمز الى الارشادية للامومة والخصب والنماء . بل ان هناك ما يشير الى استئصال سكان جرمو لسحجر الاوسيد يان مما يدل على اتصالهم بالخارج واستيرادهم لهذا الحجر من منطقة الاناضول . ومن المؤكد أن أهل جرمو قد قطعوا شوطا في طريق الاستقرار ، إذ عرفوا زراعة القمح ، وان لم يتوسموا فيها ، وينهش على ذلك دليل تلك الآلات الزراعية التي اكتشفت هناك كالمنجل والفأس والرهن ، واستأنسوا حيوانات كالماعز والاغنام والخنازير .

وأما " تل حسونة " ( قرب الدجلة ) فحضارتها احدث من جرمو . وتختلف عن حضارة جرمو في ان اصحابها كانوا يقيمون في محلات مؤقتة ، وان اهتمامهم بتربية الحيوان كان أكبر من اهتمامهم بزراعة القمح ، وان كانوا قد صنعوا مع الآخرون آلات زراعية كالتي صنعها أهل جرمو . لكن " تل حسونة " أحرزت تقدما ملحوظا في فن صناعة الاواني الفخارية . التي تشبه الى حد ما فخار حضارة " مرسين " بالاناضول مما يدل على انتشار سلعهم الفخارية أو اقتباسهم من أهل حضارة مرسين . والاحتمال الاول هو الرجوع لأن فخار تل حسونة اكتشف ايضا في سامرا ( بوسط العراق ) وفي منطقة الحمق بشمال سوريا . ولدينا قرائن تشير الى احتمال اعتقاد أهل حضارة تل حسونة بالبحث وحيياة اخرى بعد الموت .

( ١ ) كشف الاستاذ بريد وود ( B. Braidwood ) قبيل عام ١٩٥٦ عن موقع قرية <sup>Mlaffaat</sup> / ( بين الموصل واربيل ) في شمال شرق العراق ، ويعتبرها أقدم قرية . حتى الان في العراق القديم .

واما عن موقع " كريم شاعر " ( شرق كركوك ) فهو سابق في تاريخه على جرمو ( ٧٠٠٠ - ٦٠٠٠ ق.م ) ، ولا ينتمى الى العصر النيوليثي التميمي حيث لم يمشر على ما يؤيد معرفة زراعة الحبوب وبالتالي الى ما يدل على الاستقرار ، وانما تمثل حضارة كريم شاعر بداية الانتقال الى انتاج الطعام .



ويسوقنا الحديث عن جرمو وتل حسونة الى السؤال المحير وعمو ايهما اسبق في الوصول الى مرحلة الاستقرار الكامل : العراق أم مصر ممثلة في الحضارتين المعروفتين باسم " الفيوم " و"مرمودة بنى سلامة/سنثدث عنهما بمد قليل ؟ ان الظواهر الحالية حتى الآن تشير الى اقدمية حضارتى الفيوم ومرمودة بنى سلامة في بعض النواحي واقدمية حضارتى جرمو وحسونة في بعض النواحي الاخرى . ولا سبيل الى التوصل الى رأى قاطح حيث ان الامر يحتاج الى مزيد من أعمال الحفر . وأيا كانت الحقيقة فلا مراة في أن الانسان توصل في كل من البلدين الى مرحلة الزراعة المستقرة ونشأة القرى ، وانتج الات زراعية مدينة من الصوان ، وادوات من المظم ، وصنع السلال والحصىر . وعرف بعض الوان من الكماليا ، وقطع شوطا قصيرا فيما يتصل بمعتقداته وحياته الروحية .

## ٢ - سوريا : باوسع مفهوم للكلمة أى فلسطين وسوريا ولبنان .

وتتمثل حضارة فلسطين اثناء العصر الحجري الحديث في بعض مراكز فسي مقدمتها أريحا ( Jericho ) التى ترجع الى ما قبل عام ٦٠٠٠ ق.م . وتوصف بأنها اقدم مدينة في الشرق الادنى بل ربما في العالم . ذلك ان اطلال المدينة قد كشفت عن تحصينات مبنية من الحجارة يرجح انها بنيت لصد غارات البدو الساميين الذين بدأوا يزحفون من الجنوب على المنطقة ولاشك في ان حضارة " اريحا " تمثل مرحلة متطورة من مراحل الحضارة النطوفية وتقع اريحا في غور الاردن على الضفة الغربية من النهر على مقربة من نبع وافر من المياه . وقد عرف اهل اريحا زراعة القمح ، أى عرفوا الحياة المستقرة لكن ما يستلفت النظر عما حققوه في المجال الروحى ان اكتشفت فيها في حجرات مساكنها ومعابد ما مجموعات عامة من التماثيل الحيوانية والادمية . وتتميز الادمية بأنها مؤلفة من ثلاثة اشخاص يرجح انهم أب وأم وطفلها . فهل هؤلاء ارهاص للتالوث الالهى ؟ أم عم - على ما يحتمل - تجسيم لفكرة الانتاج في شكلها الكامل ( ١ ) ، وأيا كان التفسير فمن الواضح ان اهل " اريحا " قد قطعوا شوطا أبعد من جيرانهم فيما يتصل بالحياة الروحية وان هذه المجموعات من التماثيل الثلاثية فريدة في نوعها في مثل ذلك العصر المبكر . وثمة تماثيل اخرى تصور عضو الذكورة كرمز

( ١ ) انظر : رشيد الناصورى " جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا " ( بيروت ١٩٦٨ )





للخشب ، ولعله كان - كما سيصبح في حضارات تالية - موضح تقديس . ويستوعب الانتباه  
بل قد يشير الدمشقة ظاهراً فريدة أخرى في حضارة " أريحا " ان درج القوم على  
فصل رأس الميت عن جسمه ووضع نموذج من الجص لصورة المتوفى فوق عظام الجمجمة ،  
كما كان في حياته . ولا يزال تفسير هذه الظاهرة مثار جدل بين الأثريين وفي رأي  
واحد منهم أن هناك ارتباطاً بين فصل الرأس عن الجسد ودفنها مستقلة وبين عقيدة  
عبادة الجمجمة (١) . وأخيراً فقد عثر في أريحا على آثار ضخمة من نوع الدولمن  
( dolmen ) التي سبق أن معناها إليها . وهي تتكون من كتل حجرية هائلة  
تشكل جدران بعض الحجرات والممرات . ومع هذا كله وعلى الرغم من هذه الكتل  
الحجرية الهائلة الحجم ورغم ظاهرة تحصين المدينة بالحجارة ، ومع نمط معماري  
فريد في نوعه بالنسبة للعصر . ورغم نحت التماثيل التي تصور الحيوان والانسان  
الا ان أصحاب حضارة " أريحا " لم يتوصلوا الى صناعة الأواني الفخارية .

وأما عن سوريا فالمقصود سوريا بالمعنى القديم للكلمة أي تلك المنطقية  
التي تحدها شمالاً جبال طوروس وقيليقية ( بالاناضول ) ، وجنوباً فلسطين ، وشرقاً  
الفرات ، وغرباً البحر المتوسط متضمنة إقليم الاسكندرونة . وقد كان لموقع سوريا هذا  
اثره البالغ في توجيه تاريخها وتشكيل حضارتها . فهي محصورة بين مناطق حضارية  
من جهاتها الأربع : حضارة أرض الرافدين من الشرق وحضارة الأناضول ( وفيما بعد  
الحثية ) من الشمال ، وفلسطين ومصر من الجنوب ، وحضارة البحر الإيجي ولا سيما  
حضارة قبرص من ناحية الغرب . كانت سوريا في مهب التيارات الحضارية والسياسية  
الوافدة من هذه الجهات ، بل كانت عرضة لهجرات بشرية من شموب سامية وغير سامية  
متباينة الماديات واللغات . وقد أثر كل ذلك على وضع سوريا حتى منذ المصرالنبوليشي  
واستمر هذا التأثير حتى العصر التاريخي . لقد وقعت تحت ضغوط من القوى السياسية  
والحضارية المجاورة . ولا مرء في انها تلقت هذه المؤثرات واستطاعت أن تهضمها  
احياناً ، بل وتصدرها بعد دمجها في قالب جديد ، ولكنها عجزت عن ذلك في أكثر  
الأحيان . ومن ثم لم تتمكن سوريا القديمة من تكون دولة سورية ذات كيان سياسي  
مستقل الا في فترات قليلة .

(١) المرجع نفسه ، ص ١٣٧ .



وتتمثل حضارة سوريا أثناء عصرها النيوليثي في عدد من المحلات الحضارية وأهمها وادي الصمق ( قرب مصب العاصي ) بسهل أنطاكية ، ورأس شمرة ( أوجاريت ) وحماة وتل الجديدة في الشمال ، ثم تل رماد في الجنوب . وقد أجرى الأستاذان بريد وود ( R. J. Braidwood ) حفائر في سهل أنطاكية استمرت فترة طويلة ونشر نتائجها في عام ١٩٦٠ . ويلاحظ عن آثار مساكن " وادي الصمق " أنها مبنية لا بالطين بل بالحجر ، وهو أمر حتمته طبيهة التربة الرطبة المليئة بالمستقدمات في بعض الأجزاء . ويتخذ أغلب المساكن شكلا المستطيل ، وأرض حجراتها مطلية بالجص ، بل إن جدران هذه المساكن نجد لها أحيانا مطلية كمساكن قري الأناضول وإيران ومصر في العصر النيوليثي . وقد صنع سكان المنطقة من الآلات الزراعية المألوفة ما يوئيد معرفتهم بالزراعة ، ويشير إلى حياة الاستقرار ، وإن لم تكتشف أي حبات للقمح . وصنعوا أيضا آنية فخارية وأدوات عظمية ، وتماثيل أنثوية ترمز إلى الأرض بوصفها ربة للأومة . وجد ير بالتنويه ما اكتشف بالمنطقة من أختام طابع حجرية . ولملها تدل على بداية الوعي بالخصية الذاتية . لكن برغم ما لدينا من قرائن على حياة الاستقرار في وادي الصمق إلا أن هذا الاستقرار لم يكن - على ما يبدو - كاملا أو متكافلا إذ لم نعثر مثلا على أي مقابر . ولملها اندثرت بفعل الرطوبة التي لا تساعد على حفظ المواد الأثرية سليمة لمدة طويلة . وأما عن رأس شمرة ( أو جاريت ) فقد أجرى فيها العالم الأثرى الفرنسي شيفر ( Cl. F. A. Schaeffer ) تنقيبات عامة منذ عام ١٩٣٣ ونشر نتائجها في أربع مجلدات عام ( Ugaritica ) ١٩٦٢ . وقد كشفت دراسة الطبقات البالغ سمكها حوالي ٢٠ مترا عن مراحل حضارية مختلفة . ويتراوح تاريخ عصرها النيوليثي بين أواخر القرن الثامن ( ٢٢٩٢ ق م ) وبين الألف السادس ( ٥٢٨ ق م ) .

وتتمثل حضارة لبنان في عصره النيوليثي في بضعة مراكز في مقدتها بيبلوس ( جبيل ) التي تستمد أهميتها من وفرة ما اكتشف فيها من آثار تنتمي إلى ذلك العصر . وقد أجريت فيها ديان ( M. Dunand ) حفائر منذ عام ١٩٣٤ ونشرت نتائجها في خمسة مجلدات عام ١٩٥٨ . وقد تبين أن العصر النيوليثي مر مناه بثلاث مراحل ترجع أقدمها إلى أواخر الألف السادس ( بين ٥٠٤٣ و ٤٥٩٢ ق م ) . وكان موقع بيبيلوس على البحر عاملا من عوامل توفير الحماية للقري التي نشأت حولها . وتكشف أطلال هذه القرى عن مساكن مستطيلة الشكل مبنية فوق أساسات حجرية . وقد طليت



أرضية حجراتها بالملاط . وكشفت أيضا عن آثار بعض مواقد أو أفران . وبالإجمال فان محاولات الأثريين قد أراححت النقب عن كل ما يثبت معرفة أهل بيبيلوس بالزراعة ، واستقرار الحياة ، وكذلك معرفة صناعة الأواني الفخارية بل وصناعة المغازل فضلا عن التماثيل التي ترمز الى ربة الخصب . وقد انتشرت حضارة بيبيلوس فامتدت جنوبا الى وادي اليرموك الذي تمتد حضارته وقتئذ شعبة متفرعة من حضارة بيبيلوس .

٣ - الأناضول : وتمثلها في العصر النيوليثي بضع محلات حضارية . ويأتي في مقدمتها تل تشاتال ( Çatal - Hüyük ) في سهل قونية وهاكيلار ( Hacilar ) التي تقع أيضا في الجنوب الغربي من الأناضول ( ثم مرسين ( Mersin ) في الجنوب الشرقي . وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار الأثريين شطرا الأناضول المتاخمة للسهل الخصيب تقريبا لإنشاء الحضارات بجنوب غرب آسيا واستكمالاً لصورتها . وقد كان من بين عوائل البحث في المنطقة الميسرة الوعرة كالهضاب والجبال الكثيرة التي تترق سطح الأناضول . لكن جهود المنقبين هناك تكلفت بقسط كبير من النجاح واستفرت عن نتائج مثيرة ، في مقدمتها قدم حضارات المنطقة . وفي رأي أحد الباحثين أن بعض مواقع الحضارة الأناضولية في العصر النيوليثي مثل تشاتال وهاكيلار عن اسبق زمنيا من مواقع الشرق الأدنى القديم ، إذ تنسب الأناضولية - بطريقة كربون ١٤ المشع - الى حوالي عام ٧٠٠٠ ق.م. (١) .

ويستعرض الانتباه كبر مساحة قرية مثل تشاتال " إذ تبلغ ٣٢ فدانا مربعا ، ومساحة غير عادية بالنسبة لهذا العصر " . والمنازل والمعابد مبنية من الآجر ( القرميد ) على اساسات من الآجر وأحيانا من الحجر . كما يستلقت النظرة ان منازل ذلك الموقع من الأناضول ليس لها ابواب ، وانما كانت تدخل من الاسقف عن طريق سلم درج خشبي . وليس هناك تحليل لتلك الظاهرة الغربية سوى الرغبة في توفير مزيد من الحماية والأمن للسكان وتسهيل مهمتهم في الدفاع عن الموقع . ومنازل شاتال ليست في ضخامة منازل هاكيلار وليست حجرات المنازل فيها فسيحة كما هي في هاكيلار . لكن بعض هذه الحجرات مزود بمصاطب للنوم أو الجلوس أو لدفن الموتى تحتها . وكانت الزراعة وتربية

(١) J. Mollaart, Earliest Civilizations of the Near East, London, ( 1965 ) P. 77 .

لكن هذه النتيجة لا تزال في حاجة الى أدلة أخرى لتمييزها كما يقول د. رشيد الناصوري في كتابه المشار اليه ، ص ١٦٢ .



الماشية والصناعة بل والتجارة عن قوام اقتصاد ذلك المجتمع الاناضولى . ونقص  
بالتجارة تصدير اعمل تشاتال للأوسيد يان ، وهو صخر بلورى بركانى لامع شديد الصلابة  
كان موفورا بالمنطقة وسلحة مطلوبة في المناطق الاخرى بالشرق الادنى . ومنه كانت  
تصنع المرايا . وجد ير بالتنويه ان انسان الاناضول في العصر النيوليثى لم يستخدم  
الوانى الفخارية في بداية الامر بل كان يستخدم الوانى الخشبية . وفي هذا أيضا  
كان يختلف عما درج عليه زملاؤه في بقية حضارات الشرق الادنى .

ولم تكن هذه وحدها عن نقطة الاختلاف ، ان كان انسان الاناضول النيوليثى  
يتميز عن سائر اقارنه في الشرق الادنى في كثير من مظاهر الحياة الدينية أو الروحية  
كان يتميز باستخدام أرضيات المساكن والمعابد لدفن موتاه . وكان ينفرد بمادة أخرى  
مشيرة للدهشة . ان كان يزيل لحم الميت قبل دفنه وذلك بتركه للنسور تنهش اللحم  
وتنزع من العظم . ولا يدري أحد عن يقين سر هذه المادة الفريية ، وما سيق من  
تفسير ليس الا من قبيل الحدس والتخمين . لكن ليس من المستبعد - كما يظن بعض  
الباحثين - أن يكون ذلك لأسباب صحية أى لتجنب التعفن وما قد يترتب عليه من  
أوبئة . لكن هذا التعليل على وجاهته ليس مقنعا تماما . وهناك تعليل آخر لهذه  
المادة هو أن النسر كان طائرا مقدسا عند عم مثلما كان الثور على نحو ما سنرى بعد  
قليل . ومع هذا فالأمر لا يزال مبهما . وأيا كان التفسير فان عظام الميت كانت تجمّع  
بعد ذلك وتلف بالقماش أو الجلد أو الحنصير تمهيدا لدفنها . وقد لوحظ ان هذه  
الهياكل تدعى <sup>بمغرة</sup> عن/عمراء في بعض الأحيان . ولا ينفرد انسان الاناضول بتلك العادة ان  
يشاركه فيها انسان " سيالك" في شمال ايران . ويقال في تفسير طلاء الهياكل المظمية  
باللون الأحمر أو زر الرماد الاحمر عليها بان ذلك يرمز الى استعادة الحياة <sup>مسررة</sup>  
أخرى بعد الموت " فاللون الأحمر عولون الدم الذى يدل جريانه على استمرار الحياة <sup>(١)</sup>  
وكانت تودع مع الموتى الهدايا الجنائزية اللائقة : مع النساء أساور وعقود وحلى أخرى  
ومع الرجال خناجر وروءوس سهام وأختام من الطين وغيرها من الالهوات .

ولم يجر على التماثيل الصغيرة المصنوعة من الطين أو الحجر أو الوانس  
الفخارية في المقابر كما هو الحال في مراكز الحضارات الأخرى بالشرق الأدنى

(١) رشيد الناضورى " جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا ، ص ١٦٤ .





وانما عشر عليها في المعابد ، وعلى أشكال حيوانية أو آدمية وتعتبر تجسيـدات لمعبودات معينة ، وتبرز منها فكرة عبادة الارض كأم للخصوبة . واخيرا تتميز الحضارة الانسلاخية - كما تتمثل في تشاتال - بظاهرة فريدة أخرى وعلى وضع عدد من قرون الثيران على نحافات المصاطب في المعابد والمنازل ، وعلى رموز أو تجسيـدات لاله ثور أو ربما كانت لضرر حماية السكان من الـروح الشريرة . وقد يرجح الاحتمال الأول نعمت بعض مناظر بالمعابد تصور الالهة وعلى تلد رأس ثور أو رأس كبش ، وعموما لا نظير له في أى حضارة من حضارات الشرق الادنى ، ويؤكد انفراد الحضارة الانسلاخية بخصائص تميزها عن بقية حضاراته .

٤ - ايران : تتمثل حضارة ايران أو بالأحرى الهضبة الايرانية أثناء العصر النيوليثى في عدة مواقع توجد في الأودية أو على سفوح الهضاب . ونخص بالذكر منها تبسة سيالك Sialk ( في الوسط) وأناو Anau ( في الشمال الشرقى ما بين بحر آرال وبحر قزوين ) ، وتبة تلـكي Telki ( في الشمال الغربى بمنطقة بحيرة فان ) ثم تـسل باكون Bakun ( في الجنوب الشرقى ) .

ويختلف كل موقع عن الآخر في تطوره الحضارى بسبب اختلاف البيئة الطبيعية البشرية . وقد توصل بعض هذه المراكز الى مرحلة الزراعة وما يتصل بها من صناعات وإلى الاستقرار وبناء القرى أى توصلوا الى مرحلة الحضارة النيوليثية في نفس الوقت ( الألف السادس ق.م . ) . الذى توصلت فيه مواقع الحضارات الأخرى في المشرق ( قلعة جرمو وتل حسونة ) ومصر ( الفيوم الأولى ودير تاسا وغيرها ) . ومن أهم المكتشفات الثرية بالهضبة الايرانية في العصر الحجري الحديث الاوانى الفخارية وان اختلفت من مكان الى مكان صناعة وشكلا وزخرفة وتلوينا . وتكشف هذه الاوانى الايرانية الكثيرة عن مهارة في اسلوب صناعتها . وتتميز العمارة بأن حوائط المناسزل تتكون من كتل ضخمة من الطين على نحو ما لوحظ في بيوت قرية مرمدة بنى سلامة ( غربى الدلتا ) ومن ابرز خصائص الحضارة الايرانية المتمثلة في سيالك صنع بعض أدوات كالدبابيس من النحاس لأول مرة في العصر الحجري الحديث ولأول مرة حتى قبل بداية عصر الحجر والنحاس والمسمى " بالعصر الخالكوليثى " . وبذلك يكون انسان تبة سيالك في ايران قد سبق اقرانه بالشرق الادنى في استغلال معادن اقليمه . ولا يـسـد



أن استخدام النحاس قد اقتضى منه التوصل الى طرق تعدد بينه وطرقه وتشكيله وتطويره لضربه. وثمة قرائن على اهتمام هذا الانسان الايرانى بمآله بعد الموت ان كان يدفن موته كزميله بالاناضول في ارضية المنازل. كذلك كان مثله يطلى جثة الميت بمسحرة حمراء. وكان يودع معه في القبر بعض مقتنياته الدنيوية كالفأس التى نجد ما مسرة موضوعة في يد الميت لكن يتمكن من استخدامها مباشرة عند ما يهب من رقاه الطويل. وينهش ذلك كله ليللا على ايمان انسان حضبة ايران في المحصر النيوليثى بالبحرث وحياة أخرى بعد الموت. لكن هذه الفكرة لم تختصر عند ه أو عند زملائه في حضارات الشرق الاذن اختارها في ن عن الانسان المصرى في ذلك العصر. ان تطورت عند الأخير منذ وقت مبكر تطورا جملة لا يمتد فقط بخلود الآلهة بل بخلود البشر أيضا.

وفي رأى بعض علماء الاثنولوجيا ( علماء الاجناس البشرية ) ان انسان " سيالك " ينتمى الى العنصر المسمى " بقبيل الايرانى " ( Proto - Iranian ) أى يعتبرونه ارماسا للمناصر المسماة بالشعوب الهندية الاوروبية. وكأنه كان طليعة هذا الزحف الهندى - الاوروبى الذى تدفق من أواسط آسيا نحو الغرب مجتاحا ايران نفسها والاناضول وأوروبا عند حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م.

وعند هذا الموضع ننتقل الى وادى النيل لنستعرض حضاراته في العصر الحجري الحديث، الذى ما زلنا بصدده :

ه - مصر : النيل أعظم ظاهرة جغرافية في مصر. ويصف المؤرخ هيروdot مصر بأنها عمدة النيل. وينبع ذلك النهر العظيم في الجنوب ويجرى متجها صوب الشمال على عكس كثير من انهار العالم على نحو ما لاحظ " أبو التاريخ " . ويأتى النهر بالمساء والخرين فيعم الخير انحاء البلاد. ويأتى في كل سنة في وقت معلوم، ويحدث فيضانه في الصيف بالفا نرته في أغسطس (آب) حين يحتفل بعيد وفا النيل. ولكن هذا النهر قد يأتى فيضانه معتدلا أو منخفضا أو عاليا. كان ذلك يحدث منذ آلاف السنين. وكان الانسان في مصر يترقب وصول الفيضان ويراقبه حتى لا يوفخذه ارتفاعه المفاجئ على غرة فيضرق الأرض والزرع. ومن ثم فان النيل كان يعطى ولكنه كان يحتاج الى جهد ليفيد الانسان من عطائه. كان النيل بفيضانه العالى يتحدى سكان بيئة الوادى.



وكان لابد من أن يستجيب الاعلى لهذا التحدى . وتلك باختصار هي نظرية المؤرخ الكبير توينبى ( A. Toynbee ) الذى يفسر بها قيام الحضارات في أودية الانهار الكبرى في وقت مبكر : في وادى النيل ، في ارض اليرافدين ، في حوض نهر السند ، في حوض نهر هوانج هو ونهر يانجتس بالصين . وتسمى نظريته بنظرية " التحدى والاستجابة " ( Challenge and Response ) . لقد حاول الانسان في وادى النيل وفي غيره من وديان الانهار سالفه الذكر ان يقابل هذا التحدى في بيئته بمحاولة التحكم في مياه النهر بشتى الوسائل كانشاء السدود والجسور والقنوات والأهوسة والقناطر .

وبهذه المقدمة الموجزة نمهد للعصر الحجري الحديث ( النيوليثى ) في مصر ومراكز حضارته سواء في مصر العليا ( الصعيد والفيوم ) أو مصر السفلى ( الدلتا ) ، ومع كثرة عدد حضارات مصر في عصر ما قبل تاريخها الذى ينتهى عند حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م. فلا ينتمى الى العصر النيوليثى الصميم ( ٦٠٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م ) سوى عدد قليل من هذه الحضارات التى تمثل كل منها فترة زمنية ساد فيها اسلوب حضارى معين ذو تقاليد صناعية وحضارية مميزة للبيئة والمجتمع الذى نشأت فيه تلك الحضارة . وتنسب هذه الحضارات النيوليثية الى المواقع الآتية :

في مصر العليا ( الصعيد والفيوم ) :

- ١ - دير تاسا ( بمحافظة اسيوط ) حوالي عام ٦٠٠٠ ق.م.
- ٢ - الهدارى ( قرب الهمامية بمحافظة اسيوط ) حوالي عام ٥٠٠٠ ق.م )
- ٣ - حضارة الفيوم الأولى ( = الفيوم ) قبل عام ٦٠٠٠ ق.م ( ؟ ) -

وفي مصر السفلى ( الدلتا ) :

- ١ - الحمري ( = حلوان الاولى )
- ٢ - مرودة بنى سلامة ( بالقرب من الخطاطبة غرب الدلتا ) عصر ثيوليثى صميم .



وأما الحضارات التالية فتتنسب إلى العصر الخالكيثي (بحد ٥٠٠٠-٣٢٠٠ ق.م) الذي يتضمن عصر ما قبل الاسرات (٤٠٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م) (١) على نحو ما سيأتى ذكره فيما بعد .

ويمكن القول بأن العصر الحجري الحديث بدأ في مصر حوالي عام ٦٠٠٠ ق.م ولا تدل قلة الحضارات المكتشفة في الدلتا في العصر النيوليثي وحتى عصر ما قبل الاسرات على أنها كانت أقل حضارة من الصعيد . وربما كان العكس هو الصحيح ، فقد كانت الدلتا في ذلك العصر أكثر تقدماً إذ توافر لها من مقومات الحضارة ما لم يتوافر للصعيد ، فأرضها الزراعية أكثر اتساعاً ، ومناخها أكثر اعتدالاً وصلاتها الثقافية ميسرة بغيرائها في الشرق والغرب والشمال . ولهذا كان عدد سكانها أكبر وقراها أعظم . غير أن طمس النيل غطى معظم آثار هذا العصر بالدلتا بسبب استواء سطحها وقرب مستوى أرضها من مستوى مياه النهر ، في حين أنه لم يستطع أن يفعل ذلك في الصعيد لأن قرى الصعيد كانت تبنى في أماكن مرتفعة عن منال الفيضان . ولا نستطيع أن نمش في الوقت الحاضر على آثار العصر الحجري الحديث بالدلتا إلا عند أطرافها بالقرب من عافة الصحراء حيث توجد بعض الأكامات التي قامت عليها قرى مرتفعة في هذا العصر .

وأما عن حضارة الصعيد الجنوبي الممثلة في دير تاسا والبدارى فإن آثارها التي اكتشفت تدل على قيام مجتمع زراعي مستقر ومن بينها الأجران ومخازن القمح . لكن مجتمع دير تاسا كان يمارس أيضاً حرفة الصيد في البر والنهر . ومعنى هذا أن مجتمع تاسا كبقية المجتمعات المماثلة له أو السابقة عليه قد انتقل من مرحلة جمع الطعام إلى مرحلة إنتاجه ، وبالتالي إلى بناء القرى وتوفير مختلف ضرورات الحياة المستقرة . لكن معلوماتنا أوفر عن عاداته الجنائزية . إذ نجد جبانات دير تاسا منتشرة في الصحراء الشرقية المتاخمة فكانت مستقلة عن مساكن الأحياء ما يشير إلى تفوق هذا المجتمع على مجتمع مرمة بنى سلامة بمصر السفلى في هذا الصدد . وكانت المقابر لاستطيلية الشكل . وكان الميت يلف في الجلد أو القماش أو يوضع في سلة مصنوعة من الألفان وتغلى بالصمير . وكثيراً ما توضع تحت رأس الميت وسادة من القش أو النحالة أو الجلد . وقد عثر في إحدى المقابر على فجوة بها تسع اوان فخارية . ولعل تلك الفجوة كانت أرماساً

---

( ١ ) وربما حتى ٣٠٠٠ ق.م





مما ربا لتلك المخازن التي كانت تلحق في العصر التاريخي بحجرة الدفن لخزن ما  
قد يحتاج اليه الميت من مؤونة في المآلم الآخر .

ويتميز فخار تاسا بالاقداح التي على شكل الناقوس . وربما كان ذلك يحكس  
اتجاه المصانع/محاكاة شكل الوعاء الجليى الذى كان يستخدمه في بداية الأمر . كانت  
تلك الاقداح تزخرف بخطوط محفورة في سطح الاناء وتلا بطلا ابيض . وقد ابتكر  
اعلى حضارة تاسا ، الى جانب هذه الاقداح المتميزة ، نماذج جديدة من اللوحات  
وأدوات الزينة .

وأما في الفيوم - وهى عبارة عن منخفض عميق فسيح أو بالأحرى واحة منخفضة  
وسط الصحراء ومناخه للنيل - فان مجتمع الحضارة المسماة بالفيوم (أ) أو الفيوم  
الأولى " يمثل بداية نشأة القرى والاستقرار الكامل بمصر . فقد اتجه انسان  
المنطقة وقتئذ الى شواطئ بحيرة قارون ( المسماة الآن بركة قارون ) حيث كانت مياه  
البحيرة الأخذة في الانحسار ( بسبب البحر ) تاركة مساحة فسيحة من الاراضى الخصبة .<sup>(١)</sup>  
وقد استغل انسان الفيوم هذه الظروف المواتية التي استجدت نتيجة انتهاء العصر  
المظير وبداية مرحلة الجفاف . فزرع الارض وبنى القرى واستقر بالمنطقة . ويتبين من  
الحفائر التي اجريت في الاكوام بالشمال الشرقى من البحيرة ان الانسان تمكن من صنع  
الآلات الحجرية اللازمة لحياته الزراعية الجديدة كالرحى والمناجل والفوس كذلك  
ادوات الصيد كالسهام والرماح والوانى الفخارية والسلال . وكان يحفر حفرا يحرق  
فيها سيقان النباتات البرية أو المزروعة لكي يحصل على النار لطهو طعامه . واهتم  
من ذلك اقامته مخازن لحفظ القمح والشعير . وقد يستدل من ذلك على نشأة نوع من  
التعاون أو التفكير الجماعى . وقد عثر الاثريون على بعض حبات القمح المتفحمة . كذلك  
وجدوا بقايا جلود وقماش . ولم تكتشف حتى الآن مقابر بهذه المنطقة .

وتمكن الانسان في " مرمده بنى سلامة " - غربى الدلتا - من بناء قريته  
كبيرة المساحة بالقياس الى غيرهما من المواقع الحضارية في العصر النيوليثى بمصر .  
وقد اتضح ان الموقع ينقسم الى ثلاث طبقات ( أثرية ) . ولم يعثر في الأولى الا على  
بعض موافد ومقابر وبعض الشقف . وفي الوسطى عثر على عدد من الحفر يتضح منه أن

( ١ ) كان سطح البحيرة قديما أعلى من مستوى البحر بحوالي ١٥ مترا . ولكنه الآن ينخفض  
عن سطح البحر بحوالي ٤٥ مترا .



المساكن ربما كانت بيضاوية الشكل ومقامة على عمد من الخشب . اما المنازل في الطيبة الثالثة المليا فهي بيضاوية الشكل أيضا ومبنية من الطين ، وبطريقة تدل على تفوق في التنظيم الاجتماعى . كذلك عثر على مخازن للقمح ملحقة بالمساكن أو مجاورة لها وقد عرف مجتمع مرمة بنى سلامة زراعة القمح ، وتربية الاغنام والثيران والخنازير . وتكثرت عنده تربية الحيوان الاخير بينما لم تكن منتشرة في مصر المليا . كذلك احترف المرمديون بعض الوقت مهنة الصيد في البر والنهر ، وكان من بين الحيوانات البحرية كلب الماء الذى انقرض الآن تماما .

وتختلف صناعة الفخار في مرمة اختلافا بينا عن صناعته في دير تاسا والبدارى بمصر المليا . فالوانى المصقولة العمراء أو السوداء نادرة بينما تكثر الاوانى الرمادية الباهتة ذات البقع السوداء . كذلك تكثر الاوانى البيضاوية والمخروطية والتوأمية والملاعق . وحجم الاوانى غير كبير بوجه عام ولكن يوجد بينها مواجير كبيرة . وكذلك وجد عدد كبير من الاوانى ذات القواعد الحلقية في حين أن غذا النوع نادر في الصعيد . وصنع أصحاب حضارة مرمة الآلات من الصوان كالمناجل التى تصنع بتثبيت اسنان من الصوان في يد خشبية ، وكالمكاشط والمدى والسهام . وكان الشططسوف ذو الوجهين نحو الاسلوب السائد في صناعة الآلات مرمة . غذا فضلا عن ادوات من المظم كالابر والمثاقب والسنانير ، وادوات اخرى للزينة كالخرز والاساور والخواتم العظمية والاصداف المثقوبة . ولم يكتشف النحاس ابدا في مرمة بنى سلامة مما يجعلنا على يقين من أن حضارتها تنتمى الى اوائل العصر الحجري الحديث لا الى أواخره .

واخيرا تتميز حضارة مرمة بظاهرة غريبة عن ان المقابر توجد داخل نطاق قرية الايياء ومتاخمة للمساكن بل ربما في داخلها . وهذه عادة غير مصرية ولم تصروف الا في هذا الموقع . وكانت جثة الميت تثنى في شكل القاعد القرفصاء ، وتوضع رأسه متبهاة نحو الجنوب . وتدل مساكن مرمة بنى سلامة وكذلك الحضارة المعاصر لها فسي الفيوم - وكلاهما يعتبر حتى الآن اسبق زنيا من حضارة تاسا - على أن القرى كانت كبيرة المساحة . وهذه ظاهرة تميز قرى الدلتا بوجه عام في العصر النيوليثى عن قرى الصعيد التى كانت اصغر منها مساحة بكثير .



الفصل الخامس  
=====

"المصر الحجري النحاسي ( الخالكوليثي )"

( حوالي ٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق م )

يسمى بمصر العلماء نهاية العصر الحجري الحديث الذي ظهرت فيه بعض الآلات الممدنية وعلى الأخص النحاسية باسم "عصر الحجر والنحاس"، وحضارته بالحضارة الخالكوليثية (١) أو "الانيوليتية". (٢) وقد يطلق على هذا العصر أحيانا اسم "عصر النحاس" أو عصر بداية المعادن". ويبدو أن الآلات النحاسية ظهرت أول ما ظهرت في وسط آسيا ( القوقاز ) وإيران، وكذلك في قبرص ( قبل ٥٠٠٠ ق م )، ومدغذ في أقطار الشرق الأدنى الأخرى ( بعد ٥٠٠٠ ق م . ) ثم انتقلت إلى جزر البحر الأيحي وبلاد اليونان، وأخيرا إلى جنوب أوروبا ووسطها ثم شمالها ( إيرلنده ) . وكان استعمال الذهب مصروفا . ولعله كان محاصرا لاستعمال النحاس لأنه وجد هو الآخر في مقابر هذا العصر . وكانت مناجم الذهب الهامة توجد في وادي الدانوب وصعراء سيناء ووادي الملاقي بالنوبة وفي إيرلنده . وقد ظل هذان المعدنان وحدهما مستعملين فترة طويلة . ولم تعد معظم الأدوات الأولى المصنوعة منهما أن تكون أدوات للزينة حيث أن المعدن لم يكن وقتئذ الا مجرد مادة لصنع أدوات الترف . ويلاحظ أن الكلمة التي تدل على النحاس في كثير من اللغات الأوربية ( مثل copper في الانجليزية ) مشتقة من العفة التي كان الرومان يصفون بها النحاس ( aes ) إذ كانوا غالبا ما يصفونه بالنحاس القبرصي ( aes Cyprium ) . ففي قبرص ( Cyprus ) - التي اشتق من اسمها المعدن في اللغات الأوروبية - كان عصر النحاس قد بدأ جدا . ولدينا شواهد كثيرة على التجارة في سبائك النحاس بأنحاء حوض البحر المتوسط . ومن الأسلحة النحاسية التي تميزت قبرص بصناعتها الخنجر القبرصي ذو السن الطويلة المقوسة ( إلى الخلف ) .

- 
- (١) خالكوليثي كلمة يونانية الاشتقاق تتركب من جزأين : خالكوس ( chalkos )  
بمعنى نحاس، وليثوس ( lithos ) بمعنى حجر .
- (٢) انيوليثي كلمة تتركب من جزأين : آينيوس ( aeneus ) وهي صفة لاتينية  
بمعنى نحاسي، وكلمة " ليثوس " اليونانية بمعنى حجر .



غير أن استعمال النحاس لم يحدث تغييرا فجائيا في حياة الانسان لأن هذا الاستعمال حدث بالتدريج ولا يعمى الى غزوات بل كان نتيجة لانتقال الحضارة بمد اتصال الشعوب بعضها بالبعض الآخر . ويلاحظ أن الآلات والأسلحة النحاسية التي تنسب الى العصر الخالكوليثى قليلة في جملتها ، والموجود منها يكشف عن محاولة الصانع محاكاة شكل الآلات الحجرية المتداولة في العصر الحجري الحديث . والنحاس وحده معدن رخولا يصلح لعمل أسلحة قوية . لذلك لم يحدث اكتشافه — على نحو ما ذكرنا — أى تغيير جوهري في حياة الانسان في أى منطقة من المناطق التي اشتهرت به . وعلى الرغم من نشاط حركة استخراج النحاس من الأرض واستخدامه في صنع بعض الأدوات والآلات الا أن ذلك لم يضع حدا لصنع مختلف الآلات من الأحجار الصلبة المتينة كالصوان والأوبسيديان ، ولا أدى الى توقف البحث عن أنواع أخرى نادرة أو كريمة كالملاكيت ( كحل الميون الشهير عند قدماء المصريين ) والراتنج والجمشت والعقيق وعين الهر واللازورد .

#### حضارات الشرق الأدنى في عصر الحجر والنحاس ( بعد ٥٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق م )

ذكرت من قبل أن عصر النحاس يبدأ بوجه عام عند حوالي ٤٠٠٠ ق م . لكن النحاس عرف في الشرق الأدنى القديم قبل ذلك التاريخ بمدة طويلة أى منذ حوالي عام ٥٠٠٠ ق م . بل انه استخدم لأول مرة في " سيالك " بايران قبل التاريخ الأخير ، حيث أن هذه المنطقة الايرانية كانت غنية بهذا المعدن . هذا العصر الخالكوليثى يمتد من بعد ٥٠٠٠ الى ٣٠٠٠ ق م . لكن الباحثين يقسمونه قسمين ان يضمون الألف سنة أو أقل التي تسبق عام ٤٠٠٠ في قسم بوصفه يمثل أوائل ذلك العصر ، ويضمون الألف عام التالية ( ٤٠٠٠ — ٣٠٠٠ ق م ) في قسم على حدة ويطلقون عليه اسم " عصر ما قبل الأسرات " وعلى الأخص في كل من العراق ومصر . بل ان بعض هؤلاء الباحثين يقسم " عصر ما قبل الأسرات " نفسه الى فترات أو مراحل حضارية ثلاث : أولى وثانية ثم أخيرة ( وهى " ما قبيل الأسرات " ) . ولنستعرض مظاهر هذا العصر الحجري النحاسي كما ظهرت في العراق وسوريا : ( أى فلسطين وسوريا ولبنان ) ثم مصر .





١ - المسراق :

تتمثل حضارة القسم الأول من هذا المصر في بعض مواقع نخص بالذكر منها  
تل حلف ( جوزانا القديمة ) بجوار رأس العين عند منبع الخابور في شمال أرض الرافدين .  
وتسمى الآن " بحضارة حلف " . وكان مركزها يشمل المنطقة الممتدة من الموصل الحالية  
شمال شرق العراق الى وادي الخابور في أقصى شرقي سوريا . ولم تمتد هذه الحضارة  
الى قلب ايران نظرا لوجود عواجز طبيعية وهي جبال زاغريوس . كذلك لم تمتد  
الى جنوب العراق لأنه لم يكن قد أصبح مأهولا بالسكان . لكن تيار حضارة حلف اتجه  
جنوبا حتى شانيدار ( عبر الخابور ) فقط، وغربا حتى أوجاريت ( رأس شمرة ) على  
الساحل السوري . ثم امتد الى قيلية في جنوب شرق الأناضول .

ولا يمثل هذه الحضارة تل حلف وحده بل تمثلها مواقع أخرى من بينها  
أرجية (١) وتبه كورا ( Tepe Gawra ) ، وجيرابلس ( قرقيش القديمة )  
وسامرا . وتتميز " حضارة حلف " بالأواني الفخارية الملونة التي تشهد بتفوق أصحاب  
هذه الحضارة في هذا المضمار . وهي متمثلة الأشكال والألوان والزخارف وقلمها  
تخلو من الألوان أو الزخارف . ومعظم الزخارف هندسية . ونجد بينها رسما فريدا  
في نوعه وهو رسم مركبة على أحد الأواني الفخارية . وقد ينهض ليلا على اختراع  
المركبات ذات العجلات في ذلك الوقت المبكر. لكن صناعة الفخار لم تبلغ عند أصحاب  
حضارة حلف ، برغم تفوقهم في هذا المجال ، ما بلغته من مستوى عند أصحاب  
" حضارة سامرا " ( المتاخمة للجلية ) في وسط العراق . وإلى جانب الآلات والأدوات  
الحجرية والطينية والمعدنية ، صنع أهل حلف أدوات نحاسية . وجديرة بالتنويه تلك  
الولايات الحجرية ذات الأختام وهي عبارة عن أحجار منقوشة وفيها ثقوب ليسهل  
تعليقها في الصنق . وكانت تستخدم كأختام مما يدل على أهمية التعامل التجاري  
عند أهل حلف، في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ بلاد الرافدين . وتعتبر تلك  
الأختام خطوة رئيسية ، وان كانت أولية ، في التطور نحو التعبير عن المعاني بالرموز  
ثم الكتابة التصويرية في المراحل التالية . كذلك ابتكر أصحاب حضارة حلف أختام  
الطابع ابرازا لفكرة الملكية الشخصية . وقد اكتشفت بعض " انطباعات " تلك الأختام  
على الطين .

---

( ١ ) تقع أرجية على بعد ٧ كم شمالي كينجك ( نينوى القديمة ) .



وفي أريجية - إحدى محلات حضارة تل علف - انتشر طراز معمارى خاص يسمى بطراز العجيرة المستديرة ( Tholos ) ،وهى مباني أساسها من الحجر، وحواطها من الطين في الغالب . وتتكون من حجرة مستديرة الشكل يبلغ قطرها حوالي خمسة أمتار ونصف متر . ويتصل بالعجيرة درب أو ممر ( dromos ) . ولا يتضح حتى الآن الغرض من مثل هذه العجيرات المستديرة ، وان كان يمتد أنها كانت لغرض دينى متصل بعبادة الهة الأمومة . وقد يميز هذا الاعتقاد وجود تماثيل نسائية صغيرة يرجح أنها ترمز الى فكرة الأمومة والخصب . ويمض هذه التماثيل هى لنسوة حوامل . وقد اكتشفت تحت هذه الحجرات المستديرة مقابر ، وكذلك تحت أرضيات المساكن نفسها . وقد أودعت مع الموتى احتياجاتهم من أوان فخارية وأدوات أخرى لازمة . لهذا الى جانب المقابر المستقلة البعيدة عن المساكن . وفي تمسه كورا استخدم أحد الآبار كمدفن جماعى .

وتتمثل حضارة الصراق في القسم الثانى من عصره الخالكوليثى والمسمى احيانا بعصر ما قبل الأسرات ( ٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق م ) في ثلاثة مراكز متماخبة زمنيا وهى : عصر الصبيد ( Ubaid ) وعصر الوركاء ( Uruk - Warka ) ، وعصر جمدة نصر . ويتفق المصر الأخير ( جمدة نصر ) مع "عصر ما قبل الكتابة" . ويقابل "عصر ما قبل الأسرات" في الصراق بفتراته الحضارية الثلاث "عصر ما قبل الأسرات" بفتراته الأولى والثانى والأخيرة في مصر .

وأما عن حضارة الصبيد فقد نشأت أصلا في جنوب أرض الرافدين ، ولكنها امتدت الى شمالها ، فكانت بذلك أول حضارة في العراق القديم تنتشر في الجنوب والشمال معا . وأهم مواقعها في الجنوب ( الى جانب الصبيد ) هى ارييدو Eridu ( تل أبو شهرين ) وأور Ur ( تل المقير شرقى الصبيد ) وقلمسة حاج محمد . وأما في الشمال فقد اكتشفت آثار هذه الحضارة في تبة كورا ، ونوزى ( قرب كركوك ) ، وتل حسونة ونيوى ( كيجنك الحالية ) وحلف وغيرها . وكان أصحاب حضارة الصبيد هم أول قوم استقروا في جنوب العراق واستغلوا أرضه البكر . وتعتبر حضارة الصبيد أساس التطور الحضارى الهام في جنوب العراق في المرحلة الحضارية التالية . ومن ثم ينبغى قبل المضى في انجازات هذه الحضارة أن نتصدى لسؤال هام عن أصل هؤلاء القوم الذين صنعوا حضارة الصبيد وموطنهم الأصلي



حيث أنه من المتفق على أنهم لم يكونوا أصلاً في أرض العراق . كانوا قوماً غرباء وفدوا الى العراق من الشرق أى من ايران وربما من مكان أبعد من ايران . لقد جاءوا — على ما يرجح الآن — من مكان لا يبعد كثيراً عن شمال الهند . وقد جاءوا براً عبر مرتفعات جنوب ايران وبحراً أيضاً . وقد يميز ذلك ما لوحظ من تشابه بين ملامح حضارات وادي السند مثل " موهنجدارو " ولامح حضارة العميد في جنوب العراق . ولكن صحت هذا يكون دواءً القوم هم السومريين ويكون العنصر السومري هو صاحب اليد الطولى في بناء حضارة العميد التي تمثل أقدم حضارة في جنوب العراق . وكانت بدورها ارماساً للحضارة السومرية ، وأولى حضارات العصر التاريخي في بلاد الرافدين .

وقد أنشأ أصحاب حضارة العميد الجنوبية أولى قراهم في موقع جاف نسبياً حيث أن المنطقة كانت مليئة بالمستنقعات ومطمورة بالرواسب الطميية . ولما كان فيضان الدجلة والفرات — على نقيض النيل — لا يأتي بانتظام فقد كان على السومريين أن يستجيبوا لتحدي الطبيعة ببناء الخزانات وحفر الترع وبناء الجسور . وقد كللت جهودهم بالنجاح وأثمرت الأرض وعم الرخاء . لقد جاءوا الى العراق حاملين معهم بعض عناصر حضارية ناضجة وبعض فنون راقية . كان السومريون على قدر من المهارة الفنية وقد رأكبهم من النضج أو التكامل الاجتماعي . وقد تمكنوا من انشاء سلطة سياسية ترعى المشروعات العامة كضبط فيضان الفرات وتنظيم توزيع المياه . وأنشأوا قرى ثابتة وعرفوا زراعة الشمير وصبغوا آلات من الصوان والأوبسيديان . كذلك صنعوا باليد أو انسى من الفخار الملون باللون البرتقالي الفاتح أو الأخضر والمزين بزخرفة هندسية . وصنعوا تماثيل من الحلين لاناك ( بعضهم يحملن أطفالاً ) ويرمزن في أغلب الظن لالهة الخصب . وتستلفت النظر بعض التماثيل بروءوسها الشائبة الفريية ان تبسد و ساخرة أو مغيفة . وربما كانت تستخدم كتمايم ورقى سحرية لطرد الأرواح الشريرة .

وعثر على أطلال منازل ومعايد ومقابر مبنية باللبن . وتتميز المعابد فسي الجنوب كما في الشمال بالفجوات أو الكوات المنتظمة في الجدران ، وهي ظاهرة معمارية تميزت بها العمارة السومرية وامتد تأثيرها الى مصر في عصر ما قبل الأسرات . ويمضى حجرات المعابد مطلية باللون الأبيض . وأما المقابر فكانت تبطن بالحصير أحياناً . وكان أصحاب حضارة العميد يمارسون عادة دفن الجثث كما هي ( inhumation ) أو حرقها ( cremation ) ثم وضع الرماد المتخلف في قوارير . لكن يسترعى النظر



في الموطن الشمالي لحضارة المبيد أمران أحدهما وجود مقابر خاصة لدفن أجزاء من الجثة، والآخر وجود مقابر كثيرة للأطفال داخل المقابر . فهل كان القوم هناك يمارسون عادة التضحية بالبشر وتقد يمهم قربانا للآلهة ؟

وقد ظل مركز حضارة المبيد مزدهرا أكثر من قرنين الى أن أغرقها طوفان كبير عند حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م تاركا وراءه ارسابات من الطمي عميقة . لقد بذل أهل حضارة المبيد كل جهدهم لضبط مياه النهرين . وعبدوا انكى ( Enki ) الذي سمي فيما بعد ايا ( Ea ) وهو اله الماء . عبده واسترضاه له ولكي يدرا عنهم خطر المياه . لكن ذلك كله لم يجد فتيلا . وحدث الطوفان . ومنذ ذلك الحين نشأت قصة الطوفان وصارت على كل لسان . وكانت طوفانات العراق كثيرة في عصر ما قبل التاريخ وفي بداية العصر التاريخي . وقد ورد في قائمة الملوك السومريين في بدايات التاريخ ذكر لطوفان كبير . وان كانت الطوفانات يوصف أكثرها بأنها كبيرة فمن المسير أن نتعرف على تاريخ طوفان " نوح " المشار اليه في الكتب السماوية .

ويتمثل القسم الثاني من عصر العراق الخالكوليثي ، والمسمى بمصر ما قبل الإسرات في موقع الوركاء بوجه خاص . والوركاء هو الاسم الحديث لاسم أوروك Uruk القديم . وقد ذكر الاسم الأخير في صورة ارك Erech في التوراة . ولا تنحصر الحضارة في الوركاء وحدها بل تظهر في عدة مواقع أخرى تقع أيضا في الجنوب مثل لجش Lagash ( تل اللوح ) ، وأور Ur ( تل المقبر ) وأريدو Eridu ( أبو شهرين ) . ويتبين من حضارة الوركاء <sup>ملاحظ</sup> بعض ملامح تقدمية تتم عن مجيء قوم جديد الى جنوب العراق . وليس من المستبعد أن يكون هؤلاء القوم هم الطلائع الأولى للهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية . لكن الطابع السومري كان لا يزال هو الغالب حينئذ على حضارة الوركاء . ويلاحظ أن الأواني الفخارية أصبحت تصنع بواسطة عجلة الفخاري ( Pattern's wheel ) ، وهو ابتكار على جانب كبير من الأهمية . كما صنعت أدوات من النحاس ، واستخدمت الحجارة في البناء . ويمتاز فخار الوركاء بغلبة اللونين الرمادي والضارب الى الحمرة ، وتناسق أشكاله لأنه مصنوع على نحو ما ذكرنا - بمجلة أودولاب الفخاري .





وتمثل حضارة الوركاء مرحلة بالغة الأهمية من مراحل التكوين الحضارى فى تاريخ الرافدين . كانت أبرز معالم هذه الحضارة - بصرف النظر عن الفخارية والأدوات النحاسية - هى بداية بناء المدن لأول مرة على الرغم من انطمار الأرض بالرسابات الخرينية ، وطفيان مياه بحر الخليج الملح على مياه الرافدين المذبة . غير أن السومريين كانوا - على نحو ما المعنا - يتصفون بالقدرة على التنظيم فاستطاعوا التحكم فى القوى المائية المائية الى حد كبير . لكن أهم من ذلك هو التعاون الذى قام بينهم وبين الوافدين الجدد من الساميين . لقد قام بين القومين ما يشبه التمايش السلمى ، وتضافرت جهودهما من أجل البناء والتمير . وكسان السومريون متفوقين سياسيا وحضاريا . لكن لن يلبث الساميون أن يفرضوا أنفسهم بالتدريج ، ويفرضوا لغتهم فى مجالات التعامل ، وان ظلت اللغة السومرية ( وهى غير سامية ) تدون بها النصوص الدينية والأدبية . وستلاحظ تناوب السيادة بين هذين الشعبين السومريين والساميين فى القرون التالية على أرض الرافدين .

ولا يمكن لمن يدرس حضارة الوركاء أن يفغل تلك الظاهرة المعمارية الدينية المسماة بالزقورات ( Ziggurat ) والتي ذاع صيتها ذىوع اهرامات مصر مع الفارق فى القياس . والزقورات هى المصابد المدرجة . كان المعبد من هذا الطراز عبارة عن مبنى موجه الى الجهات الأربع الأصلية . وكان يبنى من الآجر، ويتألف من ثلاث درجات يصل بينها سلم يودى الى القمة حيث توجد الحجرة المقدسة أو قدس الأقداس . وكانت الأخيرة عبارة عن عجرة مستطيلة الشكل وملحق بها حجرات جانبية . وقد بنيت زقورات مدينة أور ( تل المقير ) فى عصر حضارة الوركاء . وتختلف الآراء حول أصل هذا الطراز المعمارى ، ان يرى فريق من علماء الآثار أنه كان متأثرا بطبيعة جنوب ايران الجبلية وهضابها المائية التى كان يألفها السومريون ، بينما يرى فريق آخر أن القصد من ارتفاع المعبد أن يكون بيت الاله قريبا من السماء أى قريبا منه لأن السماء كانت مولهة وكان آنو ( Anu ) هو اله السماء ، وكبير الالهة . وكان ثالث الكون يتألف من آنو، اله السماء ، وانليل ( Enlil ) اله الفضاء ( ما بين السماء والأرض ) ورب الماصفة فى الوقت ذاته ، ثم ايا ( Ea ) اله الماء والأنهار والقنوات الذى كان من قبل يسمى انكى ( Enki ) . ولا يقل عن ذلك أهمية ما تركه لنا أصحاب حضارة الوركاء من أختام أسطوانية من الطين محفور عليها رموز تصويرية دينية ودنيوية . وكانت تستخدم لتمييز الهويات ، وتصبر عن الملكية



الشخصية . ولسنا في حاجة الى تأكيد أهمية هذه الرموز التصويرية التي كانت تباشير اختراع الكتابة ، وتعد من أهم العناصر الممهدة للانتقال أو النقلة الى بداية العصر التاريخي .

وتتمثل الفترة الأخيرة من حضارة المراق في عصر الحجر والنحاس في عدة مواقع أهمها جمدة نصر ( وهو تل جنوب بغداد ) التي تكمل حضارتها حضارة الوركاء ، وتمتير المرحلة الأخيرة من عصر ما قبل الكتابة . ولعل أبرز ظاهرة في عصر حضارة جمدة نصر هو اتساع دائرة الصلات الخارجية . ان امتد تأثير تلك الحضارة شرقاً حتى عيلام وايران والسند ، وجنوباً حتى منطقة الخليج العربي وحضرموت ، وغرباً حتى الصومال ومصر . ويلاحظ أن حضارة جمدة نصر كانت خليطاً أو مزيجاً من عناصر سومرية وعناصر سامية .

## ٢ - فلسطين :

نشأت فيها أثناء ذلك العصر ( الخالكوليثي ) ثلاث حضارات محلية مرت بثلاث مراحل : الأولى في أريحا ووادي غزة ، والثانية في تليلة الفسول ، والثالثة في بئر سبع . وتتمتد هذه الحضارات زمنياً الى أواسط الألف الرابع ( حوالي ٣٥٠٠ ق م ) . وقد أدت معرفة النحاس واستخدامه الى تطوير الحياة بكافة مظاهرها في فلسطين أثناء هذا العصر . وتوافرت لقرى هذه الحضارات كل مستلزمات الحياة الزراعية المستقرة . ويلاحظ في الحضارة الفسولية التنوع في تصميم المنازل ، وتوسط حجمها ، وبنائها من الحجر على أسس حجرية ، ثم زخرفة حوائطها برسوم ملونة . ويستلفت النظر ذلك الرسم الملون الذي يمثل نجمة ثمانية كبيرة تحيط بها علامات ورموز غامضة . كذلك تنفرد هذه الحضارة بوضع آنية فخارية في شكل المنازل الدائرية الأسقف . ولعلها كانت تستعمل لحفظ عظام الموتى . وكانت المقابر تغطى بكتل حجرية . واكتشف معبد كبير يتكون من حرم تحيط به المباني الملحقة به ، وكلها مسورة بسياج من الحجر . والمعبد كبير ان يبلغ طوله نحو عشرين متراً . ويقوم في مواجهة المعبد هيكل صغير أو مذبح ديني عثر فيه على بقايا عظام حيوانية وشقف فخارية .



وتوافرت لحضارة وادي غزة كل مقومات الاستقرار . وكان أهلها يجمعون بين مهنتي الزراعة والرعي . وقد صنعوا تماثيل ، وبنوا أجزانا ومخازن للقمح . ويستوعبي الانتباه أن منازلهم كانت شبيهة بالكهوف ، إذ تتألف من حجرات سفلية مستديرة أو بيضاوية يصل إليها السكان بواسطة درج يوصل إليها أو بواسطة انفاق أو آبار رأسية . وتؤدي تلك المداخل الى ممرات أفقية تتفرع بدورها الى الحجرات ( ١ ) .

وقد تميزت الفترة التالية في مصر الخالكوليثي بفلسطين بتنوع أنماط الأواني الفخارية تنوعا يعتقد أنه نشأ عن تنوع في الأنماط الحضارية . وبصارة أخرى يرجع الى وفود عناصر بشرية جديدة على المنطقة . وفي أغلب الظن أنه كان يوجد بينها عناصر سامية . وقد امتزجت جميعا بأهل الحضارة الفسولية . ومهد هذا الامتزاج بدوره للانتقال الى بداية العصر التاريخي . ومن الآثار الفريدة في تلك الفترة الجديدة المقابر الجماعية . وكانت هذه اما كهوفا طيمنية أو فجوات ضخمة محفورة في الصخر . وكانت المقبرة تتسع لحوالي ٣٠٠ شخص . وتدل أكوام الحطب التي عثر عليها في كل مقبرة من هذه المقابر على أن القوم كانوا يمارسون عادة حرق جثث الموتى . لكن لوحظ أيضا وجود الجماجم منفصلة حول كل كوم . ويبدو أن الجثث كانت تحرق دورا ، الجماجم وتوضع بجوارها الأواني الفخارية . ولا نلتقي بمثل هذه الظاهرة في مناطق الشرق الأدنى الأخرى ما يعزز الاعتقاد بأنها ترجع الى عناصر بشرية وفدت جديدا على فلسطين .

### ٣ - سوريا :

وأما عن سوريا فقد لوحظ أن وادي العمق قد تأثر في الفترة الأولى من عصر الحجر والنحاس بحضارة تل حلف العراقية . وفي الحق ان تأثير الحضارة الأخيرة امتد أيضا الى قبليقية والساحل السوري كما يتضح من آثار رأس شمرة . وقد امتزجت عناصر حضارة حلف مع الحضارة المحلية كما يتبين من فحص الأواني الفخارية ودراسة المنازل . ففي جيرا بلس ( قرقيش القديمة ) اكتشفت منازل دائرية الشكل مبنية من كتل طينية فوق أسس حجرية . هذا فضلا عن الآثار المتطورة التي تدل على قيام حياة أكثر استقرارا مما كانت عليه في مصر النيوليثي .

( ١ ) أنظر : رشيد الناصوري ، جنوب غربي آسيا وشمال افريقيا ، ص ١٧٨ .



وقد تابعت حضارة وادي العمق في الفترة التالية تطورها الحضارى . وكما تأثرت من قبل بحضارة حليف تأثرت حينئذ بالتيارات الوافدة من حضارة المبيد في جنوب بلاد النهرين . ويتضح ذلك بجلاء من أشكال الأواني الفخارية . وليس من المستبعد أن يكون أهل حضارة المبيد لا احتياجهم الى الخشب قد اتجهوا بأنظارهم الى سوريا حيث تتوافر تلك السلعة في شمالها . ولعل نهر الفرات قد استخدم في نقل الخشب من شمال سوريا الى جنوب العراق . ورغم تأثير الحضارة المبيدية الا أن أنها لم تطغ على ملامح حضارة سوريا الشمالية فظلت هذه محتفظة بمميزاتا المحلية مع مسحة واضحة من الحضارة العراقية .

#### د - لبنان :

وأما في لبنان فقط ثلث حضارة بيبيلوس ( جبيل ) محتفظة بخصائصها المحلية دون أن تظهر فيها أى مسحة من حضارة المبيد في تلك المرحلة . وقد عثر بيبيلوس على أدوات نحاسية وأخرى فضية . وكان أصحاب حضارة بيبيلوس في ذلك الوقت يدفنون موتاهم داخل قبور فخارية ضخمة . وشاركهم في هذه المادة أهل حضارة عمارة .

وقد تابعت مجتمعات فلسطين ( أريحا ) ، وسوريا ( وادي العمق ) ولبنان ( بيبيلوس ) تطورها دون أن تبلغ المستوى الحضارى الذى بلغه المجتمع في العراق أو مصر في ذلك الحين . بل ان هذه المجتمعات السورية ازداد تأثرها بتيارات حضارتى الرافدين والنيل . ففي أريحا ومجدو Megiddo ( تل المتسلم العالية ) ونجربة كرك بنلسطين نلمس ازدياد التأثير المصرى والمراقى في بناء المنازل والمقابر والمقابر وسناعة الأواني الفخارية . وقد تميز فنار تلك الفترة بزخرفة قوامها الخدوش المتموجة والمتقاطعة . ونلمس نفس الظاهرة في وادي العمق بسوريا وبيبلوس ففى لبنان عيىث تستلقت النظر مظاهر تنم عن مدى التأثير بحضارة بيبيلوس من مصر التسمى سادات الطرق في الفترة الأخيرة من العصر الخالكوليثى . ويستخلص من دراسة الأدلة الأثرية اتساع نطاق الصلات التجارية والثقافية بين سوريا وبين العراق ومصر أثناء عصر ما قبل الأسرات .





٥ - مصر :

بدأ عصر الحجر والنحاس ( الخالكوليثي ) في مصر مثلما بدأ في إيران وتركيا والصراق وسوريا عند حوالي عام ٥٠٠٠ ق.م أو بعمده بقليل . ويمثل فجر حضارته أو الفترة الأولى منه ( أى حتى حوالي ٤٠٠٠ ) مركزان هما البيدارى والفيوم ( ب ) وكلاهما مرتبط بالآخر ارتباطا وثيقا . وقد سبق أن ألقينا حضارة البيدارى بحضارة تاسا التى لاشك فى انتمائها الى العصر الحجري الحديث ( الفيوليثي ) . ( ١ ) وفي الحق ان البيداريين كانوا لا يزالون يصنعون آلاتهم من الصوان . وكانوا يقيمون فى صناعتهم طريقة التشظية بواسطة الضغط ( ٢ ) . وقد صنعوا بهذه الطريقة السهام العادية القلنسوية الشكل أى ذات الجناحين ، والأسلحة الرفيعة التى على شكل ورق الصفصاف ، والمقاشط والسكاكين والمناجل والمناشير . وهى مشطوفة من الوجهين ( bifacial ) . ومن أهم آلات البيدارى الصوانية الآلات المسماة بالشظية ذات الثرية الجانبية ، وهى شظية مقوسة فى العادة .

وهذه المظالمس الحضارية تنتمى بداهة الى العصر الحجري الحديث . لكن ما يخرج البيداريين عن نطاق هذا العصر ويدخلهم فى العصر الخالكوليثي هو تميزهم على أساس فهمهم بمعرفة النحاس بعد عام ٥٠٠٠ ق.م . لقد بلغوا ان مرحلة حضارية أحدث وأرقى من أصحاب حضارة تاسا . ومن المرجح أنهم استمضوا عن الفأس الحجرية التاسية بالفأس النحاسية . وقد عرفوا من أسلحة القتال - الى جانب القوس والسهم - المصبة القاذفة ( boomerang ) المصنوعة من الخشب ، والمقارع القرصية ( maces ) المصنوعة من الحجر الصلب والمثقوبة من الوسط لى تركيب فى قذيفة من الخشب ، وتستخدم - على ما يظن - فى الضرب أو فى اللعب . ( ٣ )

وبلغت صناعة الفخار عند أصحاب حضارة البيدارى درجة عالية من الاتقان والرفقة والجمال لم تلبسها أى حضارة مصرية أخرى . ومن بينها الأواني الحمراء ذات الحافة السوداء ثم الأواني السوداء المزخرفة برسوم بيضاء هندسية ( مثلثات ومخاريط حلزونية ) . وهذه الأواني ذات طراز واحد هو القدح الذى على شكل الناقوس . ويكشف عن محاولة صانع الفخار تقليد شكل السلال كذلك

( ١ ) انظر ص ٨٣ فيما تقدم .

( ٢ ) عن التشظية بالضغط pressure flaking ، راجع ص ٤٩ فيما تقدم .

( ٣ ) وتسمى أحيانا " برأس الدبوس " . انظر ١٠١ - ١٠٢ فيما يلي .



نجد أواني خشنة رديئة الاحتراق وتحتوى على قش كثير، وإن كانت أشكالها متقنة ومتنوعة . وثمة ملاحظة أخرى هي أن بعض الأواني الفخارية تحمل علامات أو رموزا دالة على الملكية الشخصية أو ربما على شيء آخر . وتفوق أصحاب حضارة البدارى في صنع الألواح الارذوازية التي كانت تستخدم لصحن الملايكة ( تراب نحاسى أزرق ) ( ١ ) والمذرة ( تراب حديدى أحمر ) . وكان الأول يستعمل لتكحيل الميون ، والثانية كمسحوق لتجميل الوجه . كذلك اكتشفت بعض لوحات من المرمر . وعرف البداريون صناعة التماثيل . وبعض هذه التماثيل أنثوى وجد في المقابر . وهي مصنوعة إما من الطين النقى أو الطين المحروق أو العاج . وتظهر مهارتهم الفنية في صناعة أدوات كألمشاح والدبابيس من العاج ، وعبات الخرز من الكوارتز والفلسبار ( ٢ ) ، والأقراص من قشر بيض النعام ، والأقراط والأساور من الأصداف .

وكانوا يد فنون موتاهم في أوضاع مقرفة في حفر عميقة . وقد تبطن جوانب الحفر بالحصير لوقاية الجثث من الرمال المتساقطة . وقد تغطى الحفر بأغصان الشجر . ووجدت بعض الجثث مكسوة بلفائف من الجلد أو القماش . وتشير القرائن الى أن أهل البدارى كانوا يعتقدون بوجود حياة أخرى بعد الموت . وتستعرض الانتباه سعنتهم الزنجية برغم أنهم كانوا حاميين . ولا يستبعد أن تكون المنطقية الى جانب تعرضها لهجرات حامية من الغرب والجنوب - قد تعرضت حتى قبيل بداية العصر التاريخى لهجرات سامية من الشرق أو حتى هجرات أخرى من الشمال . ومن المحتمل أن يكون قد حدث نوع من الامتزاج البشرى بين المصريين وبين

---

( ١ ) يسمى " بالدنج " في معاجم اللغة العربية .

( ٢ ) نوع من الصوان المتلجور .



عناصر جديدة وفدت من الخارج . كذلك أزيح النقاب في البدارى عن مدافن خاصة للحيوانات ، فضلاً عن الحيوانات التي وجدت مدفونة مع الموتى . ويشير ذلك الى بداية تقديس الحيوانات بوصفها ظاهرة من الظواهر الموهمة فسي البيئة من حول انسان البدارى . وكان لهذا دلالة دينية فيما يتصل بتطور الفكر الدينى . ويستخلص من اختلاف الحيوانات بالمقابر من منطقة الى أخرى في البدارى أن المبادات بدأت تختلف باختلاف البيئة أو الاقليم .

وأما حضارة مصر أثناء الفترة التالية من العصر الغالكوليثى والمسماء بمصر ما قبل الأسرات ( ٤٠٠٠ - ٣٢٠٠ ) فتتمثل في عدة مراكز بمضها في الصعيد ويمضها الآخر في الدلتا :

في مصر العليا ( الوجه القبلى ) أو الصعيد :

- ( ١ ) حضارة العمرة ( = نقادة الأولى ) .
- ( ٢ ) حضارة جرزة ( = نقادة الثانية ) .
- ( ٣ ) حضارة سماينة .

في مصر السفلى ( الوجه البحرى ) أو الدلتا :

- ( ١ ) حضارة حلوان الثانية ( حلوان ب ) .
- ( ٢ ) حضارة المعادى ( ١ )

---

( ١ ) شرقى المعادى الحالية ، وتتبعها حضارة " دجلة " ، وهى أيضا متاخمة للمعادى . هذا الى جانب حضارة " هليوبوليس " ( صحراء مصر الجديدة ) .



بدأت مصر في الفترة الثانية من عصر الحجر والنحاس ( الخالكوليث ) ، تتميز بالتحصن الثقافي وتحرز - كما أحرز المراق - درجة عالية فن التفوق الحضارى فسي ميادين كثيرة . ومهد ذلك لقيام الحضارة التالية في عصر الأسرات . ولذلك تسمى الفترة الثانية من العصر الخالكوليثي في مصر بعصر ما قبل الأسرات ( ٤٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق م ) ولم يعد تصير مصر الخالكوليثي يلائم الحضارة الجديدة التي اكتسبت مظهرها جديدا ليكثر استعمال النحاس وارتقاء الصناعة الحجرية والفخارية والعظمية ، وتأصل المعتقدات الدينية ، وظهور الرموز التي مهدت لمصرفة الكتابة . كذلك لم يعد من الملائم دراسة مصر في هذه الحقبة كوحدة نظرا للاختلاف البيئي بين الدلتا والصحيد وبالتالى اختلاف أحدهما عن الآخر في المظاهر الحضارية . كان الوجهان البحرى والقبلى يختلفان احدهما عن الآخر في الموقع الذى جعل الدلتا تتعرض لمؤثرات وافدة من جهات أجنبية متاخمة مثل ليبيا وفلسطين وجزر البحر الايجى ، بينما كان الصحيد محسودا بالصحارى من جانبه الشرقى والغربى مما جعل حضارته تتطور محليا ولا تتأثر بالتيارات الثقافية الأجنبية الا تأثرا محدودا . لكن الصحيد كان على ارتباط وثيق بالنوبة التى لا تفصله عنها أى حواجز سياسية أو ثقافية بدليل أن حضارات الصحيد وجدت ممثلة فى بعض أجزائها من النوبة . لقد اختلف الوجهان اذن البحرى عن القبلى حتى فى الطباع والمزاج ، بل نشأت بينهما خصومات سياسية . وحاول كل منهما قهر خصمه واخضاعه لسيطرته . ويمتقد بعض الباحثين أن أهل الشمال ( الدلتا ) قد تمكوا قرب الأواخر الحقبة التى نحن بصدد ما بفضل تفوقهم المادى وربما الثقافى أيضا من الأغارة على الصحيد وتوحيد البلاد تحت امرة حاكم من الدلتا . غير أن هذه الوحدة - ان صح أنها حدثت - لم تلبث أن انفصم عراها ، وانقسمت البلاد ثانية الى شطرين . وظلت على هذا الوضع فترة أخرى حتى قام أهل الجنوب ( الصحيد ) منادين بتوحيد شطرى الوادى ، وتمكن واحد منهم من قهر الشمال وتوحيد البلاد تحت حكمه . فكان أول ملك لمصر الموحدة .

لقد كشف الاثريون عن ثلاث حضارات بالصحيد ترجع الى عصر ما قبل الأسرات ، ومن الصخرة وجزرة وسماينة . وقد سبق أن اشرنا الى حضارى الصخرة وجزرة عند الكلام عن الطريقة التى ابتكرها فلندرز بيترى للتقويم الزمنى والمسماة بالتأريخ





التابص (١) . وقد اعتبر بيتري حضارة الصمرة ممثلة للفترة الأولى من عصر ما قبل الأسرات وأطلق عليها اسم حضارة " نقادة الأولى " . وجعل حضارة جرزة ممثلة للفترة الثانية من عصر ما قبل الأسرات وسماعها بحضارة " نقادة الثانية " . وأما حضارة سماينة فتمثل عنده نهاية عصر ما قبل الأسرات أو بالأحرى تمثل عصر ما قبل الأسرات والأسرتين الأولى والثانية ( protodynastic ) . وبعبارة أخرى هي تمثل فترة الانتقال من عصر ما قبل الأسرات إلى عصر الأسرات ، وتتداخل بعض مظاهرها الأثرية مع مظاهر حضارة الأسرتين الأولى والثانية .

وتنسب حضارة الصمرة ( = نقادة الأولى ) إلى بلدة الصمرة في جنوب الحراية المدفونة ( أبيدوس ) مركز البلينا ( محافظة سوهاج ) . وقد انتشرت إلى مواقع أخرى في صعيد مصر مثل هو (٢) ( ديوييسبوليس بارفا ) والبلاص ( قرب قفط ) . ونقادة ( مركز قوصى بمحافظة قنا ) بل امتدت إلى ما وراء ذلك جنوبا حتى الكوم الأحمر ( وهي نخن الفرعونية وهيراكونبوليس اليونانية ) والنوبة ، وامتدت شمالا حتى المحاسنة ونجع الديير وشطب . وتشبه هذه الحضارة في سماتها العامة سمات حضارة البدارى . وكانت سحنة أصحابها لا تزال عليها مسحة زنجية أصبحت طفيفة بتأثير ازدياد الهجرات الحامية إلى مصر . ولم يضع النحاس - على نحو ما ذكرنا - حدا لاستعمال الحجر . فصنع أصحاب حضارة الصمرة آلات من الحجر . وكانت الفؤوس الصوانية أعم آلة عندهم . وتشكل في هذه الحضارة صناعة الآلات الصوانية المسننة كالمناجل والمناشير . وتشبه بعض الآلات الصوانية آلات حضارة الفيوم كالفؤوس والسهام المجنحة والأسلحة التي على شكل أوراق الشجر والآلات المسننة . ويلاحظ أن جميع آلات هذه الحضارة مشطوفة مسنن الوجهين ( bifacial ) . واشتهرت حضارة الصمرة بأسلحة صوانية تشبه نيل السمكة ويمكن تثبيتها في مقبض من الخشب أو العاج . وملتقى عنا أيضا بالمقامع الحجرية القرصية الشكل ذات الحواف والمثقوبة في الوسط بحيث يمكن تثبيتها في عصا خشبية . ولا يعرف على وجه اليقين الغرض الذي كانت تستخدم فيه : الضرب أو اللعب أو السحر أو مجرد

(١) راجع ص ٣٣ - ٣٤ فيما تقدم .

(٢) تنطلق ريجو . وقد سماها اليونان ديوسبوليس بارفا أي مدينة زيوس ( = آمون ) البشنري تمييزا لها عن ديوسبوليس ميجالي ( ماجنا ) أي ديوسبوليس الكبرى أي مدينة زيوس ( آمون ) الكبرى ، وهي طيبة ( الأقصر الحالية ) .



حفر الأرض . ولا بد أن أعمل حضارة العصرة قد جلبوا كثيرا من هذه الآلات جاهزا من أماكن أخرى في مصر لأن منطقتهم ليست غنية بالصوان . ويؤخذ من ذلك قرينة على المقايضة أى التجارة والصناعة فضلا عن التمدد بين . وقد اكتشفت بين آثار العصرة أدوات مصنوعة من أحجار أخرى غير الصوان كالبازلت والجرانيت والأردواز . لقد استغل أهل هذه الحضارة إمكانات البيئة المحيطة بهم دائرة صلاتهم الخارجية . كذلك استخدما العاج والعظم والنحاس والذهب والفضة والرصاص في صناعة الأدوات الضرورية والتجارية هذا فضلا عن صناعة الأقمشة الكتانية والحبال والمصنوعات الجلدية .

ويتميز فخار " حضارة العصرة " بتعدد أشكاله ( قوارير وجفان وأقداح وأواني توأمية وصحافم وتنوع زخارفه ( الهندسية والنباتية والحيوانية ) . واشتهرت العصرة بالأواني ذات القمة السوداء ( ومعنى أكثرها شيوعا ) ، والأواني الحمراء المصقولة ، والأواني السوداء ذات الخطوط المحفورة ، والحمراء ذات الخطوط البيضاء أو النقوش البيضاء أى الصور الحيوانية ( كقرس البحر والفضال والوعل والجحش ) والتصور الآدمية . لكن معظم أواني العصرة تعتبر في جملتها تطورا من أواني حضارة البدارى فيما عدا النوع الرابع من الأواني ( الحمراء ذات الخطوط أو النقوش البيضاء ) . ويلاحظ أن الرسوم الحيوانية والآدمية جامدة خالية من الحركة ولا تنبض بالحياة .

وفي مجال الدين توصل أهل حضارة العصرة ( نقادة الأولى ) إلى الاعتقاد في عدد من القوى الإلهية مثل حتحور وست ومين وربما الإله الصقر حور ( أو عورس ) أيضا . فقد وجد على أحد الأواني بمقبرة جبانة نقادة رسم بارز يمثل بقرة مما يشير إلى عبادة حتحور ، الهة الخصب التي أصبحت ترسم - فيما بعد - في شكل البقرة وتلقب بالهة الذئب ( نوبت ) ، ونحو الاسم الذى سيطلق على بلدة نقادة في مصر التاريخي . وكانت " نوبت " أيضا بلدة الاسم الإله " ست " ، وفيها شيد له فيما بعد معبد لملته قام على أنقاض معبد سابق من عصر ما قبل الأسرات . وما يؤيد الظن بقيام عبادة البقرة حتحور ، ربة الخصب ، في هذا المكان منذ حضارة العصرة اكتشاف أوان فسيفسائية بلدتى عو والأبعادية عليهما صور للبقرة . وتتميز بعض أواني هذه الحضارة بحلقات أو رموز عن عبارة عن مخريشات أو خدوش في سطح الفخار . وللملها تدل على الملكية الشخصية . غير أنه يوجد بين هذه المخريشات رسوم حيوانات . فهل هذه الرسوم تمثل صور الآلهة المعبودة مثل ست ومين ونوبت ، أم عن رموز تدل على معان ومن ثم تعتبر بداية لاختراع الكتابة التصويرية ( pictograph ) ؟



ومن بين الأدوات الطريفة في حضارة العمرة المصنوعات الماجية كالأمشاط .  
ودبابيس الشعر . وقد تحفر فيها بعض أشكال تمثل حيوانات وطيورا كالنعامة والكتكوت .  
ومن بين الأشكال صورة من بلدة المحاسنة مرسومة على قطعة من الصاج يقال أنها  
اقدم صورة للحيوان الشبيه بالجهش الذي يرمز للاله ست ، اله الشر ، عدو أوزيريس  
( أوزيريس ) عند قدماء المصريين . ولكن نيل الحيوان لا يظهر في الرسم مرفوعا على  
نعوما جرت المادة في تصوير الاله ست في العصر التاريخي . لكن ذلك لا يمنع من  
اعتبارها قرينة لدعم الرأي القائل بأن عبادة ست نشأت منذ عهده الحضارة . ويفسر  
بعض الأثريين رسم بعض الحيوانات على الأواني ، والتي تمثل حيوانات مكرومة  
كالتماسيح والمقارب ، بأنه دليل على معتقدات طوطمية بمعنى أن عهده الرسوم  
الحيوانية هي تجسيدات لقوى الهية . وقد أصبح بعض عهده الحيوانات فيما بعد  
شمارات للاقاليم ورموزا لمعبوداتها . وتشير التماثيل الأنثوية الى احتلال الهة  
الأومة منزلة خاصة . وليس ثمة شك في ايمان انسان حضارة العمرة بحياة أخرى بعد  
الموت . ويتبين ذلك من حرصه على دفن موته في رمال الصحراء الجافة بعيدا عن  
طمي النيل لوقاية الجثث من التحلل والبلى . وكانت المقابر عبارة عن حفر بيضاوية  
قليلة العمق يوضع فيها الميت في شكل مقرفص . وفي بعض الأحيان كان يوضع في مقبرة  
واحدة أكثر من جثة . وكانت توضع مع الميت تماثيل صغيرة لنساء وخدم يحملون أواني  
الماء فوق رؤوسهم واضعين أنفسهم في خدمته أثناء رحلته الطويلة في العالم الآخر .  
كذلك كان يودع بجانبه بعض مقتنياته الدنيوية الأثيرة الى نفسه كالخلى والأسلحة  
وبعض الملحام . ويبدو أن الكلاب كانت تدفن مع أصحابها لكن تحرسها - على ما يظن -  
في الحياة الأخرى . وأما ممتلكات الميت الأخرى كالماشية/يستعاض عنها بتماثيل من  
الطين .

لكن حضارة العمرة أو " نقادة الأولى " انفردت بظاهرة غريبة اختلف العلماء  
في تفسيرها ومن عدم وجود مياكل للموتى كاملة بل مجردة . ولا يدري أحد عن يقين  
سر هذه الظاهرة الغريبة .<sup>(١)</sup> وقيل أن نترك الرسوم والصور تجدد الإشارة الى رسم

(١) يفسرها البعض بأن انسان حضارة نقادة الأولى كان يأكل لحوم موته اكتسابا  
لصفاتهم : انظر رشيد الناصوري ، جنوب غرب آسيا وشمال افريقيا ، ص ١٨٥ .



غريب على اناء من نقادة يمثل تاج الوجه البحرى ( الدلتا ) . فهل يشير ذلك الى خصومة سياسية بدأت بين الدلتا والصعيد ؟

كان النحاس لا يزال نادرا في حضارة الصمره ان اقتصر استعماله على صناعة الدبابيس . ولا نعرف الفخار لأن الملابس المصرية لم تكن تحتاج في ذلك الوقت الى دبابيس لتثبيتها . والتماثيل الآدمية قليلة جدا سواء من الطين أو من العنبر . نسان البداريون يمشون عيشة مستقرة ويقتاتون من الزراعة والرعى والصيد في البر والنهر . وكان الصيد لا يزال أحد الموارد الهامة في اقتصادهم . ولا يوجد دليل على وجود ملوك أو امراء لأن المقابر لا تنم عن تفاوت في الثروة أو الجاه . لكن يبدو أن طبقة العبيد كانت موجودة كما يتبين من تماثيل حملة الماء ومحظمها لنساء . كذلك كانت هناك طبقة من أسرى الحرب الذين صورهم أصحاب هذه الحضارة في تماثيل ذات أيدي موثوقة من الخلف . ونشأت فكرة الملكية الفردية بدليل العلامات المميزة على الأواني . وقد لوحظ أن الأواني المودعة في قبر واحد تحمل علامة أو رمزا واحدا .

وعرف أصحاب حضارة الصمره أو نقادة الأولى أدوات مختلفة للزينة كالملاكيك لتكحيل العيون . كذلك عرفوا الوشم فكان الجسم يوشم بعدة رسوم . وكانوا يزينون الشعر بمشط من العاج ، وويل الأسنان شبيهة بالأمشاط في حضارة البدارى . وعرفوا الدبابيس النحاسية . وكانوا يلبسون عقودا مصنوعة من قشر بيض النعام والأصداف والمرجان وأحجار مختلفة أخرى كالمقيق واللزورد وحجر الطلق . وكانت تثبت في الحقود دلايات من تماثيل صغيرة للحيوانات والطيور والأسماك . وربما كانت هذه لهيئات طوامية أو هليا سحرية تنقى ما عليها من العسد والمرض والارواح الشريرة . وكانوا يزينون أنوفهم بأساور من الأصداف والعاج . ويتضح من التماثيل أن الرجال كانوا همرايا إلا من قماط يستر الصورة . وكانوا يثبتون الريش في شعرتهم وينتعلون صنادل . أما النساء فكان يرتن بين مئزرا من الكتان ، وكن كالرجال يحلقن رؤوسهن ويلبسن شعرا مستمارا .

ولا نعرف شكل مساكن أهل الصمره لأن ما اكتشف من آثار لا يساعد على تحديد على هذا الشكل بدقة . لكن يتضح في ضوء الحفائر التي أجرتها الأثرية كيتون أوامسون في الهامية ( بمحافظة قنا ) وهى منطقة سكنى ترجع الى أواخر عصر حضارة الصمره ، أن البناء بالطوب لم يكن قد عرف بعد ، وكل ما اكتشف لا يحد وأن يكون قواعد أو أسس من





الطين لبعض المنازل . وتوجد آثار للغاب والقبان مطبوعة على هذا الطين مما يبعث على الظن بأن الجدران كانت تغطى بالغاب والقبان أو كانت تبنى بالغاب وفروع الأشجار ثم تطلى بالطين .

ونخلص من هذا إلى أن أوجه الشبه بين حضارة العمرة ( نقادة الأولى ) وبين حضارة البدارى كانت كبيرة حتى ليتمكن القول بأنها منبثقة منها وفيها أصبح وادى النيل أكثر عمراناً وقراه على جانبي الوادى أكثر عددًا . ولكن هذه الحضارة تمثل مرحلة أرقى من حضارة البدارى في شتى المجالات ما عدا صناعة الفخار إذ لم يبلغ فخار العمرة ( ولا فخار أى حضارة مصرية أخرى ) مستوى فخار البدارى فسي ملاسته ورقته . لكن يقابل ذلك أن الأوانى الحجرية ( كالأوانى المرمية الاسطوانية الشكل ) قد حلت في حضارة العمرة محل الأوانى الفخارية . كذلك يتضح أن هذه الحضارة وإن كانت قد سارت في نفس اتجاه سابقتها واتسمت بنفس الطابع الذى بدأ يتأصل في مصر منذ حضارتى تاسا والبدارى ، إلا أن حضارة العمرة تغذت بمناصر بشرية جديدة وفدت إلى الوادى في شكل حجرات حامية من ليبيا والصحراء الغربية ( التى كانت لا تزال وفيرة المطر كثيرة المراعى ) ، ومن الجنوب ( مثل النوبة ) . وقد ينهض على ذلك دليل تلك النقوش الصخرية المحفورة في صخور الصحراء الغربية ، وما ظهر على فن زخرفة الأوانى الفخارية في مصر من ملامح تشابه ملامح فن الحضارة القفصية في شمال إفريقيا وفن شرق أسبانيا ، وما ظهر فيها من رسوم كأغطية الرأس ذات الريش ، والمعقود المصنوعة من قشر بيض النعام ، وهذه كلها كانت مألوفة فسي الصحراء الغربية وشمال إفريقيا .

وسميت حضارة جرزة كذلك نسبة إلى بلدة جرزة التى تقع بين سويف والواسطى ( في الصعيد الشمالى أو مصر الوسطى قرب الفيوم ) . وتسمى حضارتها أيضا " بنقادة الثانية " . وتمثل الفترة الثانية من عصر ما قبل الأسرات . وتختلف عن حضارة العمرة من ناحيتين : الرخاء والتفوق الفنى ثم التفسير الفجائي في أنماط الآلات والأوانى والملابس . وهذه الطفرة تجعل صلتها ضعيفة بالحضارة السابقة . غير أن ذلك لا ينفى أن حضارة جرزة متطورة عن حضارة العمرة لأن الرخاء والتفوق الفنى نتجا عن ازدياد الثروة وارتفاع مستوى الفن ورسوخ العقائد وتأصل التقاليد الاجتماعية . وأما الناحية الثانية وهى التفسير الفجائي في أنماط صناعة الآلات والأدوات والملابس فإن



أغلب الأثريين يعزونه الى تغير عنصرى أو سياسى أى تغير فى الجنس أو فى الطبقة العاكمة على الأقل . وفى هذه الحالة لابد من التسليم بوفود هجرة أو هجرات جديدة الى وادى النيل .

وفىما يتصل بصناعة الآلات الحجرية فقد ظهرت اثناء حضارة جرزة آلة القتال التى على شكل الكمثرى . وكثرت الاسلحة المدببة القاعدة والخناجر الصوانية ، وتختفى صناعة الآلات ذات الوجهين . وتغلب فى صناعة السكاكين طريقة التشظية المتموجة . ويبلغ طول بعض هذه السكاكين الجميلة الشكل حوالى تسع بوصات . ولا يعرف الخروض الذى استخدمت فيه ، ولملها كانت للزينة . وفى الحقيقة ان السكاكين والمناجل هسى أكثر الآلات الصوانية عددا . كما يظهر فى هذه الحضارة لأول مرة السهم نو الطيرف الشبيه بطرف الأزميل والذى يعتقد أنه منقول عن صناعة الآلات فى الحضارة القفصية ، وأن المنصر الحامى ( اللبى ) هو الذى أتى به الى مصر ، وان كان من الأرجح أنه منقول عن الحضارة النطوفية فى فلسطين . ونخرج من فحص آلات حضارة جرزة بانطباع مؤداه أن كلا من حضارة نقادة الأولى ونقادة الثانية يتبع صناعة صوانية مختلفة تماما عن الأخرى .

كذلك طرأ على صناعة الاوانى الفخارية فى حضارة جرزة ( نقادة الثانية ) تطور كبير ان أصبحت تصنع من الطفل بدلا من طمس النيل ، وأصبحت تزين برسوم كثيرة حتى أنه يطلق على هذه الحضارة اسم " الحضارة ذات الفخار الزخرفى " . ولعل أهم ما فى هذه الصناعة الأوانى ذات المقابض المموجة وهى التى بنى الأثرى فلنדרز بيترى " تأريخه التتابعى " على تطور أشكالها (١) . وقد اختلفت فى هذه الحضارة الأوانى ذات الخطوط البيضاء وحل محلها نوع رماى باهت ( buff ware ) نو رسوم حمراء . وتمتبر هذه الاوانى صناعة مختلفة فنيا عن صناعة الاوانى الحمراء أو ذات الحافة السوداء فى حضارة المصرة ( نقادة الأولى ) . وبينما كانت صناعة أوانى نقادة الأولى تميل الى تقليدا أشكال السلال ، تميل صناعتها فى نقادة الثانية الى تقليد أشكال الحجر والصخور . وفىما عدنا ذلك فإن حضارة جرزة تتميز - على نحو ما أشيرنا -

(١) راجع ص ٣٣ ، ص ١٠٠ .



بالأواني ذات المقابض المموجة . وتطورت صناعة التماثيل فأصبحت بعد فترة تصنع لا من الطين أو العاج بل من الطين أو الحجر . وكثير من التماثيل هي صور لحيوانات . كذلك صنعت التماثيل والملاعق من العاج . وارتقت صناعة الاواني الحجرية . واستعملت أنواع عديدة من الحجارة الجميلة كالدوريت والسماق والبرشيا والأردواز . وبمضى هذه الأحجار شديد الصلابة أيضا . ونجد بين هذه الاواني الحجرية أشكالاً لم تكن معروفة من قبل كالأواني ذات المقابض والأواني التي على هيئة الحيوانات .

كذلك يزداد استخدام المعادن في حضارة جرزة . فلم يعد استخدامها مقصوراً على صناعة الذهب بل اعتد الى كل أنواع الآلات والحلى . ولعل الأزميل هو أبرز هذه الآلات الممدنية . واستخدم الى جانب النحاس الذهب والفضة . ويوجد النحاس في سيناء والذهب في النوبة أي في البهجة المصرية . لكن الفضة كانت أندر من الذهب وأثمن ولا بد أنها استوردت من الخارج . ومثل هذا يقال عن الأوسيدان ( الزجاج الطبيعي ) واللازورد اللذين كانا يجلبان من الخارج لصنع حبات العقود . ويبدو أن النحاس كان من الوفرة بحيث أن الفؤوس صارت تصنع منه . ولعل هذه الفؤوس كانت تستخدم في القتال أو فطع الأشجار . وتكشف صناعة بمض الأواني ولا سيما الزجاج عن مهارة نائقة ودقة متناهية . وقد يستدل من ذلك على تقسيم العمل وقيام التخصص المهني . ومن البديهي أن يستتبع التخصص نشاط في التجارة . وقد يويد ذلك وجود بعض مواد أجنبية في مقابر جرزة الى جانب الفضة كالرصاص والجشمت ( الكوارتز البنفسجي ) والفيروز .

وطلأت على صناعة أدوات الزينة تصاميم فاختفت الامشاط ذات الأسنان الطويلة وحلت محلها أمشاط ذات أسنان قصيرة . كذلك اختفت الألواح الأردازية البيضاضوية الشكل . لكن لم يتوقف صنع اللوحات التي على هيئة الحيوانات .

وقد أصبحت الزراعة قوام الحياة الاقتصادية في حضارة جرزة . وتضال شأن الصيد كما يتضح من اختفاء أسلحة الصيد من المقابر . وقد اخذت بعض القرى تتخصص أثناء هذه الحضارة وسارت في طريقها نحو التحول الى مدن . وستصبح هذه المدن في العصر التاريخي عواصم الأقسام الإدارية في مصر أو المديرية . وفي رأى معظم



الباحثين أن رايات المديرات التي ستظهر في العصر التاريخي ما هي الا الشارات الطوطمية التي كانت ترمز للمعبودات في مختلف الاقاليم ابان حضارة جرزة . ولا يصرف شئ عن شكل بيوت حضارة جرزة . ففي أرمنت حيث جرت بعض حفائر منذ سنوات لم يعثر على آثار للمساكن ولا حتى للمواقد أو الحفر التي كانت توضع فيها القدر مع أن هذه كانت من معالم القرى المصرية منذ القدم .

كذلك تخير شكل المقابر فلم تعد دائرية أو بيضاوية بل أصبحت في حضارة نقادة الثانية مستطيلة الشكل أو على الأقل حفرة ذات أضلاع مستقيمة ويستخدم الطوب في بنائها . وتختلف النظائر كثرة الهدايا الجنائزية . وقد أصبحت جثة الميت توضع في كوة أو تجويف خاص داخل المقبرة . وقد تغطى الجثة أحيانا بغطاء خشبي اشبه ما يكون بالتابوت أو يوضع في كفن من الاغصان . وتنتم مقابر حضارة جرزة عن تزايد الثروة والنفوذ عند بعض فئات خاصة في المجتمع . وتتميز المقابر بعضها عن بعض الاخضر وتتفاوت مظهرها ومعتوى بقدر تفاوت أصحابها في الغنى والجاه .

وفيما يتصل بالحياة الدينية نجد أنه قد أصبح من المألوف في حضارة " نقادة الثانية " تزيين الفخار المودع مع الميت برسوم لسفن تحمل عددا من الالهة ومن بينها الاله مين ( Min ) ، وهو اله يرمز للخصب والتناسل . ومعنى هذا أن أهل حضارة نقادة الثانية يختلفون عن نقادة الأولى في المعبود ان عبده أهل نقادة الأولى في شكل أثنى بينما عبده أهل نقادة الثانية في شكل ذكر . وقد أقيم للاله " مين " بعد ذلك معبد بمدينة قفط (Coptos) . ويلوح أن فكرة اقامة معابد للالهة نشأت في عصر حضارة نقادة الثانية . واذ اصح الرأي القائل بأن أصحاب هذه الحضارة جاءوا من المنطقة بطريق وادي الحمامات فان " قفط " تكون أول موقع يقابلهم في وادي النيل . ومن المعبودات الأخرى الالهة نيت ( Neith ) ، وعن الهة الدرع والسهميين المتقاطعين . وقد بلغت عبادتها من الأهمية ما جعل كثيرات من النساء يحملن اسمها بل ان اسما بعض ملكات الأسرة الأولى مشتقة من اسمها . ولعل أعم اله يظهر في حضارة نقادة الثانية الإله الصقر حور أو حورس ( Horus ) الذي وجد مرسوما على بعض الاواني . وهو يصور رابضا على هلال . وقد ظل يرسم على هلاله الهيئته حتى الأسرة الأولى مما يدل على أنه كان في الأصل اله القمر . ولما كان الصقر





هو إله ملوك الأسرة الأولى فقد ينهض ذلك ليلا على أن هو "الملك المنحدرون من  
أهل حضارة نقادة الثانية" ويبدو أن مدينة نخن (كوم الأحمر الحالية) - التي  
سميها اليونان "هيراكونبوليس" Hierakonpolis أي مدينة الصقر - كانت تتمتع بمركز  
ممتاز في هذه الحضارة. ولعل قصة الصراع بين حورس وست ترمز لاغارة قام بها أهل  
نقادة الثانية (الذين كانوا يعبدون حورس) على بلدة نوبت (التي كانت تعبد ست).

ويمكن القول بوجه عام أن أصحاب حضارة جرزة (نقادة الثانية) لم يحافظوا  
فقط على التراث الحضارى الذى ورثوه عن أصحاب حضارة العمرة (نقادة الأولى) بل  
أحافظوا إليه أشياء جديدة ورفعوا مستواه.

ولا يعرف أحد عن يقين الموطن الذى أتى منه أصحاب حضارة نقادة الثانية الى  
هذا الموقع ولا الطريق الذى سلكوه اليه. ويرجح أنهم جاؤا من الدلتا، وساروا  
بحذاء ساحل الأحمر حتى "القصور" ثم اتخذوا طريق وادى الحمامات الى وادى النيل  
عند ثنية "فنا". وقد يميز هذا الاحتمال أمران أحدهما أن وادى الحمامات هو  
المكان الوحيد خارج الوادى الذى وجدت فيه رسوم تحمل طابع حضارة نقادة الثانية  
(ترسوم السفن على الأواني الفخارية وقوارب البحر الأحمر المرسومة على المقبض الخارجى  
للسكين الشهيرة من جبل "العرق") (١). والأمر الثانى هو أن معظم آثارهم اكتشفت  
في مراكز تقع عند تلاقى وادى الحمامات بالنيل مثل نقادة وهو (ديوسبوليس بارفنا)  
وقطط وبلاص. ومن الجائز أنهم خرجوا من الدلتا مطرودين لسبب أو آخر، فاتخذوا  
طريق الصحراء الطويل الشاق بدلا من طريق الوادى. فلما استقر لهم الأمر فى الصعيد  
حاولوا استرداد أرضهم التى فقدوها فى الدلتا فأغاروا عليها وبذلك تم توحيد البلاد  
الأولى، الذى يعتقد بقيامه بعض الباحثين بالذى سارعان ما انفصمت عراه.

لكن من بين المراكز الرئيسية لمضارة نقادة الثانية مواقع أخرى وفي مقدمتها جرزة  
نفسها وأبو صير الملق وغيرهما وهذه تقع فى مصر الوسطى قرب منخفض الفيوم، بل إن مركزا  
من مراكز هذه الحضارة وجد فى الفيوم نفسها. وإلى الشمال من ذلك توجد المصايد

---

(١) يقع جبل "العرق" بين العمرة وهو على مسافة من الضفة الشرقية للنيل.



حيث استقرت - قبل حضارة نقادة الثانية بقليل - جماعة تقرب في نستواها المسمى - ارد، من لعل نقادة ، وكانت على اتصال بسينا\* وفلسطين . فهل يمكن القول بأن اهمل المعادى أنفسهم هم الذين هاجروا بطريق الصحراء الشرقية ثم وادى الحمامات حيث أسسوا بالقرب من ثنية قنا حضارة نقادة الثانية . ولا يفتقر أصحاب هذا الرأى الى القرائن . ولا يتسع المقام للخوض فيها . لكنه مجرد احتمال (١) .

ويرى بعض العلماء أن العناصر الجديدة التى تميزت بها حضارة جيزة قد وجدت عليها من الشمال والشمال الشرقى أى من فلسطين وسوريا والعراق . وفي الحق أن هذه الحضارة تحمل بعض ملامح آسيوية واضحة و من بينها رأس الدرة التى على شكل الكمشى ، والاوانى التى على هيئة الحيوانات ، والاوانى ذات الصنابير . هذا فضلا عن الختم الاسطوانى الذى اكتشف في احدى مقابر نقادة الثانية وهو من نوع الأختام التى كانت شائعة في أرض الرافدين . وقد تؤيد هذا الرأى القصص التى تدور حول أوزيريس ونسب قصص ترتبط بالساحل السورى ارتباطا وثيقا .

لكن اذا كانت حضارة جيزة أو نقادة الثانية ترتبط حضاريا بجنوب غربى آسيا فان منطقة نشأتها كان غرب الدلتا وليس شرق الدلتا . ففي غرب الدلتا كانت تسكن قبائل اللحنو ( Tjehenu ) الليبية ، التى تأثر بها أهل حضارة جيزة ، وفي غرب الدلتا كانت توجد رواسب النطرون التى استخدموها في صناعة الزجاج . ويتبين من شارات القوارب المرسومة على الاوانى الفخارية صلتها الوثيقة بغرب الدلتا بل وبمنطقة بدمر ابيه . وقد لاحظ بعض الباحثين أن ميناء مصر الرئيسى كان يقع وقتئذ في غرب الدلتا وممنوع هذا أن غرب الدلتا كان واسطة الاتصال بين مصر وكريت وكذلك بين مصر وسوريا عن طريق البحر . ولقد عثر في احدى مقابر جيزة على تميمة من النوع الذى كان شاعرا في كريت وسوريا . وعلى هذا يمكن القول بأن حضارة جيزة أو حضارة الفترة الثانية من عصر ما قبل الأسرات نشأت في الدلتا وأن انتشارها الى الصعيد يدل على ازدياد قوة الشمال ونفوذ الثقافة . ومن المحتمل أن يكون ذلك قد دفعه الى فرغ سيطرته على الجنوب ( الصعيد ) ومحاولة توحيد شطرى الوادى .

---

(١) أنظر : ابراهيم رزقانة " الجغرافيا التاريخية " ( القاهرة ١٩٦٦ ) ، ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .



وثمة رأى آخر يقول ان الحضارات المصرية في تلك الفترة نشأت وتطورت في وادى النيل نفسه وأن ابتكاراتها الثقافية عن من نحتاج العقل المصرى وان كان هذا لا ينفي وفود عناصر بنسبية أجنبية الى الوادى أثناء قيام هذه الحضارات حاملة معها عناصر ثقافية جديدة . وهل كان في وسع المصريين بعد ارتقاء حضارتهم وازدياد مطالبهم أن يعيشوا في عزلة عن الأقطار المحيطة بهم ؟ كان لابد من أن تتجه أنظارهم الى العالم الخارجى لاستكمال ما يفتقرون اليه من سلع كالخشب والفضة والتوابل والملاكيث وديد من الأدوات الأخرى . وسنرى كيف يزداد ظهور السلع الأجنبية في مصر أثناء الفترة التالية .

وأما حضارة سماينة فتنسب الى بلدة سماينة التى تقع بالقرب من بلد تسمى الأبهادية وهو ( مركز نجع حمادى ) ولا تبعد كثيرا عن نقادة ( بمحافظة قنا ) . وتمثل هذه الحضارة فترة الانتقال من عصر ما قبل الاسرات الى عصر الاسرات بل ان مظاهرها تظل قائمة حتى الأسرتين الأولى والثانية . وتتميز حضارة سماينة بتحول القرى الى مدن ويظهر الملوك الموهبهين وبساتحاد القبائل المتنافرة تحت سلطة مركزية واحدة . ولم يتبق من آثار مدن هذه الحضارة الا النزر اليسير . لذلك نستمد معظم معلوماتنا من المقابر سواء عن ظهور طبقة حاكمة أو مستوى الفن ، وتطور الصناعة ، وانتهاء الحروب بين القبائل ، ونمو الثروة القومية بوجه عام وتركزها في أيدي بعض فئات خاصة في المجتمع . كما تصرفنا عن طريق محتويات هذه المقابر على مدى الصلات الحضارية بين مصر من ناحية وبين أقطار جنوب غربى آسيا من ناحية أخرى .

ويتبين ازدياد الثروة في عصر حضارة سماينة من تطور صناعة الأدوات النحاسية والخشبية ان كثر استخدام النحاس في صناعة الأسلحة والآلات بل الاوانى أيضا . كذلك صنعت للأسلحة مقابض من الخشب الذى ازداد استيراده من سوريا . لكن استخدام المعادن لم يقصر على صناعة الآلات بل الصوان : ذلك بأن النحاس برغم التوسع فى استعماله كان شحيحا حتى مستهل عصر الاسرات . وكانت الآلات الضخمة اللازمة لأعمال البناء والزراعة تصنع من الحجارة . وقد عثر في مختلف المدن المصرية القديمة على مئات من الفؤوس المصنوعة من نواة الصوان وعلى عدد كبير من المناجل والمكاشط المستديرة المصنوعة من الشظايا . وعلى الرغم من أن هذه الآلات متقنة الصنع الا أن



مستوعما دون آلات الفترة السابقة ( المتوسطة من عصر ما قبل الأسرات ) كذلك هيبط  
المستوى الفنى لصناعة الفخار . ولعل عجلة أو بولاب الفخارى ظهر في هذه الفترة .  
ويختلف فن طلائع الفخار بالألوان ولا نجد غير الإوانى الحمراء أو السمراء . لكن تظهر  
بعض أنواع جديدة مشابهة لأوانى بلاد الرافدين ومن الجائز أنها مقتبسة منها . ويصغى  
انحطاط صناعة الفخار في عصر سماينة الى عاملين أولهما أن الأوانى الحجرية والمعدنية  
حلّت محل الأوانى الفخارية في مواعيد القرايين بالمعابد والثانى هو أن ظهور المدن  
أدى الى تحول الفخار من عمل فنى الى صناعة تجارية تمنى بوفرة الإنتاج لا بالدق  
أو المستوى الفنى .

كذلك انحطت صناعة الأوانى الحجرية فنجد مما يشابهة على نمط واحد .  
وتختلف الأوانى الجميلة المتعددة الأشكال التى ظهرت في حضارة جرزة . واقتصرت  
المادة المستعملة في صناعة هذه الأوانى على الالستر والبازلت . ولا نجد الاوانى  
قليلة مصنوعة من الأوبسيديان في مقابر الأمراء . والشكل الغالب في هذه الأوانى هو  
الشكل الأسطوانى الطويل ، ثم المواجير المسطحة ذات المقابض والحافات وعن شبيهة  
بمواجير حضارة جرزة ، لكن يظهر في حضارة سماينة نوع عام وهو الأوانى التوأمية  
المحفورة في قدامه واحدة من الحجر . ولهذه الأوانى نظائر في المراق . وارتقى  
فن النجارة فأصبحت تصنع من الخشب أرائك ذات أرجل على شكل حوافر الثيران .  
وكانت تستخدم كأسرة للموتى . وكان من أدوات الزينة الخرز الحلزوى المصنوع من  
مختلف الأحجار والمطلى بالذهب في بعض الأحيان . وتسلقت النظر الدس الثمن  
صارت تسمع في شكل حيوانات جديدة كالأسد والقرد والمقرب والصفدة والحمام .  
ولجميع هذه الأشكال ما يقابلها في المراق . وقد وجدت في أبو صير الملق ( شرقى  
منخفض الفيوم ) بولية في شكل الجميل . واستعمل أصحاب حضارة سماينة الأختام  
الاسطوانية كتمايم ثم استخدمت في الأسرة الأولى للتصديق على الوثائق . ووجدت  
على بعض منها كتابة هيروغليفية ان بدأت الكتابة تنتشر منذ تلك الأسرة .

وظلت مقابر الفقراء في عصر حضارة سماينة على ما كانت عليه في الحضارة  
السابقة . لكن مقابر الأغنياء ازدادت العناية بها فأصبحت تحفر الى عمق كبير . وصار  
من الضرورى انشاء دق يودى الى المقبرة لانزال التابوت ونزول حملة القرايين . كذلك  
صار من الضرورى بناء سقف يقوم على عمد . وقد سبقنا الإشارة الى التجهيف أو الكسوة





التي كانت تحفر في جانب المقبرة أثناء عصر حضارة جرزة لوضع الهدايا والتقدميات. هذا التجهيز أو هذه الكوت زيدات مساحتها في عصر حضارة سماينة ، وفضلت عن حفرة الدفن بحاجيز من الأفضان ، ثم تحولت في آخر الأمر إلى حجرة مستقلة ، وبنى الحاجيز من الطوب . ومنذ بداية عصر هذه الحضارة كانت مقابر الأثرياء تبطن بالطوب وتطلس جدرانها بالطين . ومن أمثلة هذه المقابر مقبرة اكتشفت في الكوم الأحمر ( نخسن ) طولها أربعة أمتار ونصف متر وعرضها متران وارتفاعها متر ونصف متر . وعلى مقسمة بواسطة جدار إلى حجرتين متساويتين حجما . وقد طليت حوائطها بالطين ثم بدنان أصفر لكي تنقش عليه بعض الرسوم . وقد رسم الفنان عليها بالألوان مناظر تمثل الصيد والقتال والرقص وغير ذلك من المناظر التي تشابه المناظر المرسومة على الاواني الفخارية. وهذه المناظر استباق أو ارماس " للرسوم الجنازية " التي أصبحت شائعة في العصر التاريخي . ويستدل من بعض المقابر الفاخرة نوعا ما على تزايد الثروة والنفوذ لدى طبقة معينة في المجتمع . ولا شك في أن صاحب مقبرة كمقبرة الكوم الأحمر كان زعيما أو رئيسا لقبيلة . وهكذا أصبح الطريق ممهدا لظهور أمير أو ملك قوى يستطيع توحيد شطرى الوادى ، الوجه القبلى والوجه البحرى .

#### تأثر مصر بحضارة سومر في بداية العصر التاريخي :

وقد تطلبت حضارة المدن التي نشأت في هذا العصر زيادة الملاقات التجارية وانتظامها مع الجبهات المتطرفة في الوادى ومع الصالح الخارجى . فنشطت التجارة مع ساحل البحر الأحمر ، وجلب النحاس من سيناء والذهب من النوبة ، واستورد خشب الأرز من لبنان ، والزجاج الطبيعى من غرب آسيا أو جزر البحر الايجى . وقد تبين من الحفائر التي أجريت في جبيل ( بيبيلوس ) قيام علاقات وثيقة بين مصر وشمال سوريا منذ بداية عصر الأسرات . ولا بد أن مثل هذه الملاقات قد سبقتها صلات ما منذ عصر ما قبل الأسرات . وتشهد كثرة الآثار ذات الطابع السومرى التي اكتشفت في وادى النيل على مدى الصلات التجارية والثقافية بين مصر وبلاد الرافدين . فقد أميط اللثام عن مجموعة كاملة من الرسوم الأجنبية منقوشة على أثارين من آثار حضارة سماينة . واحد هما المقيض العاجى للسكين التي وجدت في جبل المرق ، والآخر على مقبرة الكوم الأحمر التي أشرنا إليها من قبل . ويسترى المكانان اللذان اكتشفت فيهما الأثران النظر بوقوعهما عند نهاية طريق عام للقوافل كان يصل بين النيل والبحر الأحمر . وتوجد على كل من الأثرين صورة قارب يختلف تمام الاختلاف عن القوارب المصرية المرسومة على الاواني الفخارية . فالقارب الاجنبى ( أو بالأحرى العراقى ) يتميز بمقدمة



طويلة وموهبة عالية وعمما صفتان لا تتوافران في القارب المصرى المصنوع من سيقان  
البندي . كذلك تظهر في مصر صورة لقارب أجنبي الشكل على اناءين من الفخار وعلى  
بعض آثار الأسرة الأولى . ولا شك في أن صور هذه القوارب مقتبسة من بلاد الرافدين  
في عصر حضارتها السومرية ( الألف الثالث ق . م ) . ذلك بأن الصور المرسومة على  
مقبض السكين الصوانية من "جبل الحرق" مثل كلب الصيد ، واصطراع بطل مع أسد يمين ،  
وارسال اللحية ، ونوع الزى ، جميعها مختلفة عما كان مألوفا في البيئة المصرية ، وغريبة  
عن الفن المصرى ، ولكنها كانت مألوفا وشائعة في بلاد الرافدين . ويستنتج من ذلك  
أن الفن المصرى قد تأثر بالفن العراقى أو على الأقل اقتبس منه بعض اجزاء مما  
وافكاره . ويمكن أن نلاحظ مثل هذا التشابه في الطواعر المصممة بالمقابر كالجدران  
ذات الفجوات أو الكوات ، واستخدام القرميد ، وحجرات رجال الحاشية الملحقة بمقبرة  
الملك والاختتام الاسطوانية ، بل في طريقة ظهور الكتابة في كل من البلدين . ولا يمكن  
أن تكون كل هذه المتشابهات وليدة الصدفة وحدها . بل تدل جميعها على أن مصر  
وسومر كانتا في مستهل عصرهما التاريخى متصلتان احداهما بالأخرى اتصالا مباشرا  
أو غير مباشر . وكان منتظما أو شبه منتظم . ولكن الخلاف يدور حول نوع هذا الاتصال .  
أكان نتيجة لغزو من جانب السومريين لمصر عن طريق البحر كما يعتقد بعض المؤرخين  
أم كان مجرد علاقات تجارية سواء مباشرة أم عن طريق شحوب وسيط كشعب منطقة "مجان"  
المذكورة في النصوص السومرية بأنها أرض أو جبل النحاس والتي يحتمل أن تكون بالقرب  
من عمان على ساحل الخليج العربى عند مصب وادى شهية ؟ أم كان عنك مركز متوسط  
آخر بين مصر وسومر كان يغذى اثنتين الجهتين بعناصر بشرية أو ثقافية مشتركة ، وأن  
هذا المركز كان يقع في قلب الجزيرة العربية ؟

هذه اسئلة عسيرة لم تجد حتى الآن اجابات مقبولة عند كل الباحثين . ولعلها  
تبقى بدون اجابة الى الأبد أو حتى تجرى تنقيبات على نطاق أوسع فلا يزال الموضوع  
بحاجة الى اكتشافات جديدة ودراسة مستفيضة . ان قلة الآثار المصرية في العراق  
بالمقاييس الى العراقية التى اكتشفت في مصر انما ترجع الى قلة أعمال الحفر فى أرض  
الرافدين بالمقاييس الى كثرة ما أجرى منها في وادى النيل . يضاف الى ذلك عامل  
اختلاف التربة في البلدين من حيث جفاف مصر الذى يساعد على حفظ الآثار ورطوبة  
العراق التى لا تساعد على ذلك .



وأيا كان الأمر فليس عنناك - في ضوء ما تم حتى الآن من اكتشافات أثرية -  
سوى شأن ضئيل في تفوق الحضارة السومرية اثناء عهد الأستين الأولى والثانية فسي  
بعض النواحي كصناعة المعادن ونقش الأصداف ، وصناعة المركبات ذات المحركات ، وفن  
النجارة الراقية ، والعمارة ( ولا سيما المقود والقباب ) بل والاوانى الفخارية نتيجة  
لابتكار دولا ب الفخارى في وقت مبكر . لكن ينبغي أن ندخل عامل البيئة في الاعتبار  
لأن البيئة هي التي تمكن الشعب من التفوق الحضارى في بعض النواحي بينما تنحرفه  
في نواح أخرى . ذلك بأن الحضارة الاصلية هي التي تتواءم مع ظروف البيئة المحلية .  
أما بعد الأسرة الثانية في مصر فلا جدال في تفوق الحضارة المصرية في قرينتها بأرض  
الرافدين بل تفوقها على أى حضارة أخرى معاصرة . لقد توافرت بمصر بيئة ( لا سيما  
من الناحية المناخية ) صالحة لازدهار الحضارة ، ولم يتوافر مثلها في المناطق  
الأخرى في جنوب غربي آسيا . ولم ينحصر تفوق الحضارة المصرية على العمارة والنحت  
بل شمل الصناعة المعدنية والهندسة والطب . بدأ فضلا عن البنحج الاجتماعى والتنظيم  
الادارى الذى تمخضت عنه مبان ضخمة كالاعرابات ، وأبلغ من ذلك دلالة التفوق المصرى  
في مستوى الفن . كان السومريون رجال أعمال ممتازين وتجارا مهرة ولم يكن يصنعهم  
الذوق الفنى بقدر ما تمنىهم المصاملات التجارية والشئون المالية والربح . ولا ينبغي  
أن ننسى أن السومريين لم يكونوا أصلا في أرض الرافدين بل كانوا دخلاء وفدوا من جهة  
قريبة أو بعيدة على الأرجح . ولا بد أنهم جاءوا حاملين معهم عناصر حضارة الموطن  
الأصلى سواء أكان ايران أم حوض السند . ولعل عناصر حضارتهم الأصلية قد امتزجت  
بمناخ حضارات المناطق التى مروا بها أثناء هجرتهم الى جنوب العراق . ولنا ينفى  
أن يدخل في الاعتبار عند المقارنة لا القدم أو الأسبقية بل عراقة الأصل الحضارى .



## الفصل السادس

### زمن البرونز

( Bronze Age )

( ٣٠٠٠ - ١٠٠٠ ق م )

يُعتبر التحول من استعمال الحجر الى استعمال المعادن وبخاصة البرونز أعظم خدأوة ثورية خدأنا الانسان . صحيح أن أسلوب حياته لم يتغير فجأة مع بدء استعمال المعادن عما كان عليه في العصر السابق بل تغير بالتدريج . ومع هذا فقد بلغ الانسان مفترق الطرق واختار بحكمه الطريق الذي قاده الى فجر التاريخ والعصر الحديث . فقد اكتشف مزايا مزج النحاس بالقصدير بنسبة معينة ( ١٠ : ١ ) أو ٢٠ : ١ ) وتبين له أن الخليط الجديد وهو البرونز أصلب من النحاس الذي لا يصلح بسبب سهولة التواءه لصنع الآلات والأسلحة القوية ، واكتشف خواص هذا المعدن المميزة فهو قابل للانصهار ، وللمصب في قوالب ، وللطرق . وهو فوق ذلك متين لا يبلى بسرعة ويمكن عند ما يتكسر صهره من جديد وإعادة تشكيله كآلة جديدة على نقيض المصنوعات من الحجر أو الخشب . وسرعان ما أصبح البرونز ضرورة لكل مرفق من مرافق الحياة : في الزراعة حيث دخل البرونز في صناعة المحراث ، وفي الصناعة حيث لم يعد مجرد أداة من أدوات الترف فضاز عن ميزته في صنع أسلحة ماضية حادة القطع في القتال . لذلك جسد الانسان في البحث عنه فخرج أحياناً من النطاق الفيضي الزراعي الى حيث يجد هذا المعدن ، وخرج الى القفار الجبلية أو الصحراوية . ونشأ نوع من التخصص يتمثل في مهنة التمددين ( metallurgy ) ، وظهرت طائفة الصناع الى جانب الزراع . وكان على هؤلاء الآمرين أن ينتجوا من القوت ما يكفي الأولين .

وليست كل البلاد غنية بكل المعادن التي بدأت تستعمل ، فكان لابد من التبادل فاتجه الانتاج من مرحلة الاكتفاء الذاتي الى مرحلة توفير فائض حتى يمكن مقايضته بسلع أخرى كانت من بينها المعادن . وبعبارة أخرى نشأ ذلك النظام الاقتصادي الهام الذي يعرف بالتجارة على نطاق واسع . ومع الصناعة والتجارة خرجت مجموعات من الناس لا تحتاج في حياتها اليومية الى الاعتماد على الأرض والزراعة اعتماداً مباشراً ، وسكنت محلات جديدة لتزاول فيها نشاطها الصناعي والتجاري . وتوخت





في اختيار هذه المحلات أو المواقع متعلبات الصناعة والتجارة . وهذه المحلات المستقلة عن الأرض الزراعية بنى ما نعرفه بالمدن الصناعية والتجارية والموانى . وقد تطلبت التجارة أسلوبا جديدا في الحياة كان من أشبه الهجرة من مكان الى آخر . فالسفر الأول قد ينتهى ببعض الناس الى الاستقرار حيث انتهى بهم المطاف . وربما دفع البحث عن المعدن ومحاولة احتكار مصادره الأولى الى الاستثمار بمعنى انشاء جاليات أجنبية في اقليم جديد أو منتزع من سكانه الأصليين بقصد استغلال موارده الطبيعية ولا سيما المعدنية . فكان حركة الاستثمار الأولى ظهرت بوادينا في عصر البرونز نتيجة للتجارة والبحث عن المعدن .

وكلمة برونز ( bronze ) مشتقة أصلا - على ما يبدو - من اسم مدينة برنديزى ( Brundisium ) بجنوب إيطاليا حيث كانت تصنع - وفقا لرواية الكاتب اللاتينى بلينيوس - مرايا ذات قيمة كبيرة<sup>(١)</sup> . ولا شك في أن نشأة صناعته ترتبط بمكان أو أماكن غنية بالقصدير الخام مثل اسبانيا وكورنول وانجلترا وبوهيميا وتشكسلوفاكيا ، وألمانيا وإيطاليا وفرنسا في الغرب . ومثل خوراسان ( أفغانستان وشرق ايران ) والسين في الشرق . وأما في مصر فان الآلات البرونزية لم تكن كثيرة قبل عام ٢٠٠٠ ق.م . ومن الواضح أن معظم الأماكن الفنية بالقصدير كانت بعيدة عن بعض مراكز الحضارات الشرقية وبني الحضارات النهرية الكبرى . لكن الانسان تغلب على كثير من عقبات النقل ، وسخر الحيوان في ذلك مثلما سخر الهواء لتسيير السفن الشراعية . ويتصل بوسائل النقل - من أجل التجارة - اختراع العجلة التي بيد وأنها ظهرت أولا في شمال سوريا وبعدها في سومر ( جنوب العراق ) أثناء الألف الرابع ق.م . وبعدها حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م . كانت العربات بل عجالات القتال مصروقة في عيلام ( جنوب فارس ) والعراق وسوريا . لكنها لم تعرف في كريت والأناضول الا بعد ذلك أى حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م . ولم تستعمل العجلة في مصر قبل أن يدونها الهكسوس حوالي عام ١٧٣٠ ق.م . ولم تحدث العجلة انقلابا في وسائل النقل فحسب بل في فنون القتال كذلك . وقد اكتسب ذلك أصحابها قوة تفوق قوة أعدائهم الذين لم يتوصلوا الى هذا الاختراع . وأما عن

---

(١) بلينيوس C. Plinius secundus ( ٢٣ م - ٧٩ م ) الملقب بالأكبر، تميزا له عن ابن أخيه بلينيوس الأصغر ، وهو صاحب موسوعة تسمى "التاريخ الطبيعى"



عجلة أو دولا ب الفخارى فقد عرفت - على نحو ما رأينا - منذ أواخر العصر الحجري الحديث ( النيوليثى ) وقد أحدثت انقلابا هيا الأخرى في صناعة الأواني الفخارية التي احتلت مكانا هاما في الاقتصاد في زمن البرونز . وقد استوئس الحمار في شمال افريقيا منذ حوالي ٣٠٠٠ ق م . وكان معروفا في مصر منذ ذلك التاريخ . ويحدث عرف في العراق . ومنذ عام ٢٠٠٠ ق م كانت العربات التي تجرها الحمير تنقل التجارة بانتظام في العراق والأناضول . أما الحصان فحيوان أحدث عهدا بالاستئناس من الحمار . لكنه عرف كحيوان للجفر في الشرق الأدنى نحو عام ٢٠٠٠ ق م ، وأدخله الهكسوس في مصر ( ١٧٢٠ - ١٥٨٠ ق م ) . ويظهر مرسوما على الآثار وقد شدت اليه عربة . وبالرغم من أن استعمال الحصان لم ينتشر الا بعد مرور فترة من عصر البرونز إلا أنه أحدث انقلابا كبيرا في المواصلات وفنون القتال . فهو مطية سريعة في النقل . وكان ظهوره ايدانا بقدم شعوب جديدة الى وسط آسيا ، وهو موطنه الأصلي . ولذلك يربط العلماء بين صور الحصان المرسومة في الآثار القديمة وبين طلائع الآريين أو الهنود الأوربيين ( Indo - Europeans ) . وأما عن وسائل النقل البحري فقد عرفت السفن البدائية النهرية في مصر منذ العصر الحجري الحديث . ومن المؤكد أن السفن الشراعية بدأت تبحر عاب البحر في شرق المتوسط حوالي عام ٣٠٠٠ ق م .

تلك التهيأت الذاروف للتبادل التجارى . ومع التجارة انتقل النفوذ السياسى، وتأسست المستعمرات، ونشطت الهجرة، واختلطت الثقافات، وولدت حضارات .

ويمكن اجمال أبرز مميزات زمن البرونز في النقاط الآتية :

- ١ - خروج الانتاج من مرحلة الاكتفاء الذاتى الى مرحلة توفير فائض من أجل تبادل مع سلع أخرى في مقدمتها المعادن .
- ٢ - نشأة طبقة متخصصة في الصناعة من أجل الاستهلاك المحلى والاتجار به خارج .
- ٣ - نشأة التجارة على نطاق واسع .
- ٤ - نشأة المدن واستقلالها كوحدات عمرانية عن القرى .
- ٥ - نشأة الهجرة .
- ٦ - بدء الاستعمار .



تلك دني متومات الثورة أو الانقلاب الحضري الذي وجه المدنية وجهة جديدة  
وفتح لها آفاقا واسعة . وينسب باحث كبير مثل جورجون تشيلد  
( Gardon Childe ) ( ١ ) الى عصر البرونز الذي أهرزت فيه البشرية تقدما  
كبيرا . وعسبنا أن نعلم أن حضارات مصر والعراق القديمة قامت كلها في ذلك  
العصر . ولم يبنغ عصر الحديد ( حوالي ١١٠٠ - ١٠٠٠ ق م ) حتى كانت  
مدنيات مصر والعراق قد دب فيها الوهن أو الشيخوخة . وقد جاء بالحديد أقوام  
جديد آل اليهم تراث حضارات عصر البرونز فأظهروها في ثوب جديد .

زمن البرونز ان هو عصر الثورة المدنية . عصر الانقلاب الحضري  
( Urban Revolution ) الذي جاء في أعقاب العصر النيوليثي بغض النظر  
عن العصر الخالكوليثي الذي يعتبر تمهيدا قصيرا زمن البرونز . وقد جاء عاملا محبا  
لأول مرة المدنية بما تعنيه من مفهوم نشأة المجتمع المدني ، ففي هذا الزمن  
عاش الانسان في بعض جهات العالم في شكل جماعات أو شعوب منظمة خضعت  
لنظام معين وقانون محدد ونعمت بالاستقرار واستغلت ثروتها . وانتفعت بأوقات  
فراغها في التعليم وممارسة الفن وصرفة الكتابة التي وسعت بدورها أفق الأفراد  
لأن الكلمة المكتوبة تحفظ خبرات السلف ليستفيد منها الخلف . زمن البرونز هو  
فترة التكوين في تاريخ الحضارة ان كل مظاهر المدنية وأنظمتها بدأت تتشكل فسي  
خلال هذا العصر . وقد بدأ هذا التغيير الحضري خلال الألف الرابع ق م . وعند  
أواخره . واطتصر على مناطق قليلة من العالم كانت ظروفا الجغرافية من تربية  
ومناخ ملائمة لحدوث هذا التغيير . أما في المناطق الأخرى من المعمورة فطلبت  
الجماعات الزراعية تعيش وفقا لأسلوب حياتها التقليدي القديم أي تعيش في العصر  
الحجري أي فيما قبل التاريخ لفترة أخرى من الزمن استغرقت بضع مئات من السنين  
أو لآلاف سنة أعمري أو أكثر .

وقد حدث الانقلاب الحضري في العراق على ضفاف الدجلة والفرات ثم مالبت  
أن حدث في مصر على ضفاف النيل . وبعد ذلك حدث في الهند على ضفاف السند ،

---

( ١ ) عالم من أبرز الباحثين في نشأة الحضارات الأولى للانسان . ومن أشهر  
مؤلفاته : " ماذا حدث في التاريخ " و " الانسان يصنع نفسه " ، و " عصر  
البرونز " ونحوه . جديده على الشرق في أفندم عصوره " ( ١٩٣٥ ) .



وفي الصين على شفاف النهر الأصفر . وهذه المناطق الأربع هي المراكز الرئيسية للحضارات النهرية أى المرتكزة على النهر . وقد مر بنا من قبل ذكر ظروف البيئـة الجغرافية التي مكنت وادى الرافدين ووادى النيل من أن يقوموا بدور الطليمة في موكب الحضارة ، وأشرنا الى نظرية المؤرخ الكبير توينبى عن " التحدى والاستجابة (١) "

وقد ذكرت أن التغير الحضارى كان بطيئا في معظم مناطق العالم الأخرى . ويرجع ذلك الى أن انسان المصر النيوليثى قد كرس في هذه المناطق كل جهوده لانتاج الطعام الذى يكفيه وأسرته في تربة غير خصبة اقتضت مجهودا كبيرا لاعدادها . ومن ثم لم يحدث التغير الا حينما أصبح هناك فائض من الطعام مكن بعض أفراد المجتمع من التفرغ لأشياء أخرى غير الزراعة ، كما مكن المزارع نفسه من استغلال أوقات فراغه في التمتع بالحياة . هكذا كان من المستلزمات الأولى لقيام المدنية وجود تربة خصبة سهلة الاستغلال وتعطي بشىء من السخاء أو تفدق الرخاء . وقد كان للمناخ الملائم دوره الفعال في التقدم الحضارى . كان المناخ أحد العوامل الأساسية التى شجعت الانسان على العمل خارج المنزل على مدار السنة ، وهو المسئول في بعض المناطق عن الخمول والحد من نشاط الانسان . ولا ننسى أن صفاء سماء الشرق الأدنى قد أتاح للانسان فيه رؤية النجوم والكواكب بوضوح مما مهد لقيام التنجيم ( astrelogy ) وبمعدن علم الفلك ( astronomy ) . وقصارى القول أنه قد أحرزت السبق في عصر البرونز منطقتان الأولى هي أرض الرافدين . وكانت مليئة بالمستنقعات ويحترقها نهر الدجلة والفرات اللذان ينبعان من هضبة أرمينيا في الشمال ويشقان طريقهما جنوبا نحو الخليج العربي حاملين معهم الطمي . وأخذ الطمي بدوره يترسب قرب الخليج العربي في نفس الوقت الذى أخذت فيه المستنقعات تجف مفسحة المجال لظهور سهل فيضى خصب لم يصرف له شئ من قبل . أما المنطقة الثانية فكانت دلتا النيل التى بدأت تصمر بالسكان لأول مرة بعد أن اندسرت مياه النيل عن فروع الدلتا . وتعمد الفيضان السنوى بتجديد خصوبة التربة في كل عام . ويبدو أن الطبيعة قد هيأت لهاتين المنطقتين فجأة تربة خصبة ذات انتاج زراعى وفير ، وبيئة مناخية ملائمة للتطور السريع . هكذا قامت في كلا القطرين على الأرض الفيضية الخصبة أكوخ منمذلة في بادىء الأمر ثم ما





لبشست أن تحولت الى قرى . وتطورت بمض القرى الى مدن صارت لها اتصالات خارجية . ومع الاستقرار البشرى بدأ المجتمع المتحضر في الظهور ، واستقر مبدأ تقسيم العمل والتخصص ، ونشأت الطبقات ، ونظمت التجارة ، واخترعت الكتابة ، وشيدت المعابد والمقابر الكبيرة وفيرها من المباني الضخمة .

لكن على الرغم من التشابه بين "الانقلاب الحضري" أو "الثورة المدنية" فسي العراق والثورة المدنية في مصر الا أن حضارة المنطقة الأولى قد اختلفت عن حضارة المنطقة الثانية في بعض المظاهر الأساسية . ولا جدال في أن الحياة الاجتماعية البدائية البسيطة التي كانت تميز العصور العجبرية أو حتى النحاسية قد اختلفت من المنطقتين بعد أن قامت فيهما حياة مدنية على أسس اقتصادية جديدة . لكن المجتمع المتحضر في العراق انحصر في عدد من دويلات المدن المستقلة التي حرصت كل منها على عظمها الذاتي على غرار ما ستفعله دويلات المدن اليونانية فيما بعد . أما في مصر فقد انتظم أو اندمج كل وادي النيل في دولة واحدة تحت حكم ملك واحد . ولعل هذا التناقض في النظام السياسي بين المجتمعين العراقي والمصري هو أحد الاختلافات الهامة بين الحضارتين .



## الفصل السابع =====

### الساميون Semites

سمى الساميون كذلك نسبة الى سام ( أحد أبناء نوح ) الذى ورد ذكره في  
الاصحاح العاشر من سفر التكوين ( Genesis ) في العهد القديــــــــــــــــم  
Vetus Testamentum (١) ( وتسمى الأسفار الخمسة منه بالتوراة ) بأنه كان له  
ثلاثة أبناء : أرام وأشور وعبر أى الأراميين والأشوريين والعبريين . ولهذا استعمل  
العلماء لفظ الساميين اسما مشتركا لتلك المجموعة من الشعوب التى ينتمى اليها  
من لغاتها دون لبس أو ابهام . ويعد ذلك اتسع مفهوم اللفظ بعد أن كشف علم  
الآثار عن شعوب أخرى لها صفات مماثلة ، ويعد أن صار من الممكن أن نحدد بدقة  
الصفات المميزة أو الأساسية التى يكون بها الشعب شعبا ساميا ( واللغة لـــــــة  
سامية ، والحضارة حضارة سامية .

كانت الجزيرة العربية وأرض الرافدين وسوريا وفلسطين هى الموطن التاريخي  
للسهوب السامية . وقد أقامت هذه الشعوب في تلك البلاد اقامة متصلة . لــــكن  
ليس معنى هذا أنها لم تنتشر وراء حدود تلك البلاد سواء في غزوات متفاوت فسي  
مدائنا واول زمنها أو للاقامة في مناطق أخرى بصفة دائمة . وعلى سبيل المثال  
 نجد :

أ - بعض أقوام من الساميين أقاموا بصفة دائمة على الساحل الإفريقي  
المواجه لليمن ، أى خارج النطاق السامى . فقد أخذت قبائل عربية منتلفة قبــــل  
بداية المسيحية بزمن لويل تهاجر الى ذلك الساحل الإفريقي يجذبها اليه شراؤه  
اللبيعى ، وأنشأت هناك مراكز تجارية ، فقامت بذلك موانئ عدة على امتداد الساحل  
الغربي للبحر الأحمر ، بينما انتشر المهاجرون أيضا الى الداخل واستوطنــــــــــــــــوه  
استيطاننا دائما ، فارتبين حكمهم على السكان المحليين . وهذا هو أصل دولــــــــــــة  
أكسوم القديمة .

---

( ١ ) في الانجليزية Old Testament التى يرمز اليها بالحرفين O.T. تميزا  
لها عن العهد الجديد ( N.T. ) وهو الانجيل .



ب - محاولات الفتح العسكري وأعمها الفتوحات الاسلامية . لكن لما اضمحلت قوة المسلمين وتصدعت الامبراطورية الصربية بقيت عناصر عربية اى سامية كثيرة فسي لغات ودماة الشعوب التي اكتسحتها موجة هذه الفتوحات .

ج - وانتشر الساميون خارج وطنهم بطريقة اخرى هي اقامة المستعمرات كذلك التي انشأها ذلك الشعب السامى المشهور بجرأته على الملاحة وهم الفينيقيون الذين أسسوا قواعد في نقاط استراتيجية في حوض البحر المتوسط لحماية تجارتهم ، فأنشأوا مستعمرات في افريقيا مثل قرطاجنة وفي صقلية وأسبانيا .

د - وأخيرا انتشار اليهود ، وهم شعب سامى ، وقد بدأ هذا الانتشار ( Diaspora ) حتى قبل تغريب الرومان لأورشليم وتحويلها الى مستعمرة رومانية عام ١٣٤ م . وقد أوجد في شتى أنحاء العالم جماعات أو جاليات يهودية تتسمك بتقاليدنا تمسكا شديدا وتميش في أحياء خاصة ( ghettos ) .

وتتميز مجموعة الشعوب السامية عن غيرها بصفات معينة مشتركة بينها . وهذه الخصائص لغوية قبل كل شيء . ان يوجد بين اللغات السامية من التشابه الكبير في الأصوات والصيغ والتراكيب والمفردات ما لا يمكن ارجاعه الى حدوث اقتباسات فيما بينها ، ولا سهيل الى تفسيره الا بافتراض أصل مشترك لها .

ويمكن تقسيم هذه اللغات السامية الى خمس مجموعات رئيسية تصلح أساسا لتقسيم الشعوب التي كانت تتحدث بها :

( ١ ) المجموعة الأكادية : سميت كذلك نسبة الى أكد و ( وهو مرادف للفظ السومري، أجدى ، agade ) وهو مكان اقتراب الدجلة من الفرات . وتشمل البابلية والأشورية ودى لحة اقدم سكان ساميين أستوطنوا أرض الرافدين وهم البابليون ( نسبة الى بابل ) والأشوريون ( نسبة الى آشور ) .

( ٢ ) المجموعة الكنعانية : سميت كذلك لأنه كان يتحدث بها أهل المنطقة التي تسميها التوراة كنعان ودى فلسطين وجزء من سوريا ( فينقيا = لبنان ) وتشمل الأوجارتيّة والفينقية وكذلك الصيرية .



(٣) المجموعة الآرامية : وهي دلائقة من اللهجات وجدت أولا في سوريا  
ثم انتشرت انتشارا واسعا في المناطق المحيطة بها .

(٤) المجموعة العربية : وقد وجدت في كثير من النقوش قبل ظهور الاسلام ،  
وخاصة باليمن . ولكن استقر طابعها الكلاسيكي في القرآن والأدب الاسلامي بعد  
ذلك .

(٥) المجموعة الاثيوبية : التي كان يتكلم بها المستوطنون الساميون في  
الحبشة . وكانت في العصور القديمة لغة واحدة ، لكنها في العصور الوسطى صارت  
مجموعة بانقسامها الى عدة لهجات متميزة .

بني سؤال : الى أي حد يحق لنا الحديث عن شعوب سامية ؟ لا ريب  
أن اللغات السامية توفرت فيما بينها أسرة متميزة متحدة . لكن هل نستطيع أن نقول  
مثل ذلك عن الشعوب التي كانت تتحدث بها ؟ في رأى كثير من العلماء أن فكرة  
السامية لا تصح الا في الميدان اللغوي ولا يمكن على نحو صحيح اللاقها على  
شعوب أو صور من الحضارة . لكن هناك علماء آخرون ينادون بعكس ذلك مؤيديهم  
دعواهم بالإشارة الى " الشبه المائلي " الملحوظ في النظم الاجتماعية والدينية  
للسهوب المتحدة باللغات السامية .

وينبغي أولا تحديد مدلول " الشعب " ، فعلم الاثنولوجيا الحديث (١) يعرف  
الشعب بأنه مجموعة من الأشخاص الذين قد يختلفون في الموطن الأصلي والجنس ،  
ولكنهم ممنزجون في وحدة متجانسة بفضل وحدة المسكن واللغة ( وان كانت وحدة  
اللغة موضع خلاف فمن الشعوب ما تكون فيه أكثر من لغة ) ثم وحدة التقاليد  
التاريخية والعضوية . فاذا طبقنا التعريف على الشعوب التي تتكلم اللغات السامية  
وجدنا أنه يصح على كل منها منفردا ، بل ان الشعوب المتكلمة باللغات السامية  
تؤلف كتلة متجانسة لا باجتماعها فحسب في صعيد جغرافي واحد والتحدث بلهجات  
منحدرة من أصل ، لغوي واحد ( Ursemitisch ) بل باشتراكها أيضا في أصل  
تاريخي حضاري واحد ، إذ أنها وفدت جميعا من موطن أصلي واحد هو صحراء  
الجزيرة العربية ، وانتقلت جميعا من حياة البداوة الى حياة الزراعة والاستقرار في

---

(١) علم الاثنولوجيا ( ethnology ) هو علم دراسة الأجناس .





المناطق المنصبة حول الصحراء . وأما عن مسألة الجنس فهي لا تؤثر في تحديد الشعوب السامية من حيث هي كذلك ، لأن أكثر الشعوب تماسكا وتجانسا قد تشتمل على عناصر جنسية شديدة التباين . لكن يمكن أن نتحدث عن وجود أنماط جنسية في المنطقة السامية . ففي الوقت الحاضر يسود نمطان أولهما النمط الشرقي السائد وعده في الجزيرة العربية وبعض مناطق فلسطين وسوريا والعراق . والثاني هو النمط الشبيه بالأرمني ( Armenoid ) الموجود ، الى جانب الأول ، في فلسطين وسوريا والعراق . ويبدو أن النمط الشرقي ( المصروف أيضا باليراني ) كان هو السائد أصلا في المنطقة السامية كلها ، بينما لم ينفذ النمط الشبيه بالأرمني الى المنطقة الا في الألف الثاني قبل الميلاد ، ولعله جاء نتيجة الاختلاط مع الحيثيين في الشمال . وبعض ملامح هذا النمط الأخير صارت تعد من الملامح المميزة لليهود ولا يقتصر بدان النمطان على المنطقة السامية ، فالنمط الشرقي يمتد الى ايران وشمال افريقيا ، والنمط الشبيه بالأرمني يمتد الى الأناضول والقوقاز . ثم انهما لا يوجدان في جميع المناطق السامية ، فالساميون في الحبشة لهم نمط جنسي خاص . وهذا كله ينطوي على نقض للنظرية التي تنادي بمجموعة جنسية تتفق والمجموعة اللغوية السامية .

لكن المهم هو الوضع الجنسي لسكان صحراء الجزيرة العربية التي أتت منها الساميون ، وهنا نجد تشابها جنسيا ملحوظا سببه انمزاج الصحراء واطيراد أحوالها . ولهذا يبدو وأن الساميين كانوا في الأصل مجموعة شعبية ( ethnic group ) يزيد من تماسكها تشابه في الجنس داخل نطاق النمط الشرقي . وذلك على الرغم من أنه ليس هناك قديما شيء اسمه " الجنس السامي " ( ١ ) .

#### جدول اللغات السامية

تنقسم اللغات السامية الى شرقية وغربية . والغربية تنقسم الى شمالية وجنوبية :

الشرقية وتشمل الأكديّة ( = البابلية والآشورية بلهجاتهما ) .

الغربية ( أ ) الشمالية ( في سوريا وفلسطين ) وتشمل مجموعتين :

---

( ١ ) سبتينو موسكاتي " الحضارات السامية القديمة " ( تعريبد . السيد يعقوب بكر ) .  
الطبعة ( ١٩٦٨ ) ص ٤٢ - ٥١



المجموعة الآرامية	المجموعة الكنعانية (١)
أرامية العهد القديم	العبرية (٢)
التدمرية (٣)	الفينيقية
النبطية (٥)	الأوغاريتية (٤)
السرانية	

(ب) الجنوبية وتشمل :

— العربية الشمالية ( في الحجاز ونجد بشمال الجزيرة العربية )  
وتشمل اللحيانية والشمودية والصفوية ، وهي لهجات عربية قبال  
الاسلام .

— العربية الجنوبية ( في اليمن وشماله ) .

وتشمل لهجات معين ، وسبأ ، وقتبان ، وحضرموت . (٦)

— الحبشية ( في الحبشة ) مثل الجمزية والامهرية .  
وهي امتداد للعربية الجنوبية .

(١) الكنعانيون هم سكان السهل المنخفض الساحلى بفلسطين ولبنان وسوريا . وقد  
استقروا في لبنان . ويسمى الكنعانيون أحياناً بالفينيقيين .

(٢) العبرية لغة اليهود . وكان لهم منذ حوالي ١٠٠٠ ق.م ولتان : اسرائيل في  
الشمال ويهوذا في الجنوب وذلك حتى " السبى البابلى " عام ٥٨٦ ق.م .

(٣) لغة تدمر في سوريا وتسمى في اللغات الأوربية القديمة والعديثة بالميريرا

( Palmyra ) .

(٤) لغة أو جاريةت وهي رأس شمرة الحالية على الساحل السورى .

(٥) النبطية لغة النبط أو الأنباط وعاصمتهم سلع الصماتة بترا ( أى الصخرة )  
في جنوب الأردن .

(٦) ترجع معين الى حوالي عام ١٠٠٠ ق.م وعاصمتها " قرناو " شمال شرقى صنعاء .

— سبأ عاصمتها أولا صروح أو ضرواح ثم مأرب .

— قتبان عاصمتها تمنع .

— حضرموت عاصمتها شبوه .

(٧) السريانية لغة آرامية متأخرة .

ملاحظة : كانت اللغة الدولية المنتشرة في الشرق الأدنى ( lingua franca )

هى الأكدية وبعدئذ الآرامية ثم اليونانية الهلينية ( Koinê ) وأخيراً

العربية .

ملاحظة : كالدبا ( Chaldea ) هى الدولة البابلية المتأخرة التى قضى

عليها الفرس في عام ٥٣٩ ق.م .



## الهجرات السامية الكبرى

صحراء الجزيرة العربية وبخاصة أطرافها الشمالية الشرقية ( منطقة الخليج العربي ) هي المنطقة التي انطلقت منها أقدم الهجرات السامية متجهة إلى أودية الأنهار الخصبة في المناطق المجاورة بأرض الرافدين وسوريا وفلسطين . ولعل الجفاف والجذب كانا إلى جانب التجارة من أهم العوامل التي دفعت الساميين إلى البحث عن مواطن جديدة في الشمال . وقد حدثت خمس هجرات سامية كبرى :

- الهجرة الأولى ويرجع تاريخها إلى حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م . وأنتهت بالأكديين (البابليين والآشوريين) .
- الهجرة الثانية ويرجع تاريخها إلى ما قبل ٢٥٠٠ ق.م . وهي التي أنت بالكنعانيين .
- الهجرة الثالثة ويرجع تاريخها إلى حوالي ٢٠٠٠ ق.م وقد أنت بالآراميين .
- الهجرة الرابعة حدثت حوالي عام ١٥٠٠ ق.م وكانت تتألف من قبائل بدائية قامت بنهب مملكة يهوذا ودوم ومواب وعمون . وقد دفعت بالادوميين من أراضيهم القديمة إلى جنوب أرض يهوذا . وأهم من ذلك أنها أنت إلى شرق الأردن بالقبائل العربية الأصل التي ظهرت فيما بعد باسم النبطيين أو النبط والذين كانت عاصمتهم هي بترا أو البترا ( في شمال شرق خليج العقبة ) . وكان أول ملوك النبط هو الحارث الأول ( ٦٩ ق.م ) وآخرهم هو رهيبيل الثاني ( ٧٠ - ٩٥ م ) .
- الهجرة الخامسة هي هجرة عرب شمال الجزيرة العربية في صدر الإسلام في القرن السابع بعد الميلاد . وقد نتجت عنها الفتوحات الإسلامية الكبرى وانتشار العرب في المشرق حتى حدود الهند وفي المغرب حتى أسبانيا .

ولما كانت الهجرتان الأخيرتان لا تدخلان في نطاق موضوعنا فسنقصر الحديث على الهجرات الثلاث الأولى .



الهجرة السامية الأولى : ( قبل عام ٣٠٠٠ ق.م )

أدت هذه الهجرة - على نحو ما ذكرنا - بالأكديين وهم البابليون والآشوريون الذين اندمجوا مع السومريين غير الساميين الذين كانوا قد وفدوا من قبلهم إلى أرض الرافدين<sup>(١)</sup> . واندمج الشعبان الأكدي والسومري وتعايشا سلميا وتضافرت جهودهما من أجل البناء والتعمير . وقد استطاع أحد هم وهو سرجون ( Sargon ) الأكدي أن ينهض عهد دويلات المدن السومرية ويستولى على أجدي Agade أو أكسد Akad ( شمال أرض بابل عند اقتراب الدجلة والفرات ) ثم على سومر Sumer ( جنوب أرض بابل ) . وبذلك وحد جميع أرض بابل تحت حكمه . ثم وحد بلاد الرافدين بقسميها الشمالي والجنوبي . وأسس الامبراطورية الأكديّة حوالي عام ٢٣٥٠ ، وهي أول امبراطورية سامية وكانت عاصمتها أكد ( = أجدي . في السومرية ) التي لا يزال مكانها غير معروف على وجه الدقة ، وان كان من المرجح أنها قرب بابل عند اقتراب النهرين . وكانت عاصمته الدينية هي نيبور Nippur ( نهر الحالية ) وأما الإله الرئيسي فكان إنليل ( Enlil ) إله الفضاء والمحافظة عند السومريين . وتوسع سرجون شمالا حتى بعيرة فان ، وغزا الأناضول وسوريا وفلسطين ومنطقة عيلام ( في فارس القديمة ) شرق الدجلة ، ومنطقة الخليج العربي . وهكذا صار معظم الشرق الأدنى تحت سيطرته ، وأنشأ - كما ذكرنا - أول امبراطورية سامية ، بل أول امبراطورية في العالم . ويقابل عصر سرجون في التاريخ المصري عصر الأسرة السادسة على وجه التقريب ( ٢٣٥٠ - ٢٢٠٠ ق.م ) . ومن أشهر خلفائه حفيد نرام سين ( Naram-Sin ) الذي جعل الأكديّة لغة رسمية وان ظلت السومرية مستعملة في بعض الأجزاء . وأدخل نظام التأريخ الموحد للملكة كلها . وغير لقبه القديم " ملك أكد . . . الخ " واتخذ لقباً جديداً هو " ملك أقطار العالم الأربعة " ويقصد بها سومر وأكد وسوبارتو وأمورو .

وقضت على الامبراطورية الأكديّة قبائل الجوتيين ، وهي قبائل همجية كانت تسكن في الجبال الشمالية الشرقية . وقد زحفت على السهول الخصبة وفتحت بلاد أكد وسومر وغرقت المدن . هكذا انتهت الامبراطورية الأكديّة حوالي عام ٢١٥٠ بعد أن استمرت نحو قرنين من الزمان . وقد دام حكم الجوتيين زهاء ستين عاماً . وتقابل هذه الفترة في مصر نهاية الأسرة السادسة وبداية العهد المسمى بعهد الفوضى الأول .

---

( ١ ) عصر السومريين الأوائل هو عصر دويلات الملف ( ٣٠٠٠ - ٢٣٥٠ ) . ويقابل عصر الأسرات الخمس الأولى في مصر على وجه التقريب . وأول أسرة تاريخية هي أسرة أور ( تل المقير ) ثم أوروك ( الوركاء ) ثم الجش ( تل اللوح ) . قاع بتوحيد هذه الدويلات أي القسم الجنوبي من العراق لوجال زاجيزي ( Lugalzaggisi ) ملك مدينة أور . ربطها بقانون موحد وترك لنا كتابات دينية كثيرة . ( Umma )





وتسمى الفترة التالية في تاريخ بلاد الرافدين بالصهد السومري الأخير الذي قام فيه من جديد حكم دويلات المدن في الجنوب . وكان من أشهر ملوك هذا الصهد الملك جوديا ( كوديا ) من أسرة لجش Lagash ( تل اللوح الحالية ) التي تعتبر من أقدم المدن السومرية . وكان عصره عصر عمران . وحكم حوالي ٤٠ عاما . وكذلك يجدر التنويه بملك آخر سعى الى توحيد البلاد من جديد . كان هذا الملك هو أور نammu ( Ur - Nammu ) أول ملوك الأسرة الثالثة في أور Ur ( تل المقير ) في الجنوب . واستطاع أور نمو الاستيلاء على أكثر دويلات المدن السومرية والأكدية . وأعاد حفص شبكة القنوات ، وأصلح ما تهدم من الممايد . ومن أهم آثاره معبد الاله نانا Nannar الى القمر ( بمصنئ المنير ) عند السومريين (١) . وتمتير الشرائع التي وضعها الملك أور نمو ليحكم بها البلاد من أقدم القوانين ( السومرية - السامية ) التي وصلتنا حتى الآن ( اكتشفت عام ١٩٥٢ ) ، ان ترجع الى حوالي عام ٢٠٥٠ ق.م . فهي أقدم من قوانين لبيت عشتار ( lipit - Istar ) ملك ايسين Isin في جنوب بابل ( ١٨٧٥ - ١٨٦٥ ) . وكلا المدينتين اللتين سنهما وجمعهما هذان الملكان مهدت لظهور أشهر المدونات القانونية في العالم القديم ألا وهن ميجونة في عالم الشرق الأدنى القديم ألا وهن مدونة حمورابي سادس ملوك الأسرة الأمورية في بابل ( حوالي ١٧٩٢ ق.م ) .

وقد خلف أور نمو ابنه شلجي ( دنجن ) الذي لقب نفسه " ملك أقطار العالم الأريحة " مما يشير الى محاولة إعادة توحيد البلاد واحياء امبراطورية نرام سن وسرجون الأكدى . وقد اتخذ من السومرية لغة رسمية للدولة . وأنشأ نظاما دائما للمراسلات بين أمارات المملكة . وتميز حكمه بحسن التنظيم والادارة في الداخل والخارج . وتدعم الحكم المركزي . وركز في يده أمر تعيين حكام الأقاليم بدلا من اسنادها الى الأمراء بالوراثة .

(١) هو عضو ثالث الكون (لأجرام السماوية) التي تسيطر على الحياة في الارض وتتحكم فيها . وكان هذا الثالث يتألف من نانا Nannar (اله القمر) وأوتو ( Utu ) اله الشمس، وانا ( Inanna ) نجمة الصباح . وكانت انا ربة الارض بمعنئى " الأرض الأم " كمصدر للخصب . وكانت عبادتها قديمة وأصلها ساميا . وغالبا ما كانت تقرب بوصفها " ربة الأرض " أو " الارض الأم " في الشعر والاساطير باله شاب هو دموزى ( تموز ) الذي يموت ويولد من جديد كرمز على موت النبات وحياته فسي الطبيعية كل عام . وكان تموز يلقب بأدونى ( أى ياسيدى ) ومن ثم فقد أطلق عليه الاغريق فيما بعد اسم أدونيس ( Adonis ) عشيق أفروديتى ( فينوس ) .



ولم تطل فترة "المهد السومري الأخير" إذ أدى ضعف الملوك الأخير من أسرة أور ( أي الحاكمة في أور) إلى عودة البلاد إلى نظام دويلات المدن ، ذلك النظام الذي بدأ به العراق القديم فجر تاريخه على يد السومريين . وقد تمررت جنوب البلاد لهجوم من جانب شعب غير سامي وهم الميلاميون الذين هبطوا من عيلام ( شرقي الدجلة في جنوب غرب إيران ) وخرّبوا أور تخريباً . واستغل بعض الأمراء الفوضى واستقلوا بمدنهم . كما أثبت شعب سامي آخر وجوده في فلسطين وسوريا وأرض الرافدين في الوقت ذاته ونمى به الأموريين .

## ٢ - الهجرة الثانية : قبل ٢٥٠٠ ق.م .

أثبتت هذه الهجرة بالكنعانيين إلى السهول المنخفضة على ساحل الشام ( سوريا ولبنان وفلسطين ) . ويبدو من دراسة المصادر أن لفظي كنعان والكنعانيين كانا يعنيان قبل كل شيء فينيقيا والفينيقيين . ولم يستعمل اللفظان إلا في عصر متأخر للدلالة على مفهومين أوسع نطاقاً ، أحدهما جغرافي والآخر جنسي ، فأصبح اللفظان يطلقان على المنطقة السورية - الفلسطينية بأسرها وعلى سكانها . لكن بمد مجس\* الأراميين ( في الهجرة السامية الثالثة ) اتضحت حدود تلك التسمية فسميت المنطقة المكونة من فينيقيا وفلسطين بكنعان ، وسكانها بالكنعانيين (١) . ومن ثم اصطلاح الصلما\* على إطلاق اسم الكنعانيين على الرواد الأوائل من أسلاف المصريين وجيرانهم الساميين المستوطنين في ظهير سوريا مع استثناء الأراميين (٢) .

والكنعانيون اسم جامع يشمل عدة عناصر مستقلة يمكن وصفها بأنها غير الآرامية كالأموريين ( Amorites ) والموابيين ( Moabites ) والادوميين ( Edomites )

( ١ ) كما ورد في التوراة .

( ٢ ) هذه التسمية غير مرضية تماماً لأن الكنعانية من حيث هي مجموعة لغوية لا تشكل وحدة حقيقية ، فلفظ كنعان يطلق على أي عنصر لغوي سوري - فلسطيني لا ينتمي إلى الآرامية . وهذه السلبية في الدلالة تتفق مع ما ذكرناه عن المعنى الجنسي ( المرقس ) للكلمة .



والحمونيين ( Ammonites ) وغيرهم (١). وكان اسم كنعان يعتبر الى وقت قريب اسما سلميا بمعنى الأرض المنخفضة تمييزا لها عن مرتفعات لبنان . لكن الاسم أصبح الآن مشكوكا في أصله السامي ويظن أنه من أصل غير سامي . والاشتقاق الجديد يعمله من كلمة كنجي أو كناعي knaggi وهي كلمة حورية الأصل ( ٤ ) بمعنى الصبغة الأرجوانية ( وترد الكلمة في صور لغوية مشابهة في الاكديّة ( وثائق نوزي قرب كركوك وتل الحمارنة في مصر الوسطى ) وفي الفينيقية ( أوجاريت ) ، وفي المبرية بمعنى بلاد الأرجوان . ويبدو أنه في مصر الذي احتك فيه الحوريون ( الميتاني ) احتكاكا وثيقا بساحل البحر المتوسط في القرن الـ ١٨ أو ١٧ ق م . كانت صناعة الأرجوان هي الصناعة السائدة في البلاد . وكان يصنع من الأصداف والمحار ( murex ) وفي الحق ان اسم فينيقيا المشتق من الكلمة اليونانية فوينكس phoenix بمعنى أحمر أرجواني انما يشير الى الصناعة نفسها . وقد أطلق الاغريق على الكنعانيين اسم الفينيقيين . ولم يأت القرن الثاني عشر ق م . حتى أصبح لفظ فينيقي مرادفا لكنعاني .

نذكرنا ان الكنعانيين اسم جامع يدل على عدة عناصر عرقية مستقلة . وأهمها الأوريون والفينيقيون . وكان الأوريون هم الأسبق زنيا في سوريا واسم الأوريين

( ١ ) وعقب المبريين المدين كانوا يتكلمون أصلا صورة من الآرامية ثم اختلطوا بهم ودخلهم الى المنطقة بالكنعانيين . وقد دخلوها مع الهجرة الثالثة التي أتت بالآراميين ومع الحركة التي أتت بالهكسوس ( القرن الـ ١٨ ) والحوريين ( القرن الـ ١٥ ) وكذلك من مصر ( القرن الثالث عشر ق م ) . وقد تعلم المبريون الزراعة من الكنعانيين وحياة الاستقرار وأخذوا عنهم ( وعن الأوريين الذين كانوا موجودين قبلهم ويقطنون المرتفعات ) بعض المعتقدات الدينية بل انهم هجروا لغتهم الأصلية واقتبسوا اللغة الكنعانية واعتبروها مع مرور الزمن لغة عبرية وتصوروا أنها كانت لغة موسى عليه السلام .

( ٢ ) حورى نسبة الى الحوريين من شعوب الجبال في شمال أرض الرافدين ، والذين تدفقوا منذ القرن الخامس عشر ق م ( ١٥٠٠ ) على الجنوب وأسسوا دولة الميتاني Mitanni القوية التي تلبثت سواحل البحر واطلقت مع ملوك الأسرة الثامنة عشرة من مصر ( التي يبدأ تاريخها حوالي ١٥٨٠ ق م ) وقد ظلت دولة الميتاني قائمة حوالي قرن ونصف من الزمان . وكان قد سبقهم في الغارة على الشرق الأدنى الهكسوس ( حوالي ١٧٣٠ ) . وأغار من بعدهم شعوب أخرى من الجبال مثل الكاشيون الذين وفدوا من المنطقة حول بحر قزوين واستقروا بجنوب العراق . ويمكن أن نضيف أيضا الحثيين الذين استقروا في الأناضول وكونوا دولة بل امبراطورية قوية . وهذه الشعوب شعوب الجبال ليست سامية بل تنتمي الى الشعوب الهندية الأوروبية . وتقرن حالة الشرق الأدنى في زمن سيطرتهم ( ١٥٠٠ - ١٢٠٠ ) بحالة أوروبا في اوائل العصور الوسطى .



معناه "الخرييون" . وكانوا بدوا ساميين يتجولون بين قهل في المناطق والبقاع الشمالية ورا\* قطعانهم . ثم فرضوا أنفسهم على مجتمع سابق تمدن من سكان بلاد الرافدين . وتسميهم المصادر السومرية مارتو ( Martu ) ، والمصادر الأكادية أمـورور ( Amurru ) . ويرد ذكرهم أيضا في العهد القديم . ويبدو أن "أمورو" كلمة غير سامية . ولعل معناها - كما أشرنا - "بلاد الغرب" . وأما "مارتو" فهو اسم الههم القديم ، اله الحرب . وفي الحقيقة اننا لا نعرف الاسم الذي يطلقه الأموريون على أنفسهم ، لأن "الأموريين" هو الاسم الذي أطلقه عليهم السومريون . لكن البابليين وسعوا مع الزمن مفهوم هذا الاسم أي أصبح ذا مدلول أوسع وصار يعنى أو يشمل سوريا كلها . وقد سمى البابليون البحر المتوسط باسم "بحر أمورو العظيم" .

في الحق ان أول شعب سامي بحث عن موطن دائم له في سوريا هم الأموريون . وليس بين الأموريين والكنعانيين ( المنتسبين جميعا الى هجرة سامية واحدة ) أي اختلاف جنسي (عرقى) وان كان الأموريون قد اندمجوا بالتدرج في بعض العناصر السومرية والبابلية والحوارية بينما اندمج الكنعانيون ( الفينيقيون ) في العناصر المحلية الأخرى . والاختلاف الحضارى نشأ بسبب الموضع ان كان مركز الأموريين في شمال سوريا ولذلك تعرضوا لتأثيرات سومرية وبابلية بينما كان الفينيقيون يتجهون نحو مصر ويولون ويعومهم شطرها . وأما الاختلاف اللغوي فكان اختلافا في التطور والتكيف حسب البيئة المحلية . وأما الاختلاف اللغوي فكان اختلافا في اللهجة فقط باعتبار أن اللغتين كانتا من الفروع السامية الغربية الذي يضم المبرية . وهذا الفرع نفسه يمكن تسميته بالشمالى الغربى لتمييزه عن الجنوبي الغربى الذي يضم المبرية .

وقد أسس الأموريون لهم ( قهل القرن الثامن عشر ق.م ) دولة في منطقة الفرات الأوسط كانت عاصمتها ماري Mari ( تل الحريري الحالية ) . وكانت ماري في الاصل عاصمة لدويلة سومرية ثم قضى عليها سرجون الأكدي . ولم يلبث الأموريون أن اجتاعوا بلاد الرافدين وحكموها . ثم اجتاعوا بالتدرج سوريا الوسطى ( منطقة دمشق ) وشمال شرقى لبنان . وأصبحت كلها أمورية في سكانها وحضارتها وحكوماتها .

وكان الأموريون الى جانب ولتهم في منطقة الفرات الأوسط (وعاصمتها ماري التي ازدهرت خلال القرن الثامن عشر م) قد أسسوا عدة دويلات أمورية انتشرت من شمال بلاد الرافدين الى جنوبها . وكانت أهم هذه الدويلات أو الممالك الصغرى .





١ - آشور ( قلعة شرقا الحد يثة ) على نهر الدجلة الأعلى . وكانت دويلة مستقلة .

٢ - اشنونا أو أشننا ( Eshnuna ) ( تل الأسمر ) في منطقة وادي دياره شرقى بغداد . وتشمل أيضا شديم Shaduppum ( تل أبو حرم ) . وكان من أشهر ملوكها بيلالاما ( Bilalama ) الذي وضع مجموعة من الشرائع تشتهر الآن باسم " قانون بيلالاما " . فهي بذلك أقدم من مدونة حمورابي بحوالى قرنين من الزمان . و " قانون بيلالاما " مكتوب بالأكدية . وقد ازدهرت مملكة أو اشنونا في الفترة ما بين سقوط دولة أور الثالثة ( حوالى ٢٠٠٠ ق م ) وبين قيام امبراطورية حمورابي سادس ملوك الأسرة الأمورية في بابل ( ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ) الذي غزاها وهدمها .

٣ - ايسين Isin ( تل ايشان البحيرات جنوبى بابل ) . ويبدو أنها كانت جزءا من مملكة اشمنونا التى تقع في نفس المنطقة ( وادي دياره ) . وكان من أبرز ملوكها الملك ليبيت عشتار Lipit-Istar ( ١٨٧٥ - ١٨٦٥ ق م ) الذى أصدر مجموعة من القوانين وصلتنا منها شذرات . وعن متأخرة زنيا عن " قانون بيلالاما " ببضع عشرات من السنين .

٤ - لارسا Larsa ( سنكرة الحالية ) . وتقع على الفرات شمالى أور ( تل المقير ) ويبدو أن هذه الدويلة كانت واقعة تحت سيطرة الميلايين الذين كانوا يقطنون فى جنوب غرب ايران ( شرقى الدجلة ) . وكان من أشهر ملوكها ريم سن ( Rim-Sin ) .

٥ - بابل Babylon التى تقع على الفرات ( في المنطقة الواقعة جنوبى اقتراب النهرين ) . وسيكون لهذه الدولة شأن كبير .

٦ - مارى Mari ( تل الحريرى ) بمنطقة الفرات الأوسط .

وجميع هذه الدويلات أو الممالك كانت قائمة في وقت واحد . ويسمى هذا العهد " بالعهد البابلى القديم " وهذا العهد يقابل في مصر عهد الدولة الوسطى ( ٢٠٥٠ - ١٨٠٠ ق م ) على وجه التقريب .



ومعلوماتنا الآن أوفر عن دولة ماري الأورورية . تقع ماري الآن على بعد حوالي ميل غرب الفرات ( جنوب مصب نهر الخابور ) قرب بلدة " ابو كمال " . وتعرف ماري الآن باسم " تل الحريري " . لكنها كانت تقع في المصور القديمة تقع على الضفة الفرات . وقد اكتشفها الأستان الفرنسي أندريه بارو (A. Parrot) حيث عثر على حوالي ٢٠٠٠ رطل من الطين مدون بالخط المسماري (وهو عدد لم يكتشف مثله الا في نينوى = كينجك الحد يث) ومكتوب باللغة الأكادية أو بالأحرى باللغة السامية الشمالية الغربية ( أي الأورورية ) وهي مختلفة على الأقل في اللهجة عن الأكادية أو السامية الشمالية الشرقية . وقد نشر وثائق ماري الأستان دوسن ( G. Dossin ) . وكان هذا الكشف الهام في ماري هو والقائمة الجديدة لملوك آشور التي عثر عليها في خورسباد الحالية ( وهي دورشروكين أي سور سرجون القديمة شمال شرقي نينوى ) هي التي جعلت بعض المؤرخين يتجهون الى الأخذ بما يسمى " بالتأريخ القصير " ( short chronology ) ، ويؤرخون بالتالي عهد حمورابي مثلا بين ١٧٢٨ - ١٦٨٦ بدلا من ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م أي بتقريبه حوالي ٦٤ عاما .

وتمثل ألواح ماري سجلات أو محفوظات زمري ليم Zimri-Lim آخر ملوك ماري ( حوالي ١٧٣٠ - ١٧٠٠ ق.م ) . الذي أطاح به حمورابي سادس ملوك الأسرة البابلونية التي أسست " الدولة البابلية الأولى " ( ١٨٣٠ - ٥٣٠ ق.م ) . والمحفوظات عبارة عن مراسلات سياسية وإدارية ووثائق اقتصادية قيمة . ويلاحظ أن الحضارة الأورورية كانت بوجه عام مزيجاً من عناصر أورورية وحمورية وبابلية .

وقد نشب النزاع بين هذه الدويلات الأورورية حتى ظفرت بالسيادة إحدى هذه الدويلات بالصدارة وهي التي تسمى " بالدولة البابلية الأولى " :

هذه " الدولة البابلية الأولى " ( حوالي ١٨٣٠ - ٥٣٠ ق.م ) حكمتها أسرة أورورية حوالي ثلاثة قرون توالى على الحكم فيها حوالي أحد عشر ملكاً . وكان سادسهم هو حمورابي Hamurabi الذي حكم وفقاً " للتأريخ الطويل " ما بين ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ، وبين ١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م وفقاً " للتأريخ القصير " على نحو ما رأينا . كانت بابل هي عاصمة دولة حمورابي وكان عهده بداية فترة أخرى من الأزدهار العظيم . ففي الميدان السياسي قام بتوحيد البلاد وقضى على سلطة الأمراء المحليين . ودمر اشنونا تدبيراً .



وامتدت سلطة دولة بابل الى آشور في الشمال الى جزء من سوريا . وفي المجلد  
الذي يربط الى حمورابي بوجه خاص الفضل في علو شأن الاله مردوك ( Marduk )  
الذي أصبح زعيم الآلهة ، وأعظم اله عند البابليين . وكانت زوجته هي صرپانيتوم  
Sarpanitum ( أي الفضية أو اللاسمة كالفضة ) . وكانت تنادي بلقب بلتييا  
( Beltiya ) أي " ياسيدي " مثلما كان ينادي بلقب بملى Bela أي ياسيدي  
وكان ابنيها هو نبو أو نابو Nabu والذي كان يعبد على الأخص في بوزسيپا Borsippa  
( برس نمرود غرب بابل ) . وقد اكتسب مردوك الصفات التي كانت حتى ذلك  
الوقت خاصة بالآلهة السومرية القديمة . وفي ميدان الاقتصاد يتميز عهد حمورابي  
بالتوسع الكبير في الزراعة وحفر الكثير من القنوات الجديدة . وقد ازداد الأدب أيضا  
في هذه الفترة ازدهارا كبيرا .

لكن شهرة حمورابي ترجع قبل كل شيء الى أنه سن مجموعة من القوانين  
( أو لمله ومنها ونسقتها ) حظيت بشهرة كبيرة في شتى أنحاء أرض الرافدين . وهذه  
المجموعة القانونية المعروفة باسم " مدونة حمورابي " هي في الحقيقة تصنيف وتنسيق  
للقوانين التي كانت قائمة حتى عهده ، وهي تتضمن قوانين السومريين والساميين ،  
شأنها في ذلك شأن قوانين أورنمو Ur-Nammu ، مؤسس الأسرة الثالثة في أور -  
وهي - كما ذكرنا - أقدم قوانين وصلتنا من أرض الرافدين ان يرجع تاريخها الى حوالي  
عام ٢٠٥٠ ق م . وكذلك قوانين ليبيت عشتار ( Lipit - Istar ) ، ملك  
إيسين ( ١٨٧٥ - ١٨٦٥ ) التي ألعنا اليها من قبل . وقد جمع حمورابي هذه  
القوانين ونسقتها في مجموعة تشريعية واحدة ودونها على لوحة كبيرة من حجر الديوريت  
الأسود . ويحمل الحجر صورة الملك وهو واقف أمام شمس ، اله الدولة . وقد كشفت  
شذرات من " قانون حمورابي " في عام ١٨٩٠ ثم اكتشفت اللوحة التي تحتوى على النص  
كاملا سنة ١٩٠٢ في التل الذي شيد فوقه حصن مدينة سوسا Susa ( شوشن فسي  
التورا ) عاصمة عيلام ( في جنوب غرب إيران ) شرق الديجلة . ويحتوى " قانون حمورابي "  
على ٢٨٢ مادة تعالج عشرة موضوعات رئيسية كالجرائم ضد الدولة ، والتعدي على  
أموال الغير ( كالسرقة والاتجار في السلع المسروقة وخطف الأولاد وحرق البيوت ) ،  
وتشريعات خاصة بالأرض والبيوت والضرائب والديون والتجارة والقروض التجارية والأمانات ،  
والزواج والمهر والوراثة والتبني واغتصاب النساء ، وأخطاء أصحاب المهن كالأطباء  
والمهندسين والمقوبات التي توقع عليهم لاسماهم ، وأجور الصناع وأجارات المراكب  
والمبيد .



وقد أظهر حمورابي اهتماما عظيما بكل ما يجري في دولته . وقد بقيت لنا رسالته إلى ولايته . وتشهد كلها بكمال ادارته واشرافه شخصيا على شعبون مملكته الواسعة . وقد بلغت الدولة البابلية الأولى ذروة توسعها وقوتها في عهد حمورابي ، أعظم مشرع في الشرق الأدنى القديم . وعاشت الدولة البابلية الأولى زهاء ثلاثة قرون انتهت حوالي عام ٥٣٠ ق م .

وخلفه خمسة ملوك ، ورثوا عنه امبراطورية مترامية الأطراف . وقد عملوا على المحافظة عليها وحمايتها . لكن الأمور ساءت في أواخر أيامهم ان قامت ثورات في منطقة الخليج العربي وأسست دولة باسم "ملكة البحر" وعن التي اصطلح المؤرخون على اعتبارها "الدولة البابلية الثانية" . كما اشتدت اغارة شعوب جديد بالمنطقة ونعم الحيشيون . وغارات شعوب أخرى تصرف باسم شعوب الجبال ( في شمال وشمال شرق العراق ) التي زحفت على منطقة الهلال الخصيب وسيطرت على مقاليد أموره من الفترة ما بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ ق م ، أي زهاء ثلاثة قرون ، تقارن أحيانا بأوائل المصور الوسطى في أوروبا . ولم تكن شعوب الجبال شعوبا سامية بل عند يقف أوروبية . ومن أسمى هذه الشعوب الحوريون والكاشيون والحشيون . وكان الكاشيون هم الذين أسسوا الدولة المسماة بالدولة البابلية الثالثة التي ظلت قائمة حوالي أربعة قرون انتهت عند ١٦٠ ق م . على وجه التقريب .

كذلك ازدادت معلوماتنا عن الأموريين . بفضل اكتشاف وثائق سياسية في الالاح Alalakh ( تل عطشانة في حوض نهر العاصمى الأدنى بوادى الحمق ) وأوجاريت Ugarit ( رأس شمرة ) وبفضل مجموعات رسائل " تل الممارنة " من مصر ( عصر منحتب الثالث وامنحتب الرابع في القرن الرابع عشر ق م ) ففي الحفائر التي أجراها سيرلينارد وولى ( L. Woolley ) بين سنتي ١٩٣٧ - ١٩٣٩ في تل عطشانة عشر على ٣٠٠ لوح مسماري مكتوب باللغة الأكادية يتراوح تاريخها بين ١٩٠٠ - ١٢٠٠ ق م وكانت الالاح مملكة مستقلة في بعض الفترات وعاصمة لدولة الموكيش ( Mukishe ) وعضمة في فترات أخرى لممالك مجاورة قوية كبابك ومصر ودولة الميتان في شمال العراق ودولة الحيشيين في الأناضول .





وفي أوجاريت ( رأس شمرة ) كشفت الحفائر التي أجراها الأستان  
شيفر ( C. A. Schaeffer ) منذ عام ١٩٢٩ عن ألواح من الطين مكتوبة بالأوجاريتية  
( وهي لهجة كنعانية ) وتزجج الى حوالي القرن الرابع عشر ق.م. حين بلغت أوجاريت  
قمة ازدهارها . وهذه الوثائق الى جانب نصوص اللعنة من عصر الدولة الوسطى في  
مصر والرسوم الجدران في مبانى بنى حسن ( حوالي عام ١٨٩٠ ق.م ) ، ورسائل تل  
العمارنة ( = أختاتن عاصمة أختاتون وهو أمحتب أو أمينوفيس الرابع ) والمدونة أيضا  
باللغة الأكديية من عهد أمحتب الثالث ( ١٤٠٥ - ١٣٦٧ ) وأمحتب الرابع الشهير  
باختاتون صاحب الثورة الدينية ( ١٣٦٧ - ١٣٥٠ ) تلقى أضواء جديدة على  
الأوريين . ويتضح منها أن الأوريين كانوا يلعبون الدور الرئيسي في الشمال عند  
مطلع الألف الثاني ق.م. وكانت علاقة دولتهم في ماري وثيقة مع قرقيش ( جيرابلس الحالية )  
وحلب ومع قطننة بوجه خاص .

لكن بعد منتصف الألف الثاني ( بعد ١٥٠٠ ق.م ) تحول مركز الثقل الى  
سوريا الوسطى حيث استمر الأوريون يلعبون الدور الرئيسي . وكانت مصر وقتئذ قد  
بدأت توسعها وأخضعت قسما كبيرا من سوريا تحت سيطرتها في عهد فرعونها القوى  
تحتمس الثالث ( ١٤٦٠ - ١٤٣٦ ) كما قامت هنالك دولة أخرى عظيمة ومنافسة لمصر  
في الشمال وهي دولة الحيثيين التي كان مركزها الأناضول وعاصمتها ختوش ( بوغاز  
كوى ) . وبين نلتين الدولتين الكبيرتين أو بالأحرى الإمبراطوريتين ، انحصرت الدويلات  
الأوربية في سوريا الوسطى ، وكانت تشمل كل لبنان تقريبا وسهل البقاع ومنطقة دمشق  
ويتبين من رسائل تل العمارنة كيف كان بعض أمراء هذه الدويلات الأوربية يخادعون  
الدولتين الكبيرتين أو يتحولون بولا عنهم من جانب الى جانب حسب الظروف مثل " عبد  
عشرتا " الذي كان مركز امارته يقع - على ما يبدو - في منطقة الماصى الحليا ، وابنه  
" أزيرو " . وكلاهما كانت له أطماع وكسبا مناطق جديدة لحسابه مثل ارقة ( عرتة )  
الفينيقية ( ١٢ ميلا شمال شرق طرابلس<sup>(١)</sup> ) وقطننة ( مشرفة شمال حمص ) وأوبى Ubi  
( وهي منطقة دمشق ) ، ودمشق نفسها ، وأرواد ، وشيخاتا ( شكا شمالى البترون )  
وأسبى Ambi ( بين شكا وطرابلس<sup>(٢)</sup> ) وبترونا Batruna<sup>(٣)</sup> ( البترون  
حاليا ) وغيرها من مدن الساحل . ولم تبق من المدن في حوزة مصر سوى سيميرا<sup>(٤)</sup>

- ( ١ ) وهي عند الصليبيين ( وأنفة الحالية ) .  
( ٢ ) وهي Botrys عند اليونان .  
( ٣ ) وهي Arka عند اليونان .  
( ٤ ) سماها اليونان Simyros وكان المصريون القدماء يسمونها DMR أو Sunur



(لحلها شمرا الحالية جنوب طرطوس) مقر المندوب أو نائب الملك المصري، وكذلك جبيلة (وهي Gebal في التوراة وحاليا جبيل) (١)، مركز الأمير الفينيقي "رب عدي" الموالي لمصر الذي كان يحكم قسما في الداخل، ويدعى السلطة على الساحل حتى سيميرا.

وأخيرا سقطت سيميرا وفصلت جبيل عن مناطقها الداخلية ولم يعد باستطاعتها مواصلة تجارة الأخشاب مع مصر فتعذر عليها البقاء. وأرسل "رب عدي" الموالي لمصر الرسالة تلو الرسالة الى فرعون مصر أمهتبت الثالث (١٤٠٥ - ١٣٦٧) يشكو اليه الحال وتخرج الموقف بسبب خيانة عبد عشرتا "الكلب" وابنه أزيرو وتضرع اليه في حوالي خمسين رسالة (مدونة بالخط المسماري على ألواح من الطين (cuneiform) لكس يرسل اليه النجدات. ولكن دون جدوى. ان لم تصله من امهتبت الثالث سوى فصيلة من الجنود أخدمت الثورة مؤقتا واسترجعت سيميرا لكنها لم تتمكن من وقف تيار الخطر المتزايد بسبب تقدم الحثيين من الشمال. وقد تابع أزيرو نفس السياسة الانتهازية بعد موت أبيه. ولم تتغير الاوضاع بارتقاء أمهتبت الرابع (أخناتون) عرش مصر (١٣٦٧ ق.م) بل ازدادت سوءا لأن الفرعون الجديد كان أكثر اعتمادا باصلاحه الذي ينشئ الثورة منه بالدفاع عن الامبراطورية. فقد أسر "أزيرو" بعض المدنيين والضباط وسلمهم لبلاد سوري Suri (أو سوباري Subari) (٢) كرهائن. واستولى على أولازا Ullaza (ارتوزي الحديثة شمالي طرابلس تماما) (٣) وأرداتا Ardata (وهي أوردة الحالية قرب زفرتا) (٤). ومع أن "أزيرو" نهب فيما بعد الى مصر ليقدم حسابا عن أعماله بعد أن أخذ من المندوب المصري عهدا بأنه لن يصاب بأذى الا أنه عاد ووجد ولاه للقاتح الحيش لشمال سوريا وهو الملك شوبيلوليوما Suppiluliumas (١٣٧٥ - ١٣٣٥) الذي استولى على منطقة تمتد الى جنوب جبيل وأقنع أمير أوجاريت

(١) سماها اليونان بيبيلوس (Byblos)

(٢) تتصل بهذه البلاد اتصالا وثيقا بدولة الميتاني (Mitanni) ويقول بعض الباحثين أن من هذا الاسم "سوري" أو سوباري اشتق اسم سوريا. وكان المصريون القدماء يسمون سوريا الشمالية رتنو (Rzanu = Retenu) أو خورو (Khuru) وربما تكون رتنو تحريف للكلمة سامية وأما اسم خورو فمن الجائز أنه تعريف للفظ حوري (أي من الحوريين). وكانت المنطقة بين لبنان الغربي والشرقي تسمى أمورو.

(٣) وهي أرثوزيا Orthozia عند اليونان.

(٤) وهي سجاراتيم Sagaratim المذكورة في مراسلات ماري.



بالتخلي عن حليفه فرعون مصر . وفي تلك الأثناء نجد أن " رب عدى " الذى شمرر بأنه " أصبح كمصفور في شبكة " قد أخذ يفقد أمته وأرسل أخته وأولادها لاللتجا في صور التى كان ملكها " أبى ملكى " لا يزال مواليا لمصر ، ويسترسل في توجيه الشكاوى الى فرعونها . وأما " رب عدى " نفسه فقد غرّب فيما بعد من جبيل الى بيروت ، ووقعت أسرته في يد " أزبرو " . ولما أصبحت بيروت مهددة تابع عبره الى صيدا التى كانت بخلاف منافستها صور متحالفة مع الأموريين . وغنا أدركه أزبرو أخيرا وقضى عليه . وهكذا اضطرت مصر الى التخلي لا عن شمالى سوريا فحسب بل عن فينيقيا أيضا التى كان المصريون يسمون أهلها فنخو ( Fenkhu ) ، وكانت مصدرا عاما لموادها الخام .

ويسدل الستار بعد ذلك على الأموريين في سوريا الوسطى وينتقل مركز الحوادث الى الجنوب في فلسطين التى احتل الأموريون جزءا منها على الاقل . وليس من المؤكد أن الحركة الأمورية نحو الجنوب كانت حركة جماعية . واسم الاموريين كأسسـم الحيثيين تغير معناه مع الزمن كما يبدو ، وصار يستعمل بمرونة أكثر . ربما كان الأموريون عم الطائفة الحاكمة في الجنوب . ويمطيهـم أحد المصادر التى استخدمتها " العهد القديم " مكانة ممتازة في فلسطين قبل الاسرائيليين ، ويجعلهم جميع سكان الأراضى الجبلية وشرقى الأردن أموريين قبل قدم الميريين . وعنالذك مصدر ريفيس آخر يجعل سكان الهوادى خاصة من الكنعانيين . ويتضح أن الأموريين كانوا في القرن الثالث عشر ق . م . يسيطرون على المواقع الاستراتيجية ورووس التلال في سوريا الجنوبية . وأسسوا بعض المراكز التى تطورت فيما بعد فأصبحت تلك المدن الكنعانية المتيدة التى توقف عند أسوارها وأبراجها الخزاة الاسرائيليون .

وبينما كان الحيثيون متمركزين في شمالى سوريا ووسطها ( ولم يقم خلفاء اغناتون المباشرون بحملات جدية ضد عم ) كانت جماعات جديدة تسمى الخابيرو ( Khabiru ) تغزو المنطقة الجنوبية ويرافقها - على ما يبدو - الأراميون وهم قبائل سامية جديدة أتت من الهادية . ويرى بعض العلماء أن الخابيرو عم الساجاز Sa-Gaz أنفسهم ، وأنهم كانوا مرتزقة في الجيش الحيثى يتعاونون مع " عهد عشرتا " . وفي احدى رسائل " رب عدى " الأخيرة الى اغناتون يشير اليهم قائلا " منذ أن عاد أبواك من صيدا ، منذ ذلك الحين سقات الأراضى في يد الساجاز ( Gaz ) " . وعندما دخل الخابيرو فلسطين وجدوا أن



ساميين أقدم منهم، وهم الأوريون، يحتلون جزءاً منها على الأقل على نحو ما  
ذكرنا . (١٠)

وبعد فترة تم للأعيريين انتزاع السيادة من أيدي الأوريين والكنعانيين،  
فقد استولوا على المناطق السورية الواقعة شرقي الأردن بعد أن اجتأحو سيجون  
وجارتها الأورية في الشمال وفي أرض باشان . ورغم ما كان يتصف به  
الأوريون من قامات فارعة وقوة خارقة إلا أنهم غلبوا على أمرهم . ولعل القادمين  
الجدد كانوا يحملون أسلحة معظمها من البرونز .

ولم يترك الأوريون لنا كتابات بلغتهم ذات شأن وإنما تركوا فقط أسماء  
أماكن وأمرء . ومع ذلك فمن المؤكد أن لغتهم كانت تختلف عن اللغة الكنعانية  
من حيث اللهجة . ويمكن اعتبار الأورية لغة كنعانية شرقية تقابل اللغة  
الكنعانية الغربية أو الفينيقية .

---

(١) تتلف آراء العلماء في الخابيرو فالبعض لا يستبعد استنادا إلى تشابه  
الاسم مع الهابيرو أو العابيرو بأنهم كانوا الأعيريين الأوائل الذين دخلوا  
بلاد الرافدين من الجزيرة العربية في وقت هجرة الحوريين الذين أسسوا  
فيما بعد دولة الميتاني في شمال العراق (حوالي عام ١٥٠٠) . ويرى  
البعض الآخر من المؤرخين أن الخابيرو كانوا فئة خاصة ذات كفاية حربية  
ممتازة يعيشون تحت إدارة سلطان بعض المدن بينما يهاجمون حدود المدن  
الأخرى ويشيرون متاعب جمّة . وفي رأيهم أن الخابيرو الذين تختلف  
اسماؤهم نوطا وجنسا من مكان إلى آخر، لم يكونوا عنصرا جنسيا انمسا  
كانوا «بقة اجتماعية خاصة . ويشبهون جماعة آرامية أخرى وهي جماعة «الأخلامو»  
(A khlanu) (أى الرفاق) الذين كانوا يقيمون في أعلى الفرات بل  
على امتداده ويهاجمون المدن والسورية كما يتبين من رسائل تل العمارنة  
والوثائق الأشورية والحثية في القرنين ١٤، ١٣ ق م .





ولا يبقى بعد ذلك سوى كلمة عن الديانة الأورورية . لم تخرج هذه الديانة في الغالب عن عبادة قوى الطبيعة عند الساميين . وكانت هذه الديانة شائعة بين القبائل الرحل في بادية الشام وبلاد العرب . وكان اله الأوروريين هو "أمورو" ، اله العرب ، الذي كان بوصفه الها رئيسيا في الغرب يعرف أيضا باسم "مارتو" . وكان يوجد الى جانبه عدد من الآلهة ليس من السهل التعرف على صفاتها . ويظهر كثير منها بين الآلهة الكنعانية ( الفينيقية ) فيما بعد . وأهم هذه الآلهة هدد ( Hadad ) اله العاصفة والمطر والصواعق ( ١ ) . لذلك كان يعرف أيضا باسم رمانو Rannanu (صانع الصواعق) . وكاله للسماء ثم للشمس شبهه اليونان بزيوس والرومان بحويتر . كذلك كان هدد الها للخصب . وسيصبح "هدد" أهم اله عند الأراميين . وكان ينادى بلقب بمسائل ( Baal ) ( ٢ ) أي " السيد " . وكان يعبد في سمأل وحلب ودمشق ومنبج ( نيرابوليس ) . وكان للاله هدد شريكة أو زوجة هي عنت ( Anath ) ، التي كانت أخته في الوقت نفسه . وكانت صنوا لأترجاتيس / وتشتهر أحياناً بماشرة أو عشيقات ( ٣ ) التي كانت صورة أخرى من عشتروت أو عشتروت ، وقد أدمجها الأوروريون الى جنوب سوريا عبادة " الصمود المقدس " ، وكان يرمز - على ما يبدو - لاله القبيلة . وعادة ما كان يقصب في مكان طاهر أو مطهر . وغالبا ما كان ذلك في مغارة يقام بجانبها مذبح مقدس من الحجر لا يجوز تدنيسه . ولعل الأوروريين قد أدمجوا أيضا في الطقوس عادة التضحية البشرية بأول مولود وتقديم القرابين عند بناء المعابد أو تأسيس المدن .

- 
- ( ١ ) ونيليسره أدد أو آدو عند الأكديين ( البابليين والأشوريين )  
( ٢ ) أور بيلوس Belos أو Belu أو بعل شميين أي " سيد السموات "  
( ٣ ) الكلمة في العبرية معناها " عمود مقدس " .







Schechem ( تل بلاطه شرقى نابلس ) (١) ، ومجدو Megiddo ( تل المتسلم والاشتقاق من gadad بمعنى قطع ) . (٢) وحاصور Hazor ( تل القديح جنوب غربى بحيرة الحوله ) ، وبارو شالم ( Hierosolymna ) وهى أورشليم ( ومعنى الاسم : " دع شالم يوءسس " ، وشالم هو رب السلام عند الكنعانيين ويظهر اسمه في اسمى ابشالوم وسليمان ) .

وقد ذكرت هذه المدن وكثير غيرها مثل أريحا Jericho ( والاشتقاق من Jereho أى " مدينة القمر " ) ، ومثل بيت شان ( وهى الآن بيسان ومناها بيت الاله شان ) ، وعكو Akko وهى عكا ( ومعنى اللفظ رمل حار ) التى سماها اليونان بطولماييس ( Ptolemais ) ، ومثل أرقسة أو عرقه ( Irkat ) فى الفينيقية وفى المصرية ( RQT ) التى تقع على بعد ١٢ ميلا شمال شرقى طرابلس . وقد ذكرت جميع هذه المدن فى النصوص المصرية من عهد تحوتمس الثالث ( ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق. م ) ورسائل تل المصارية من عصر أمنحتب الرابع الشهير بأخناتون ( ١٣٦٧ -

( ١ ) ذلت شكيم عامرة بالسكان حتى دمرها الامبراطور الرومانى فسبسيان عام ٦٧ م . وقد أسس على أنقاضها بعد سنوات قليلة ( حوالى عام ٧٥ م ) مدينة نابلس Neapolis ( أى المدينة الجديدة ) .

( ٢ ) مجدو Megiddo هو اسم المعركة الشهيرة التى جرت عام ١٤٦٨ ق. م وانتصر فيها تحتمس الثالث ، نابليون مصر الفرعونية ( ١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق. م ) على علف يتألف من ٣٥٠ أميرا تحت زعامة حليف للميتانى هو أمير قادش Kadesh ( وهى تل النبي مند على نهر العاصى جنوب بحيرة حمص حيث زعم رمسيس الثانى أنه انتصر على ملك الحيثيين فى عام ١٢٩٦ أو ١٢٨٦ ق. م ) . وقد وضع الرومان فيما بعد فرقة عسكرية ( legio ) بالقرب من مجدو حيث يوجد اليوم قرية تسمى اللجون ( مشتقة من لفظ لجيو اللاتينى بمعنى فرقة عسكرية ) .

وأنه قرر سقوط مجدو فى يد تحتمس الثالث مصير كل فلسطين . وتقدم الفرعون المنتصر نحو الشمال مسافة ٧٥ ميلا حتى وصل الى لبنان ، واستولى على ثلاث مدن ، وبنى حصنا .

وفى خلال عملته الخامسة استولى تحتمس الثالث على أرواد . وبذلك أحكم قبضته على الساحل الفينيقى . وكان المصريون يعرفون السهل الفينيقى وفلسطين باسم زاهى ( Djahi ) بينما كانوا يعرفون الفينيقيين باسم فنكو Fenkhu أى " بناء السفن " . ثم استولى فى حملة تالية على سيمورا ( لصلها سمرا جنوبى طرطوس ) . ثم استولى على قادش ( تل النبي مند جنوبى بحيرة حمص ) . وقد عاد اليها بعد ١٢ سنة واستولى عليها مسن جد يد .

==



١٣٥٠ ) . ويوجد وصف لها في سفرى يشوع والقضاة في العهد القديم " . ويلاحظ أن بعض هذه المدن الفينيقية كان يحتل موقعين أحدهما في البر والآخر في جزيرة متاخمة مثل أرواد وصيدا وصور . وبذلك صار لها خط دفاع مزدوج واستحصت أحيانا على الخزاة . ولعل مثل هذه الموانى الحصينة هى التى حالت دون بلوغ الأشوريين ساحل البحر فترة طويلة . لكن كثيرا من المدن الفينيقية كانت بمقتضى مركزها أو موقعها الجغرافى متجهة نحو مصر بل وقعت تحت السيطرة فى بعض الفترات .

ومن المدن الكنعانية الهامة مدينة أوجاريت ( راس شمرة ) التى سبقت الإشارة إليها . وأوجاريت كلمة معناها " الحقل " ولعلها مستعارة من السومرية . وقد اكتشفتها - كما ذكرنا - بعثة فرنسية برئاسة الأستاذ شيفر . وقد تبين من دراسة آثار أوجاريت أن المدينة قديمة لكنها بلغت قمة ازدهار فى القرن الرابع عشر ق م ( حوالى ١٤٠٠ ق م ) . وتقع أوجاريت فى مواجهة قبرص . وقسمت اكتشفت فيها ألواح من الطين بالخط المسمارى ومكتوبة بلهجة كنعانية . وتشتمل الكتابة على ٣٠ حرفا من حروف الأبجدية . والنصوص معظمها دينية ومتصلة بطقوس العبادة .

ويعتبر ابتكار النظام الأبجدى ونشره فى البلاد المجاورة من أعظم الخدمات التى أسداها الفينيقيون للإنسانية . وقد نقلوا النظام الأبجدى عن الهيروغليفية المصرية . ويرجح أنه ذلك تم عن طريق شبه جزيرة سيناء . كان المصريون يستعملون حوالى ٤٠ حرفا ساكنا ( صامتا ) من حروف الهجاء . لكنهم كانوا يستخدمون الى جانبها علامات أو رموزا أخرى . لذلك ظلت بدون أعمية حتى نهاية القرن السابع عشر ق م حيث اتفق لأحد الأسرى الكنعانيين أو أحد العمال فى مناجم الفيروز فى سيناء أن يرى الرموز الهيروغليفية المصرية ويبسطها أو يكتفى بالعلامات .

---

= = - وفى الحملة الثامنة غزا نهارين ( وهى شمال الرافدين أى بلاد الميثنى ) وهزم أعداءه عند قرقيش . ونصب لوحتين على ضفتي الفرات . وقد عبر النهر بسفنه النسي نقل تخشابها برا من لبنان ( ٢٥٠ ميلا ) وكان أبوه تحتتمس الأول قد وصل أيضا الى هذا الموقع من قبل . وقد سجل تحتتمس الثالث انتصاراته هذه على جدران معبد الكرنك فى طيبة ( الأقصر ) .





الساكنة ( الصامتة ) فيها . حدث ذلك على ما يرجح في مكان ما يشبه جزيرة سيناء ولا يستبعد أن هو يكون " سرابة الخادم " . ونقلت الرموز المصرية السامية المدن الفينيقية . وقد أعطى الفينيقيون للعلامات الساكنة ( consonants ) أسماء سامية وقيما صوتية سامية . أخذوا علامة " رأس الثور " وسموها " ألف " بأسمها السامية . وجعلوا هذه الصلابة تمثل صوت " أ " . وفعلوا نفس الشيء في حالة العلامة الدالة على " بيت " فسموها " بيت " واستعملوها لتمثيل الصوت " ب " . وعلامة " اليد " سموها " يود " واستعملوها للصوت " ي " . وسموا علامة " الرأس " " ريش " وجعلوها تمثل الصوت " ر " . وأما علامة الماء فسموها " ميم " واستعملوها للتعبير عن صوت " م " وهلم جرا .

وقد نقل الاغريق عن الفينيقيين الأبجدية بين سنتي ٨٥٠ ، ٧٥٠ ق م . وأبقوا على أسمائها السامية وأشكالها بل وترتيبها ، وأضافوا اليها حروف الحركة ( الحروف اللينة vowels ) جاعلين لفتحهم أكثر مرونة وأيسر نطقا وأسهل قراءة من معظم اللغات السامية . وكانت اللفة اليونانية في أول الأمر تكتب كالفينيقية من اليمين الى اليسار . وبعدئذ من اليمين الى اليسار وبالعكس وهي ما تسمى boustrophedon ( أى مثل الفلاح عند ما يدور أو يلفت وهو يحرق الأرض بالثيران ) . وأشيرا استقرت وأصبحت تكتب من اليسار اليمين . وبعدئذ انتقلت الابجدية الى الرومان في القرن السادس ق م . ومن الأخيرة أى من الأبجدية اللاتينية تولدت معظم الأبجديات الأوربية . ومن ناحية أخرى فان الآراميين ( الذين جاءوا في الهجرة السامية الثالثة ) استماروا أيضا أبجديتهم من الفينيقيين ثم نقلوها الى العرب والهنود وسائر الشعوب الشرقية التي تكتب بالأبجدية . وقد صارت الأبجدية على يد هذه الشعوب تتألف من نحو ٢٢ حرفا ساكنا أو صامتا consonants ( بتأثير الهيروغليفية المصرية ) . وهكذا أصبحت بسيطة وجعل فن الكتابة بها والقراءة ميسورا للفرد المادى . وقد تكون كتابة عرب جنوب الجزيرة العربية مشتقة مباشرة من الكتابة المصرية السيناوية التي كان لها على الفينيقيين فضل تحقيق المرحلة الأولية .



كان الفينيقيون أول أمة بحرية بل أول أمة اشتغلت بالتجارة برا وبحرا . وكان لهم محطات تجارية في الداخل مثل اديسا ( الرها ) ونصيبين ( Nisibis ) فسي شمال العراق . وكانت تقوم بربط موانئهم على البحر المتوسط بمراكزهم على الخليج العربي . واتسع نطاق نشاطهم التجارى فامتد الى الجزيرة العربية والى مصر وممظم أنحاء البحر المتوسط . ويرد ذكر صيدا في الأوديسيا ، ملحمة هوميروس ( حوالى القرن التاسع ق.م ) حيث يتحدث الشاعر عن الصيد اويين كلاحين زوى جرأة شديدة وتجار وقراصنة . ولم يلبث أن نشطوا بدافع التجارة في تأسيس المستعمرات على سواحل البحر المتوسط البحر المتوسط وجزره القريبة والبعيدة . وكان لمدينة صور السيق في ذلك ان أسست عدة مراكز تجارية تطورت الى مستعمرات مزدهرة . وبلغ هذا النشاط الفينيقي في تأسيس المستعمرات ذروته في القرنين العاشر والتاسع ( ١٠٠٠ - ٨٠٠ ق.م ) . فقامت لهم مستعمرات في قبرص وصقلية وسردينيا وكورسيكا وشمال افريقيا وأسبانيا . ففي أسبانيا البعيدة أسس الفينيقيون مدينة قادس Gades ( = جدار أو مكان مسور ) وترشيش Tartesseus ( بمعنى المنجم أو مكان صهر المعادن ) .

وتحمل لارسوس في قيليقية ( بالأناضول ) - حيث ولد القديس بولس - نفس اسم المدينة الأسبانية المذكورة ، وكانت مثلها مستعمرة فينيقية . ومن المستعمرات الأخرى في أسبانيا مدينة ملقه Malaga والتي يوءى اسمها معنى دكان أو محمل صغير ( من اللفظ الفينيقي ملاكة melakah ) .

وقد أدى ذلك الى دخول الفينيقيين في المحيط الأطلسي ، وعبروا الأوقيانوس في العالم القديم . ويعتبر هذا الاكتشاف من أجل ما قدمه الفينيقيون من خدمات للتقدم العالمى . وقد عرف هوميروس وهيسيود بوجود الأطلسي لأول مرة من الفينيقيين . ومن العسير معرفة مدى توغل السفن الفينيقية في هذا المحيط الذى سماه العرب فيما بعد " بحر الزلمات " . فهل بلغ الفينيقيون جزر كاسيتريدس Cassiterides ( أى جزر القصدير ) ( ١ ) قرب كورنول ( Cornuoll ) فسي انجلترا بحثا عن القصدير ؟ . ولعل أعظم عمل بحرى حققوه هو الدوران حول افريقيا وهو ما قام به البرتغاليون بعد ذلك بهوالى ألفى سنة . ويقال ان الفينيقيين قاموا بهذا الحمل استجابة لطلب فرعون مصر " نخاو " من الأسرة السادسة والعشرين والذى أعاد حفر القناة القديمة التى كانت تربط الفرع الشرقى للدلتا بالطرف

( ١ ) الاشتقاق من كلمة kassiteros اليونانية بمعنى قصدير . ومنها جاءت كلمة قصدير في اللغة العربية ، ونهى في الأصل كلمة سامية ) .



( ١ ) الشمال للبحر الأحمر ( عن طريق وادى طميلات والبحيرات المرة ) حوالى عام ٦٠٩ ق.م

ومن أقدم المستعمرات الفينيقية في شمال افريقية مدينة أوتيكا Utica ( في منطقة تونس ) . واسم هذه المدينة مشتق من عتق بمعنى المدينة المتيقنة أو القديمة ، وكذلك مدينة هيبيو ( Hiopo ) في الغرب التي كانت مقرا ملكيا ومن ثم تلقب بالملكيسة ( Regius ) ، وقد أصبحت فيما بعد مركز القديس أوغسطين . وكلمة " هيبيو " لبيبة الأصل . وكلتا المدينتين يرجع تأسيسهما الى حوالى عام ١٠٠٠ ق.م . وأما قرطاجنة ( Carthaga ) ( ١ ) فهي أعظم مستعمرة فينيقية أسستها مدينة صور اللبنانية في شمال افريقيا . واسم قرطاجنة مشتق من قرط حدشت qart hadasht أى القرية أو المدينة أو الحديشة . وقد سماها اليونان كرخيدون ( Karhedon ) . ويرجع تأسيسها الى حوالى عام ٨١٤ ق.م . وتفيد الأساطير اليونانية أن ليبيا ( Libya ) - وهو الاسم الذى كان الاغريق يطلقونه على شمال افريقيا بل على القارة الاريقية كلها فيما بعد - كانت في الأصل اسم زوجة اله البحر بوسيدون ( Poseidon ) وأم أجينور ( Agenor ) أحد ملوك صور . وأجينور هو أبو كاد موس ( Cadmus ) وأوروبا ( Europa ) التي رآها الاله زيوس ذات مرة تسير على شاطئ صور وأغرم بها فتقمص شكل الثور وأغراها بحركاته اللطيفة على ركوبه ، ثم قذف في البحر حاملا حبيبته الى كريت التي كانت مركزا للحضارة المنيوية حتى قبل ظهور الحضارة في بلاد الاغريق نفسها . وفي كريت استعاد زيوس شكله الأصلي وتزوج أوروبا وأنجب منها ثلاثة أبناء ذكور كان لهم فيما بعد شأن عظيم وهم مينوس ( Minos ) ملك كريت المشرع ، وورد مانتوس ( Radimanthus ) وسرپيدون ( Sarpedon ) بينما سميت القارة كلها باسم " أوروبا " ، ابنة أجينور ، ملك صور ( ٢ ) .

وتمضى الأسطورة قائلة بأن أجينور أرسل ابنه كاد موس للبحث عن أخته " أوروبا " ولم يسفر بهته عن شئ فاستقرأولا في طراقيا حيث يقال انه استثمر مناجم الذهب هناك . ثم اتجه بعد ذلك - بايعاز من نبوة دلفى - الى بلاد اليونان حيث اسس في اقليدس بويوتيا كاد ميا ( Cadmeia ) ، التي أصبحت فيما بعد قلعة مدينة طيبة ( Thebai )

( ١ ) هيروdot ، الكتاب الرابع ، ٤٢ .

( ٢ ) تكتب أيضا في اللاتينية Karthago

( ٣ ) يسمى هو ميروس هذا الملك في الالليانة Phoinix ( أى فينيق ) ، أنظر الالليانة النشيد الرابع عشر ، البيت رقم ٣٢١ .



اليونانية . وعينت الربية أئينة كاد موس ملكا على طيبة ، وزوجه الاله زيوس من هرمونيا ( Harmonia ) ، وهى ابنة لأفروديتى ، ربة الخصب والحب والجمال من أريس اله الحرب . وأهم من ذلك ما يقال عنه بأنه هو ( أى كاد موس ) الذى أدخل الحرف إلى بلاد الاغريق أبجدية فينيقية تتألف من ١٦ حرفا أضاف إليها اليونان الحروف المتحركة أو الصائتة ( vowels ) ( ١ ) .

ولتعد إلى قرطاجة التى أصبحت يدورها دولة كبرى أو امبراطورية ذات سيادة تجارية وسياسية في غرب البحر المتوسط أثناء القرن السادس ق.م . ان امتدت ممتلكاتها من حدود ليبيا في الشرق إلى عمودى قرقل في الغرب ( وعمما الرأسان الصخريان عند المضيق الذى عرف فيما بعد باسم مضيق جبل طارق ) . وضمت قرطاجة جزر البليار والطة ( وهو لفظ سامى بمعنى غرب ) وسردينيا وبعض مواقع على سواحل اسبانيا وغالة ( فرنسا ) . وفي الحقان مدينة ماسيليا ( مرسيليا الحالية ) قرب أسسها اغريق من الساحل الأيونى ( ساحل آسيا الصغرى الغربى ) مكان مستعمرة فينيقية أقدم منها ) . وقد أمضى هذا النشاط كله إلى اصطدام قرطاجة بروما وقيام الحروب المسماة في التاريخ بالحروب البونية ( Bella Punica ) أى الحروب الفينيقية " الأولى منها في أيام القائد القرطاجى عاميلكار باركلـHannilcar Barca ( من بـبارق بمعنى برق ) والثانية في أيام ابنه هانيبال Hannibal ) ومعنى اسمه هانى بعل أى " نعمة بعل " . وكان الأخير يغير مجرى التاريخ الأوروبى كله بانتصاراته على الرومان في ايطاليا ولا سيما في معركة كُناى عام ٢١٦ ق.م . لكن القدر شاء غير ذلك وانزلت روما الهزيمة به في معركة زاما ( Zama ) من نوميديا ( الجزائر ) عام ٢٠٢ ق.م . لكن قرطاجة سرعان ما نهضت من كبوتها وانتعشت تجارتها من جديد وازداد ثراؤها . وأثار ذلك من جديد مخاوف الرومان وحقد عم ما دفع

( ١ ) كان لمدينة كورنثة اليونانية صلة وثيقة بفينيقيا . ويدعم البعض إلى حد القول بأنها ربما كانت أصلا مستعمرة فينيقية . وقد انتشرت فيها عبادة الاله ملقـMelkart ( ومعنى اسمه ملك المدينة ) . وكان ملقـ " سيد " مدينة صور . وانتشرت عبادته من صور إلى قبرص وقرطاجة في الغرب . وقد جعله اليونان صنوا للبطل الاله هيراكليس Heracles ( عرقل ) . عمل اسم جزيرة ساموس اليونانية ( قرب ساحل أيونيا ) مشتق من شمس ، اسم اله الشمس عند الساميين ؟





بعض ساستها الممتصين ضيق الأفق ( مثل كاتو Cato الملقب بالأكبر أو "الرقيب" )  
بالمناداة بضرورة تدبير قرطاجة . وكان يردد في السناتو ( مجلس الشيوخ الرومانس )  
عبارة " لا بد من تدبير قرطاجة : " Carthago delenda est " . وانتحلت روما  
المعاني لاعلان الحرب على قرطاجة فيما يسمى بالحرب البونوية الثالثة عند منتصف القرن  
الثاني ق م . ودمر الرومان قرطاجة تدويرا في عام ١٤٦ ق م . وتركت المدينة بمهد  
سقوطها طعنة للنيران لمدة ١٧ يوما ، وغطت موقعا كومة من الرماد . ثم أعمل فيها  
المحراث ولصنت أرضها الى الأبد . ولا شك ان مثل هذا الاجراء من جانب الرومان  
عمل طائش أخرق ولا يزيد الرومان شرفا . لقد فهم اليه عاملان الخوف والحق . ولم  
ينس الرومان أبدا الهزائم التي أنزلها بهم القائد القرطاجي الفينيقي الأصل الذي مكث  
في أرض ايطاليا حوالي ١٥ عاما عزم أثناءها الرومان أربع مرات في مشارك ضارية وخرب  
أرض شبه الجزيرة الايطالية ولا سيما الجنوب . وقيل ان الرومان لم يرمموا في حياتهم  
الا شخصيتين احدهما هانيبال ، والأخرى امرأة وهي كليو بطرة السابعة ، آخر ملكات  
مصر البطلمية .

هكذا اختفت من الوجود قرطاجة التي يسميها فرجيل ( Vergilius ) أعظم  
شعراء الرومان ( ٧٠ - ١٩ ق م ) في ملحمة ( الأينادة ) " بمدينة أبجينور " لأن  
مؤسسها ديدو ( Dido ) كانت من سلالة هذا الملك . كانت ديدو ابنة بعل ( Belus )  
ملك مدينة صور ، وأخت بيجماليون ( Pygmalion ) الذي قتل زوجها أكرباس  
Acerbas ( وهو تحريف لاسم فينيقي معناه " بعل يذكر " ) طمعا في ثروته . ففرت  
ديدو من غربا من وحشية أخيها الى شمال افريقيا حيث أسست مدينة قرطاجة ( قرب تونس  
الحالية ) . وأقسمت ديدو ألا تتزوج أبدا وفاء لذكرى زوجها الذي قتله أخوها عند راء .  
وعندما اضطرت الى ذلك ، آثرت أن تنتحر . ان ألح أحد ملوك الدول المجاورة  
لقرطاجة في طلب يد ديدو . وكان متبريرا ذبا أس وبطش . لذلك قتلت ديدو نفسها . لكن  
الشاعر الرومانس الكبير فرجيل يقم قصتها في الأينادة ويعرفها . فيقول بأن آينياس  
Aeneas البطل الطرواى استطاع أن يهرب مع فريق من بنى وطنه بعد سقوط طروادة  
الذي نعلم أنه حدث حوالي عام ٢٠٠ ق م . ثم ينزل آينياس - وفقا لرواية فرجيل - عند  
مكان قرطاجة ( التي لم تكن قد أسست بعد ) ويلتقى بالملكة ديدو التي تهيم به حبا  
وتعرض عليه الزواج منها . ويستجيب اليها فترة ولكن لا يلبث أن يهجرها  
استجابة لنداء الهيس بأن يهرب الى عيش



يؤسس واحد من ذريته ( روميلوس ) مدينة روما ( عام ٧٥٣ ق م ) . نلنك بأن تأسيس روما كان رسالة أسعى من الحب ، وتحزن ديد ولفراق آينياس وتلقى بنفسها في النار منتحرة لاعة اياه وذريته من الرومان جميعا .

### الهجرة الثالثة : حوالى عام ٢٠٠٠ ق م . وقد أتت هذه الهجرة

بالأراميين الى المنطقة التى تقع بين جبال شرق لبنان ( Antilebanon ) ونهر الفرات . وقد سيطر الآراميون على شمال سوريا ، وأسسوا عدة ممالك أو إمارات مثل صهوية ( وهى صوية بمعنى أحمر كالنحاس ) في جنوب زحلة بسهل البقاع ، ومثل دمشق وحماة . وقوضوا فيما بعد حكم الحيثيين هناك وورثوا ملكهم . وامتد نفوذهم أيضا الى شمال أرض الرافدين ( عند نهارين وهما الفرات والخابور ؟ ) وهددوا حكم شلمنصر الأشورى . وناصروا المبريين الذين عاصروهم الصداة زهاء قرنين ( منذ أيام داود حوالى عام ١٠٠٠ ق م ) حتى أيام أحاب . وامتلكوا ناصية التجارة البرية التى كانت تعبر طريق سوريا الشمالى . ونشر الأراميون ثقافتهم ولفتهم في الهلال الخصيب من الفرات الى النيل . وبذلك حلت اللغة الآرامية محل اللغة الأكدية كلفة للتعامل والتجارة وأصبحت هى اللغة الساعدة ( lingua franca ) أو اللغة الدولية في المنطقة . وسوف تراث اللغة اليونانية العامة أو المشتركة ( koinê ) مكانة الآرامية فيما بعد أى في مصر الهلينيستى ( بمصر الاسكندر الأكبر ٣٢٣ ق م ) . وقد عرفت اللغة الآرامية في المرحلة المتأخرة باسم اللغة السريانية . وان شئت الدقة فان اللغة الآرامية تفرعت على مر الزمن الى مجموعتين ( أ ) المجموعة الشرقية في وادى الفرات وتمثلها المندعيانة والسريانية ( ب ) المجموعة الغربية وتمثلها آرامية التورانية ( نسبة الى التوراة ) والترجوم ولهجات شمال أو شمال ( زنجلى القديمة ) وحماة أو التدمرية والنبطية . وكانت تتكلم المندعية طائفة غنوصية ( أى العارفين بالله ، وهو مذهب مسيحي هرطقى أو بدعى ) تسكن قرب الفرات بين القرنين السابع والتاسع بعد الميلاد . وأصبحت السريانية - وهى لغة اديسا Edessa (الرها) - لغة الكنائس في سوريا ولبنان وبلاد الرافدين مع بعض الاختلافات المحلية . واستعملت بين القرنين الثالث والثالث عشر بعد الميلاد .



ويكتشف الضموض أصل العبريين ( Hebrewos ) وتاريخ مجيئهم إلى هذه المنطقة . بل ان اسمهم نفسه يكتشفه الضموض . لهم وفدوا كوجة مبن موجات الهجرة الأرامية ثم تسللوا من جنوب أرض الرافدين إلى سوريا ثم إلى فلسطين فيما بعد ( حوالي ١٢٠٠ ق م ) . لكن اذا كان العبريون هم " الخابيرو " أو " الحابيرو " ( Habiry ) - وهو أمر غير محتمل (١) - فانهم يكونون قد دخلوا أرض الرافدين ( من الجزيرة العربية في وقت هجرة الحوريين الذين أسسوا فيما بعد دولة الميتاني في شمال العراق ( حوالي ١٥٠٠ ق م ) . وفي آخر أيامهم لم يظهروا بالمنطقة الا بعد طردهم من مصر في عصر مرنباح ( ١٢٢٤ - ١٢١٤ ق م ) . ولم تكن أعداد العبريين في أول الأمر كبيرة بل كانوا يتسللون كأفراد أو جماعات صغيرة . ومن المحتمل أن جماعة منهم كانت ضمن الهكسوس الرعاة الذين غزوا مصر في آخر القرن الثامن عشر ق م ( ١٧٣٠ - ١٥٨٠ ق م ) . ويتورد في ذلك في قصة زيارة سيدنا ابراهيم لمصر الوارد ذكرها في سفر التكوين ، وقصة هجرة اسحق إلى جرار ، وقصة اقامة يوسف بمصر وما بلغه فيها من مكانة ودعوته بقية اخوته للحضور إليها .

وأما عن الاسم فان لفظ " عبرى " مشتق من عبر أى عابر الطريق أو المتجول أو البدوي، المرتحل . ويوردى اللفظ في كل نصوص الألف الثاني ق م معنى " الناهب " أو " ناطح الدريق " أو المرتزق أو الغريب الأجنبي فلفظ " عبرى " في الأصل تعنت أو لقب مشين محط للسمعة ، وليس اسم جنس أو اسم قبلى . لكن هذا اللفظ يرد معتد القرن الثاني عشر والحادي عشر ق م كاسم قبلى . وكذلك يرد في " العهد القديم " كاسم قبلى يهالق على طائفة معينة هم العبريين . وأول شخص وصف بأنه عبرى هو ابراهيم عليه السلام ( سفر التكوين ١٤ : ١٣ ) . وقد عاش - على ما يرجح - في القرن التاسع عشر ق م أو كان معاصرا لعموراى ملك بابل ( ١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م ) .

---

( ١ ) بيد وأن اسم خابيرو أو عابيرو كان اسم فئة أو طبقة اشتهرت بالجندية والكفاءة العسكرية . وكانت موجودة في كل مكان فهي ليست اسم عنصر أو جنس بل اسم فئة أو طبقة اجتماعية معينة . راجع ص ١٤٠ حاشية (١) ، ص (١٣) حاشية ٢



الفهرس  
=====

صفحة

٢ - ١٢

الفصل الأول :

" ظهور الانسان "

أنواعه وسلالاته الرئيسية

٢  
٣ - ٤  
٤ - ٦  
٧ - ٩  
٩ - ١٢

ظهور الانسان وأنواعه :  
الانسان القرد منتصب القامة  
انسان نياندرتال  
الانسان العاقل  
السلالات الرئيسية ( المجموعات البشرية الكبرى )

١٣ - ٣٦

الفصل الثاني :

" علم ما قبل التاريخ "

١٣ - ١٥  
١٥ - ١٦  
١٦ - ١٩  
١٩  
٢٠ - ٢٦  
٢٦  
٢٧ - ٣١  
٣١ - ٣٦

تعريفه  
نشأة علم ما قبل التاريخ  
منهج البحث في علم ما قبل التاريخ  
دراسة عصر ما قبل التاريخ ووسائل تأريخ آثاره :  
العلوم المساعدة  
طرق التقويم الزمني :  
الطرق المباشرة  
الطرق غير المباشرة ( النسبية )

٣٧ - ٦١

الفصل الثالث :

" الزمن الحجري "

عصوره وخصائصه

٣٨ - ٥٤

العصر الحجري القديم ( الباليوليثي ) :





٤٥ - ٣٨	أ - الأسفل :
٤٦ - ٤١	- الحضارة الأيغولية - الشيلية
٤٥ - ٤٢	- الحضارة الأشولية
٤٥	- الحضارة الليغالوازية
٤٦	ب - الأوسط :
٤٧ - ٤٦	الحضارة الموستيرية
٤٧	ج - الأعلى :
٤٩ - ٤٨	- الحضارة الأورينياسية
٤٩	- الحضارة السولتيرية
٥٤ - ٥٠	- الحضارة المجدلينية
٥٢ - ٥١	فن الكهوف
٥٤ - ٥٣	حضارات شمال افريقيا
٥٦ - ٥٤	حضارات الشرق الأدنى في العصر الحجري القديم :
٦١ - ٥٧	العصر الحجري المتوسط ( الميزوليثي )
٥٨	أ - الحضارة الأزيلية
٥٨	ب - الحضارة الطردنوازية
٥٩ - ٥٨	ج - الحضارة الكمينية :
٥٩	حضارة صقلية المطبخ
٦٠ - ٥٩	حضارة ماجليموز وحضارة كوندا
٦١	حضارات الشرق الأدنى القديم في العصر الحجري المتوسط :
٦١	الحضارة النطوفية
٨٦ - ٦٢	<u>الفصل الرابع :</u>
	" العصر الحجري الحديث (النيوليثي )
٧٤ - ٦١	المثاقير الحطارية العامة
٧٤	حضارات الشرق الأدنى القديم في العصر الحجري الحديث :
٧٦ - ٧٥	- العراق ( جرمو وتل حسونه )



٧٧ -	٧٦	- فلسطين ( أريحا )
	٧٨	- سوريا ( وادى الصمق ورأس شمرة )
٧٩ -	٧٨	- لبنان ( جبيل )
٨١ -	٧٩	- الأناضول ( تشاتال وهاكيلار )
٨٢ -	٨١	- ايران ( سيالك )
٨٤ -	٨٢	- مصر ( حفارات الصعيد والدلتا ) :
٨٥ -	٨٤	ديرتاسا
	٨٥	الفيوم " أ "
٨٦ -	٨٥	مرصدية بنى سلامة

١١٥ - ٨٧

الفصل الخامس :

العصر الحجري النحاسى (الخالكوليثى)

٨٨ -	٨٧	النحاس
	٨٨	حفارات الشرق الأدنى في عصر الحجر والنحاس :
٩٠ -	٨٩	- المراق ( تل حلف )
	٩٠	حفارات عصر ما قبل الأسرات :
٩٢ -	٩٠	{ حضارة الصعيد
٩٤ -	٩٢	{ حضارة الوركاء
	٩٤	{ حضارة جمدة نصر
٩٥ -	٩٤	- فلسطين ( أريحا وغزة والفسول )
٩٦ -	٩٥	- سوريا ( وادى الصمق ورأس شمرة )
	٩٦	- لبنان ( جبيل )
٩٩ -	٩٧	- مصر ( البدارى )
١٠٠ -	٩٩	حفارات الصعيد والدلتا في عصر ما قبل الأسرات :
١٠٥ -	١٠١	{ حضارة العمرة (= نقادة الأولى )
١١٠ -	١٠٥	{ حضارة جمره (= نقادة الثانية )
١١٣ -	١١١	{ حضارة سماينة



١١٥ - ١١٣	تأثر مصر بحضارة سومر في بداية العصر التاريخي
١١٦ - ١٢١	<u>الفصل السادس :</u>
	" زمن البرونز "
١٢٢ - ١٥١	<u>الفصل السابع :</u>
	" الساميون "
١٢٢ - ١٢٥	التصريف
١٢٥ - ١٢٦	جدول اللغات السامية
١٢٧	الهجرات السامية الكبرى :
١٢٨	الهجرة السامية الأولى
١٢٨ - ١٣٠	سومر وأكد
١٣٠	الهجرة السامية الثانية :
١٣٠ - ١٣١	الكنعانيون :
١٣١ - ١٤٤	الاموريون :
١٣٢ - ١٣٣	المعهد البابلي القديم
١٣٤	" ماري "
١٣٤ - ١٣٦	الدولة البابلية الأولى ( حمورابي )
١٣٦ - ١٤١	الدويلات الامورية في سوريا ولبنان وفلسطين
١٤٢	الفينيقيون :
١٤٢	المدن الساحلية
١٤٢ - ١٤٣	المدن الداخلية
١٤٤	اوجاريت
١٤٤	ما اسداه الفينيقيون للحضارة :
١٤٤ - ١٤٥	الابجدية
١٤٦ - ١٤٧	الاستكشاف
١٤٧ - ١٤٨	المستعمرات ( صوروصيدا )
١٤٧ - ١٥٠	قرطاجنة
١٥٠	الهجرة السامية الثالثة
١٥٠	الاراميون
١٥١	الصبريون
١٥٢ - ١٥٥	الفهرس







Logo of Bibliotheca Alexandrina  
Bibliotheca Alexandrina  
0220070

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)